

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and graduate Studies
Faculty of Osool Al-Dine
Master of Interpretation and Sciences of the Qur'an



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير التفسير وعلوم القرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأحزاب (دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational directives and methods derived from Surat al Ahzab (An Applied objective study)

إعداد الباحث:

زكي فؤاد محمود الشريف

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم حمدي الدهشان

قُدِّمَ هَذَا الْبَحْثُ اسْتِكْمَالاً لِمَتَطَلِّبَاتِ الْخُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ
فِي التَّفْسِيرِ وَעِلْمِ الْقُرْآنِ بِكُلِّيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

جمادي الثانية/١٤٤٢هـ - فبراير/٢٠٢١م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأحزاب
(دراسة موضوعية تطبيقية)

**Educational directives and methods derived from Surat al
Ahzab**

(An Applied objective study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	زكي فؤاد محمود الشريف	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:



الرقم Ref

ج س غ/35

التاريخ Date

10/02/2021م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ زكي فؤاد محمود الشريف لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ برنامج التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأحزاب
"دراسة قرآنية موضوعية"

Educational Directives and Methods Derived from Surat AL Ahzab

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاربعاء 27 جمادي الثانية 1442هـ الموافق 2021/02/10م الساعة الثانية عشرة مساءً، في قاعة اجتماعات كلية أصول الدين اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ. د. عبدالكريم حمدي الدهشان
.....	مناقشاً داخلياً	د. إبراهيم عيسى صيدم
.....	مناقشاً خارجياً	د. عبد الله علي الملاحي

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

الملخص

هدف الرسالة: هدف الباحث في رسالته إلى بيان التوجيهات التربوية القرآنية، وأساليبها المستنبطة من سورة الأحزاب، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر وقايةً وعلاجاً.

منهج الدراسة: ناسب موضوع البحث وهدفه أن يكون المنهج الاستنباطي هو الطريقة التي انتهجها الباحث خلال رسالته؛ لتحقيق الهدف المرجو، حسب منهجية التفسير الموضوعي.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين، وخاتمة.

أما عنوان الفصل الأول: التوجيهات التربوية في ضوء سورة الأحزاب، وذلك في مباحث أربعة: التوجيهات العقدية والتشريعية التعبدية والأخلاقية والعسكرية.

عنوان الفصل الثاني: الأساليب المستنبطة من التوجيهات التربوية في ضوء السورة.

أهم نتائج الدراسة:

١. سورة الأحزاب سورة مدنية بالإجماع، متعددة القضايا؛ ألغت عادات جاهلية سيئة، وشرعت أحكاماً لبناء البيت المسلم والمجتمع المسلم المتماسك، وتحدثت عن غزوة الأحزاب ونصر الله للحق وأهله، ثم ذكرت الإنسان بعظم الأمانة التي حملها على عاتقه.
٢. التوجيهات التربوية القرآنية وأساليبها تساهم بشكل قوي في بناء الفرد المسلم بناءً شمولياً وسطياً يصلح لقيادة الدنيا وخلافتها وعمارتها على مراد الله تعالى.
٣. إعادة ترتيب أفكار المسلم المعاصر من خلال إلقاء الضوء على بعض المصطلحات والمفاهيم في السورة، والتمييز بين العقدي منها والتشريعي والأخلاقي والعسكري، وتوضيح معانيها لغةً واصطلاحاً، وآثارها التربوية، بالأساليب البيانية المتنوعة وتوظيفها بحكمة في الدعوة إلى الله.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث نفسه وطلاب العلم بتقوى الله عز وجل أولاً، وبذل الجهد في تحصيل العلم النافع؛ لعمارة الدنيا بدين الله، وأشرف هذه العلوم العلم الشرعي، وفي مقدمتها القرآن الكريم وعلومه.
٢. الدعم المعنوي والمادي لدور القرآن الكريم، في المساجد والمراكز والجامعات، ووسائل الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي، وحث النخب عموماً على تحصيل ما تيسر من دراسة قرآنية.
٣. تضمين مادة أساسية للقرآن الكريم وعلومه في كل المراحل والتخصصات الدراسية؛ إعداداً لجيل معركة وعد الآخرة، ولتحرير أسرانا ومسرانا وكل بلادنا.

Abstract

The researcher aimed to explain the Quranic educational directives and methods derived from Surat Al-Ahzab, and to benefit from them in our contemporary reality in terms of prevention and treatment.

The study used the deductive approach which was deemed suitable for the research topic and aim in order to achieve the desired goal, according to the methodology of objective interpretation.

The study included an introductory chapter, two chapters, and a conclusion. The first chapter was entitled 'Educational Directives in Light of Surat Al-Ahzab', and was divided into four sections: doctrinal, legislative and devotional, moral and military directives. The second chapter had the title 'The Methods Deduced from the Educational Directives in Light of Surah Al-Ahzab'

The most important results of the study are the following:

1. Surat Al-Ahzab is a Medinan surah by consensus of scholars and tackles multiple issues; it abolished bad jahili [pre-Islam] habits, and legislated provisions for building a Muslim home and a cohesive Muslim community. The Surah talked about the Ahzab's conquest and the victory of Allah for truth and its people, then reminded the human being of the greatness of the responsibility man had taken upon himself or herself.
2. The Quranic educational directives and methods contribute strongly to building the Muslim individual holistically and moderately, making him suitable for leading and living this world according to the commands of Allah Almighty.
3. Re-ordering the ideas of the contemporary Muslim by shedding light on some terms and concepts in the surah, distinguishing between the doctrinal, legislative, moral and military ones, and clarifying their meanings lexically and conventionally, and highlighting their educational effects, using various rhetorical methods and employing them wisely in calling to Allah (SWT).

The main recommendations of the study are the following:

1. The researcher recommends himself and students of knowledge to fear Allah Almighty first, and to exert efforts to acquire useful knowledge in order to live in this world based on the religion of Allah, and the most honourable of these sciences is the religious science, foremost among which is the Holy Quran and its sciences.
2. Offering moral and material support for the role of the Noble Quran in mosques, centers and universities, the media, and social networking sites, and urging the elites in general to obtain what is available from the Quranic study.
3. Including the Noble Quran and its sciences as an essential subject in all academic levels and majors in order to prepare for the battle generation of the promise of the afterlife, and for the liberation of our prisoners, Al-Aqsa Mosque, and all of our country.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا ﴾

صدق الله العظيم

[الإسراء : ٩]

الإهداء

أقدم ثمرة هذا البحث المتواضع؛ حسبة لله تعالى؛ طمعاً في مثوبته، ورجاءً في مغفرته إلى روح والدي الطاهرة.. الذي كان دائماً يحثني وإخوتي على التفوق العلمي.

إلى نور قلبي.. أُمي _ حفظها الله _ التي عانقت روحها روحي، والتي ربّتنا على طريق ذات الشوكة، وعانت معي مرارة الطريق إلى الله، ودفعت معي ضريبة كلمة الحق في وجه الطواغيت بألم السجن والإبعاد عنها، لكنني أستشعر دعاءها الدائم لي في كل توفيق ونجاح.

إلى أشقائي الأقمار الثلاثة وأزواجهم وأولادهم.. فأنتم أوفى وأحب وأخلص من عرفت..

إلى شقيقتي الأميرات الكريمات.. دمتن تاجاً على رؤوسنا، وأزواجكن الكرام وأولادكن وبناتكن وأصهاركن الغالين جميعاً.. وأخص بالذكر روح الحبيب عمار جابر _ رحمه الله.

إلى عائلتي وأقاربي جميعاً لأبي وأمي.. رفع الله قدركم، وقدر عائلتنا الأصيلة.

إلى بلدي بينا وقدسنا المحررة قريباً _ بعون الله _ ثم بسواعد العز المجاهدة المظفرة.

إلى شريكة الدرب زوجتي الأصيلة أم بلال، الشمعة التي تضيء بيتنا عطاءً وتفانياً بصمت دون كلل ولا ملل، وكان لها الفضل _ بعد الله تعالى _ في تميز الأسرة بتخريج حفظة لكتاب الله، وتفوق الأبناء في دراستهم.

إلى رأس مالي وفلذات كبدي أبنائي: د. بلال، م. معاذ، وتسليم وزوجها محمد، وعفاف، ورغد، ونزار، وبيسان، وأسيد، ومسك، وخفيتي تولين.. حفظكم الله ورعاكم

إلى أرواح الشهداء جميعاً _ تقبلهم الله _ وأخص منهم حبيبي وجاري وشيخي العالم الشهيد _ بإذن الله _ د. نزار ريان الذي أوصاني بدراسة كلية وماجستير أصول الدين بعد تخصصي السابق في الرياضيات بقوله: "تور على نور"، وكذلك روح رفيق دربي وتوأمي الأسد الشهيد _ بإذن الله _ أبو عادل بسام رحمه الله.

إلى أسرارنا البواسل خلف قضبان الاحتلال الصهيوني الغاشم، المحررين قريباً بعون الله..

إلى أعظم حركة تحرر وطني في عصرنا، حركة المقاومة الإسلامية الغراء، فهم الأمناء على شعب ووطن وقضية وهوية.

وإلى كل من ساهم معي في هذا الإنجاز بأي جهد أو نصيحة أو دعاء..

أهدي لكم جميعاً هذا العمل المتواضع وفاءً لكم، وعرفاناً بفضلكم بعد الله تعالى

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد في الأولى والآخرة، حمداً يوازي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على خير معلم الناس الخير.

انطلاقاً من تعاليم ديننا الحنيف، بالوفاء لأهل الفضل من الناس، وحفظ جميلهم، وعملاً بحديث النبي (ﷺ): (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

أوجه الشكر والعرفان لصرح فلسطين الشامخ الجامعة الإسلامية في قطاع غزة التي خرجت العلماء والعظماء والشهداء، وأخص بالذكر منها قسم الدراسات العليا في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بكل مكوناتها، والتي تعلمت منها الكثير..

أتقدم بجزيل شكري لمشرفي صاحب الهمة العالية الأستاذ الدكتور/ عبد الكريم حمدي الدهشان الذي ما فتر، ولا ملّ من المتابعة الدؤوبة معي خطوة بخطوة، منذ بداية اعتماد خطة الرسالة حتى هذه اللحظة، بتوجيهاته ونصحه وخبرته وعلمه، شكر الله له حسن متابعته، وجهده المقدر، ودمائه أخلاقه العالية.

وجزيل شكري إلى المشرفين الكريمين، اللذين تشرفت بكونهما مناقشين لي في رسالتي

المشرف الداخلي الدكتور/ إبراهيم عيسى صيدم

المشرف الخارجي الدكتور/ عبدالله علي الملاحي

والشكر موصول لأساتذة المساقات في الدراسات العليا الذين غمرونا بعلمهم الواسع، وأخلاقهم الرفيعة، ومعاملتهم الراقية، كلٌ باسمه ولقبه، فجزاهم الله عنا خيراً.

أسأل الله تعالى أن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يزدني علماً، وأن يجعل هذه الدراسة حجة لي لا علي، وأن يجعلها من العلم الذي يُنتفع به بعد استشهادي أو مماتي إن ربي سميع مجيب

الباحث/

زكي فؤاد محمود الشريف

فهرس المحتويات:

إقرار	أ
نتيجة الحكم على أطروحة الماجستير	ب
الملخص	ت
Abstract	ث
الإهداء	ح
شكر وتقدير	خ
فهرس المحتويات:	د
المقدمة	١
أولاً/ أهمية اختيار الموضوع:	٢
ثانياً/ أسباب اختيار الموضوع:	٢
ثالثاً/ أهداف البحث وغاياته:	٢
رابعاً/ الدراسات السابقة:	٣
خامساً/ منهج الدراسة:	٣
سادساً/ خطة البحث:	٤
الفصل التمهيدي	٩
المبحث الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث	١٠
المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية	١٠
المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية:	١١
المبحث الثاني: تعريف عام بالسورة	١٢
المطلب الأول: اسم السورة ولقبها وسبب التسمية	١٢
المطلب الثاني: أسباب نزول السورة	١٤
المطلب الثالث: سنة نزول السورة، والمرحلة، والترتيب	١٥
المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ في السورة	١٦
المطلب الخامس: معنى كلمة الأحزاب	١٨
المطلب السادس: دلالات الحزب في النص القرآني	٢١
المطلب السابع: تعريف الحزب في الحديث النبوي	٢٣

المطلب الثامن: مشروعية الأحزاب في الإسلام.....	٢٤
المبحث الثالث: موضوعات السورة، وأغراضها، وأبرز مقاصدها.....	٢٧
المطلب الأول: موضوعات السورة.....	٢٧
المطلب الثاني: أغراض السورة.....	٢٨
المطلب الثالث: أبرز مقاصد السورة.....	٢٩
المبحث الرابع: مناسبات تتعلق بالسورة.....	٣٠
المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.....	٣٠
المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها "سورة السجدة".....	٣٢
المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها "سورة سبأ".....	٣٣
المطلب الرابع: المناسبة بين أول السورة وآخرها:.....	٣٤
الفصل الأول: التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب.....	٣٥
المبحث الأول: التوجيهات التربوية العقيدية في ضوء سورة الأحزاب.....	٣٦
المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.....	٣٧
المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأقسامه.....	٣٨
المطلب الثالث: الأثر التربوي للعقيدة على الفرد والمجتمع:.....	٤٠
المطلب الرابع: وجوب تقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.....	٤٣
المطلب الخامس: وجوب عدم طاعة الكافرين والمنافقين.....	٤٨
المطلب السادس: لا يجتمع في قلب الإنسان الكفر والإيمان والهدى والضلال.....	٥٠
المطلب السابع: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف وثواب الآخرة.....	٥٢
المطلب الثامن: تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأنكار والتسابيح.....	٥٧
المطلب التاسع: علم الله المطلق بكل شيء.....	٥٩
المطلب العاشر: تكريم النبي ﷺ وجزاء إيدائه وإيذاء المؤمنين.....	٦٠
المطلب الحادي عشر: تهديد المنافقين والكفار وبيان جزائهم.....	٦٥
المطلب الثاني عشر: أسماء الله الحسنى في فواصل سورة الأحزاب وثمارها التربوية.....	٦٧
المبحث الثاني: التوجيهات التربوية التشريعية والتعبدية في ضوء سورة الاحزاب.....	٦٩
المطلب الأول: تحريم الظَّهَار.....	٧٠
المطلب الثاني: تحريم التبني ونسبة الابن إلى غير أبيه.....	٧٤

المطلب الثالث: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض.....	٨٠
المطلب الرابع: خصائص أهل بيت النبوة.....	٨٤
المطلب الخامس: بيان أحكام الطلاق في التشريع الإسلامي.....	٨٨
المطلب السادس: محارم المرأة المسلمة وإبداء ما ظهر من الزينة لهم.....	٩٨
المطلب السابع: وجوب ستر المرأة.....	١٠٢
المبحث الثالث: التوجيهات التربوية الأخلاقية في ضوء سورة الأحزاب.....	١١١
المطلب الأول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم.....	١١٢
المطلب الثاني: ترسيخ مبدأ الشورى في ضوء غزوة الأحزاب.....	١١٤
المطلب الثالث: تخيير زوجات النبي بين الدنيا والآخرة ومقدار ثوابهن وعقابهن.....	١١٧
المطلب الرابع: تزويج الله تعالى زينب للنبي.....	١٢٠
المطلب الخامس: أمر الله نبيه بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وترك أداهم، ويتوكل على الله.....	١٢٢
المطلب السادس: آداب الاستئذان في البيت النبوي وبيوت المسلمين.....	١٢٤
المطلب السابع: تحريم إيذاء الأنبياء.....	١٢٩
المطلب الثامن: أمر المؤمنين بتقوى الله والقول السديد وبيان جزاء ذلك.....	١٣١
المطلب التاسع: بيان أمانة التكليف وأثرها في تصنيف المكلفين.....	١٣٣
المبحث الرابع: التوجيهات التربوية الجهادية في ضوء سورة الأحزاب.....	١٣٨
المطلب الأول: بين يدي غزوة الأحزاب.....	١٣٩
المطلب الثاني: موقف كل من المؤمنين والمنافقين من الأحزاب.....	١٤٣
المطلب الثالث: موقف كل من المشركين واليهود في غزوة الأحزاب.....	١٥٢
المطلب الرابع: مواقف جهادية للمؤمنين في ضوء غزوة الأحزاب وبني قريظة.....	١٥٤
المطلب الخامس: الغدر والخيانة سحبة متأصلة في اليهود في ضوء غزوة الأحزاب.....	١٦١
الفصل الثاني: الأساليب البيانية المستنبطة من التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب.....	١٧٠
المطلب الأول: أسلوب التوكيد.....	١٧١
المطلب الثاني: أسلوب النداء.....	١٧٤
المطلب الثالث: أسلوب الشرط.....	١٧٦
المطلب الرابع: أسلوب القصر.....	١٨٠
المطلب الخامس: أسلوب الاستثناء.....	١٨٣

المطلب السادس: أسلوب القسم.....	١٨٦
المطلب السابع: أسلوب الأمر والنهي.....	١٨٨
المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.....	١٩٣
المطلب التاسع: أسلوب ضرب الأمثال.....	١٩٤
المطلب العاشر: أسلوب علاقة الفاصلة بموضوع الآية.....	١٩٧
الخاتمة.....	٢٠٢
أولاً: أهم النتائج.....	٢٠٢
ثانياً: أهم التوصيات.....	٢٠٤
المصادر والمراجع.....	٢٠٦
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....	٢٢٢
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....	٢٣١
ثالثاً: فهرس الأعلام.....	٢٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، حمداً يليقُ بجلال وجهه وعظيم سلطانه، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، والصلاة والسلام على رسول الله، خير خلق الله، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، نزل بالقرآن الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

أما بعد:

فقد شرفني الله تعالى بدراسة خير كتاب أنزل على البشرية، وهداني إلى التلذذ والاستمتاع بالتخصص في قسم التفسير وعلوم القرآن، وإن للعلم النافع لذة، وللعلم الشرعي متعة خاصة، ولعلوم القرآن لذة ومتعة وأجراً وشرفاً، فالقرآن الكريم كتاب هداية للبشرية لما فيه خيري الدنيا والآخرة لهم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبيراً﴾ [الإسراء: ٩]

وإن سور القرآن الكريم كما البساتين في عبيرها، وألوانها، وأزهارها، وثمارها المتنوعة، فكل سورة تُشكّل بستاناً خاصاً مستقلاً بذاته من جهة، ومتعلقاً بغيره من البساتين من جهة أخرى؛ حتى إذا جُمعت البساتين وجدت نفسك في جنة الله في الأرض، والتي هي السبيل إلى جنة الله في الآخرة.

وقد وفقني الله تعالى أن أجول في بستان

سورة الأحزاب؛ لأتنسّم عبير أزهار توجيهاتها التربوية الرقراقة، وأقتطف من ثمرات أساليبها المستنبطة.

وفي ضوء ما عرضته السورة من قضايا تربوية عديدة ومتنوعة، في مناحي الحياة كافة: كالجانب العقدي، والتعبدية، والأخلاقي، والاجتماعي، كانت دراستي بعنوان:

(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأحزاب - دراسة موضوعية تطبيقية)

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي كل من ساهم فيه خير الجزاء، وأن يكون من العلم الذي يُنتفع به، إنه قريب مجيب.

أولاً/ أهمية اختيار الموضوع:

وتتمثل في عدة نقاط من أهمها:

- ١- حُسن الفهم لكلام الله ومراده.
- ٢- استخلاصُ العبر والدروس من سورة الأحزاب.
- ٣- تربيةُ الفرد والأسرة والمجتمع والأمة من خلال تعاليم السورة وأحكامها.
- ٤- فهم سُنن الله الكونية من خلال دراسة أحداث السورة.
- ٥- التعمُّقُ في فهم السيرة النبوية من خلال الأحداث التي تعرضت لها السورة.
- ٦- استنباط الأحكام الشرعية والفقهية من خلال السورة.
- ٧- التعبد لله تعالى من خلال مدارس السورة ومعايشتها.
- ٨- الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه خلال مدارس السورة.
- ٩- تحقيق الحياة الطيبة بعد استخلاص التوجيهات الربانية من ثنايا السورة.
- ١٠- ترك أثر وأساس يبنى عليه الباحثون بعدنا في السورة.
- ١١- الاجتهاد في تشكيل إضافة نوعية ذات قيمة في مكتبة علم التفسير في موضوعات السورة وتوجيهاتها التربوية.

ثانياً/ أسباب اختيار الموضوع:

- ١- تشابه وقائع السورة بين الأمس واليوم، وذلك بتكالب الأحزاب على النبي ﷺ وصحبه الكرام بما يحدث اليوم من تكالب مشروع الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة وأذنانهم من المطبوعين معهم وتحزيبهم جميعاً ضد الإسلام اليوم.
- ٢- الغوص في عمق سورة الأحزاب للاستفادة من أحداثها في زماننا المعاصر.
- ٣- إبراز كنوز السورة وإسهامها في بناء الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم والأمة المسلمة.
- ٤- إبراز الروح القتالية في جهاد أصحاب عقيدة التوحيد ضد الكفر وأوليائه.

ثالثاً/ أهداف البحث وغاياته:

- ١- إبراز التوجيهات التربوية بشموليتها في سورة الأحزاب وكيفية الاستفادة منها في مجابهة أحزاب الباطل المعاصرين.
- ٢- تحقيق الأمن الفكري الوسطي المعتدل الشمولي من خلال السورة.

٣- التأكيد على تحرير عقيدة الولاء والبراء وحاجتنا الماسة لها اليوم في ظل تهافت عربي للتطبيع مع العدو الصهيوني.

٤- ترسيخ معاني عقيدة اليقين لدى المجاهدين في سبيل الله والتي تجلت في سورة الأحزاب.

٥- فضح الطابور الخامس من المنافقين للحذر منهم ومعرفة كيفية وقاية الجبهة الداخلية منهم.

٦- بيان فضل الدعوة إلى الله التي شرف الله بها الرسل ووصفها في نهاية السورة بالأمانة.

رابعاً/ الدراسات السابقة:

- بحث: القيم والأساليب التربوية المستنبطة من سورة الأحزاب للباحث حسن الرشيد محمد عثمان، الجامعة أم درمان الإسلامية، نوع الرسالة ماجستير
- بحث: القيم والأساليب التربوية المستنبطة من سورة الأحزاب للباحث دفع الله عبد القادر البشير فضيل، جامعة أم درمان الإسلامية، نوع الرسالة رسالة دكتوراه.

وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

في استنباط الآثار التربوية لكل مطلب ومبحث وفصل، بل للسورة بأكملها بما يناسب الظرف الذي يحيط بالأمة الإسلامية المستهدفة من أحزاب الكفر والنفاق التي تكالبت عليها في واقعنا المعاصر، وربط الماضي بالحاضر حتى تتضح الرؤية في فهم الواقع، واستشراف المستقبل الذي يحدوه الأمل واليقين، بأن المستقبل للإسلام.

خامساً/ منهج الدراسة:

- ١- دراسة تفسير سورة الأحزاب من التفاسير المعتمدة.
- ٢- اعتماد منهج الاستقراء لآيات سورة الأحزاب ثم استنباط توجيهاتها التربوية وإبراز أساليبها المتنوعة.
- ٣- ترجمة الأعلام الواردة في البحث حسب الحاجة.
- ٤- ربط الآيات بالواقع المعاصر من خلال التفسير المجمل للسورة.
- ٥- التأكيد على المعاني التربوية والتوجيهات المتنوعة في السورة.
- ٦- تقسيم البحث إلى العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
- ٧- الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار وفق نظام وأصول البحث المتعارف عليها.

- ٨- الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين والمفكرين مع التوثيق بالحاشية حسب الأصول.
- ٩- استحضار قيمة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق.
- ١٠- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات.

سادساً/ خطة البحث:

يتكون هذا البحث من:

مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين وخاتمة، ثم خُتم البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للآيات القرآنية، وثالث للأحاديث النبوية، وفهرس للأعلام والتراجم، ثم بفهرس للموضوعات الواردة في البحث، فجاءت الخطة على النحو التالي:

• المقدمة:

وفيه أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، ثم خطة البحث.

• الفصل التمهيدي:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة ولقبها وسبب التسمية.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.

المطلب الثالث: سنة النزول، والمرحلة، والترتيب.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ في السورة.

المطلب الخامس: معنى كلمة الأحزاب.

المطلب السادس: دلالات الحزب في النص القرآني.

المطلب السابع: تعريف الحزب في الحديث النبوي.

المطلب الثامن: مشروعية الأحزاب في الإسلام.

المبحث الثالث: موضوعات السورة، وأغراضها، وأبرز مقاصدها

وهذا المبحث يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موضوعات السورة

المطلب الثاني: أغراض السورة

المطلب الثالث: أبرز مقاصد السورة.

المبحث الرابع: مناسبات تتعلق بالسورة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها "سورة السجدة".

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها "سورة سبأ".

المطلب الرابع: المناسبة بين أول السورة وآخرها.

الفصل الأول: التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التوجيهات التربوية العقيدية في ضوء سورة الأحزاب.

وفيه اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأقسامه.

المطلب الثالث: الأثر التربوي للعقيدة على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: وجوب تقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.

المطلب الخامس: وجوب عدم طاعة الكافرين والمنافقين.

المطلب السادس: لا يجتمع في قلب الإنسان الكفر والإيمان والهدى والضلال.

المطلب السابع: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف وثواب الآخرة.

المطلب الثامن: تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأذكار والتسابيح.

المطلب التاسع: علم الله المطلق بكل شيء.

المطلب العاشر: تكريم النبي ﷺ وجزاء إيدائه وإيذاء المؤمنين.

المطلب الحادي عشر: تهديد المنافقين والكفار وبيان جزائهم.

المطلب الثاني عشر: أسماء الله الحسنى في فواصل سورة الأحزاب وثمارها التربوية.

المبحث الثاني: التوجيهات التربوية التشريعية والتعبدية في ضوء سورة الأحزاب.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تحريم الظهار.

المطلب الثاني: تحريم التبني ونسبة الابن إلى غير أبيه.

المطلب الثالث: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض.

المطلب الرابع: خصائص أهل بيت النبوة.

المطلب الخامس: بيان أحكام الطلاق في التشريع الإسلامي.

المطلب السادس: محارم المرأة المسلمة وإبداء ما ظهر من الزينة لهم.

المطلب السابع: وجوب ستر المرأة.

المبحث الثالث: التوجيهات التربوية الأخلاقية في ضوء سورة الأحزاب

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم.

المطلب الثاني: ترسيخ مبدأ الشورى في ضوء غزوة الأحزاب.

المطلب الثالث: تخيير زوجات النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة ومقدار ثوابهن وعقابهن.

المطلب الرابع: تزويج الله تعالى زينب للنبي ﷺ.

المطلب الخامس: أمر الله نبيه بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وترك أذاهم، وأن يتوكل على الله.

المطلب السادس: آداب الاستئذان في دخول البيت النبوي وبيوت المسلمين.

المطلب السابع: تحريم إيذاء الأنبياء.

المطلب الثامن: أمر المؤمنين بتقوى الله والقول السديد وبيان جزاء ذلك.

المطلب التاسع: بيان أمانة التكليف وأثرها في تصنيف المكلفين.

المبحث الرابع: التوجيهات التربوية الجهادية عسكرية في ضوء سورة الأحزاب

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي غزوة الأحزاب.

المطلب الثاني: موقف كل من المؤمنين والمنافقين من الأحزاب.

المطلب الثالث: موقف كل من المشركين واليهود في غزوة الأحزاب.

المطلب الرابع: مواقف جهادية للمؤمنين في ضوء غزوة الأحزاب وبني قريظة.

المطلب الخامس: الغدر والخيانة سجية متأصلة في اليهود في ضوء غزوة الأحزاب.

المطلب السادس: الآثار التربوية المستخلصة من غزوة الأحزاب.

الفصل الثاني: الأساليب المستنبطة من التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب التوكيد.

المطلب الثاني: أسلوب النداء.

المطلب الثالث: أسلوب الشرط.

المطلب الرابع: أسلوب القصر.

المطلب الخامس: أسلوب الاستثناء.

المطلب السادس: أسلوب القسم.

المطلب السابع: أسلوب الأمر والنهي.

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

المطلب التاسع: أسلوب ضرب الأمثال.

المطلب العاشر: علاقة الفاصلة بموضوع الآية.

وهذه الأساليب في مجملها يكمل بعضها بعضاً لتصب في النهاية في التربية الصحيحة التي

تنتج لنا جيلاً ومجتمعاً ربانياً واقعياً وسطياً شمولياً متوازناً.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث.

الفهارس، وتتضمن:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام والتراجم.
- فهرس الموضوعات: (ويكون في مقدمة الدراسة؛ تبعاً للمنهجية المتبعة في خطة عمادة البحث العلمي).

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية

أ. التوجيهات لغةً: مأخوذة من الوجه، قال ابن منظور: "الْوَجْهُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الْوُجُوه. وَوَجْهٌ الْكَلَامُ: السَّبِيلُ الَّذِي تَقْصِدُهُ بِهِ"^(١).

ب. التوجيهات اصطلاحاً: التوجيه هو إيرادُ الكلامِ بحيثِ يحتملُ وجهين مختلفين^(٢)، وهي الإرشادات الإرشادات والوصايا التي يقدمها الفرد أو الجهة ذات الصلة والاختصاص لغيره على مستوى الفرد والجماعة، وفق تعاليم الدين الحنيف، وأحكام الشريعة الغراء؛ بهدف هدايته واستقامته والتزامه بأوامر الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؛ للفوز بسعادتي الدنيا والآخرة.

ج. التربية لغةً: وردت كلمة التربية في مراجع اللغة بعدة معانٍ منها: "(رَبَا) الشَّيْ: زَادَ وَقَوْلُكَ: (أَرَبَيْتَ) إِذَا أَخَذْتَ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيتَ، وَ(رَبَّاهُ تَرْبِيَةً) وَ(تَرْبَاهُ) أَيُّ: "غَدَاهُ، وَهَذَا لِكُلِّ مَا يَنْمِي كَالْوَلَدِ وَالزَّرْعِ وَنَحْوِهِ"^(٣)، فهي بمعنى: الزيادة والنمو والعلو^(٤)، ووردت في مفردات غريب القرآن بمعنى: الإشراف"^(٥).

د. التربية اصطلاحاً: عُرِفَت التربية بأنها: "إنشاءٌ متدرجٌ لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله"^(٦)، وهي كذلك عمليةٌ منهجيةٌ متدرجةٌ؛ تهدف إلى تنشئة الإنسان الصالح وتكوينه وفقاً لغاية الخالق^(٧).

ومن خلال التعريفات السابقة، وأيضاً من خلال عمل الباحث رئيساً لهيئة التوجيه السياسي والمعنوي، يرى الباحث أنّ التوجيهات التربوية هي: مجموعة الإرشادات والوصايا والدلائل التربوية، سواءً كانت في الجوانب العقائدية، أو التعبديّة، أو الاجتماعيّة، أو السلوكيّة، أو الفكرية، التي اشتملت عليها سور القرآن الكريم عامة وسورة الأحزاب خاصة، والتي تعمل على توجيه الإنسان المسلم في مراحل حياته المختلفة.

(١) لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ٥٥٥)

(٢) التعريفات، الجرجاني (١/ ٦٩).

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ص ١١٧).

(٤) مقاييس اللغة، الرازي (٢/ ٤٨٣).

(٥) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (٣٤٠)

(٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٧٩٠)

(٧) انظر: مقدمة في التربية الإسلامية، أبو دف، (ص ٣)

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية:

أ. الأسلوب لغةً: هو السَّطْرُ من النَّخِيل، وَكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدٍّ فَهُوَ أُسْلُوبٌ، وَالْأُسْلُوبُ: الْوَجْهُ والمَذْهَبُ، ويجمع على أساليب، والأسلوب، بِالضَّمِّ: الْفَنُّ، يُقَالُ: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أُسَالِيبٍ مِنَ الْقَوْلِ، أَيِ أَقَانِينٍ مِنْهُ^(١).

ب. الأسلوب اصطلاحاً: "هي الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"^(٢)، ويرى الباحث أنَّ الأسلوب القرآني هو: الطريقة التي انفرد بها القرآن الكريم في اختيار ألفاظه، ونظم كلامه، وبتَّ توجيهاته التي يستفاد منها في إرشاد المسلم وتوجيهه.

(١) انظر لسان العرب - ابن منظور - (٤٧٣/١)

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (٣٠٣/٢)

المبحث الثاني:

تعريف عام بالسورة

ويشتمل هذا المبحث على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة ولقبها وسبب التسمية

اسمها التوقيفي هو سورة الأحزاب، ولا يُعرف لها اسم آخر غيره، ففي حديث أبي بن كعب لزرٍ _ رضي الله عنهما _ : كم تعدون سورة الأحزاب؟ فقال زر: ثلاثاً وسبعين آيةً، فقال أبي: فوالذي يحلفُ به أبي بن كعبٍ إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول، ولقد قرأنا منها آية الرجم: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة^(١) نكالا من الله والله عزيز حكيم)^(٢).

وأما لقبها، فقد أطلق بعض أهل العلم على سورة الأحزاب لقب "الفاضحة"؛ لأنها فضحت المنافقين وأبانت شدة إيدائهم للرسول ﷺ في أزواجه وتألبهم عليه في وقعة الأحزاب^(٣).

سبب تسمية السورة بالأحزاب:

يقول عامة المفسرين: إنها سُميت سورة الأحزاب؛ لأنها ذكرت قصة غزوة الأحزاب، والتي تُعرف بغزوة الخندق، التي تحزَّب فيها كُفَّارُ مَكَّةَ مع كُفَّارِ الأعراب، وقبيلة غطفان مع يهود المدينة كبنِي قريظة، حين أرادوا غزو المسلمين في المدينة، ومحاولة استئصالهم^(٤).

تكاثفوا جميعاً وتحزَّبوا واجتمعوا أحزاباً لمواجهة لرسول الله ﷺ، وحرِباً على لإسلام والمسلمين، وإنَّ ما تروونه اليوم من تحزُّب ليس جديداً ولا حديثاً إنما هي خطةٌ حربيةٌ قديمةٌ رسمها الشيطان لأصحاب الأيام الخوالي السابقة ويرسمها لأصحاب هذه الأيام وأهل هذه الأزمان وفي كلِّ عصر، ولكنَّ الله أخزاهم وردَّهم بغيظهم وقتلهم بحقدهم وفرَّقهم عن رسول الله ﷺ حيث أعزَّه وأيده ونصره ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا﴾، فسميت السورة بذلك^(٥)، وذكر المهاييمي^(٦) أنها سميت بالأحزاب "لأن قصتها معجزةٌ لرسول الله متضمنة

(١) البتة: "لا أفعله البتَّةَ وبتَّةً": لكلِّ أمرٍ لا رجعة فيه". راجع القاموس المحيط (ص ١٤٧)، والمعجم الوسيط (ص ٣٧).

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢٧٤/١٠)، وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٣) مركز الفتوى-موقع إسلام ويب- رقم الفتوى: (٢٠٦٤٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٥/٢١).

(٥) المرجع السابق، (٢٤٥ / ٢١).

لنصره بالريح والملائكة؛ حيث كفى الله المؤمنين قتال المنافقين وهذا من أعظم مقاصد القرآن^(٢).

ويرى الباحث أنه وبالرغم من حديث السورة عن غزوة الأحزاب، إلا أن هناك أموراً أخرى قد اجتمعت على رسول الله ﷺ، وأحزنته وحزبته، فأخذ الله سبحانه وتعالى يُهدد عليه ويُسلية ويُواسيه في هذه الأحزان، فكان اسم الأحزاب لهذه السورة اسماً دالاً دلالةً بليغةً صريحةً لما فيها من موضوعاتٍ وأحداثٍ جسام، حزبت الرسول ﷺ والمؤمنين معه، وكان من جملة ما حزبه تحزب اليهود والكفار والمنافقين عليه في غزوة الأحزاب وبني قريظة من العام الخامس للهجرة.

(١) علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي . المشهور بـ(مخدوم على المهايمي)، ولد سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٤م ، وتوفي في سنة ٨٣٥هـ - ١٤٣٢م، مذهب: حنفي متصوف، تفسير القرآن المسمة بـ(تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير الى اعجاز القرآن). (كتاب المفسرون حياتهم ومنهجهم، السيد إيازي، ج/١، ص ٣٤٤).

(٢) تبصير الرحمن وتيسير المنان، المهايمي، (١٥٢/٢).

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة

لم يقف الباحث على سببٍ مُحدّدٍ موثوقٍ في نزول سورة الأحزاب ككل، وإنما تعدّدت أسبابُ نزول السورة، شأنها في ذلك شأنُ السور الطويلة في القرآن، فنزول الآيات يترافقُ مع حادثةٍ ما، أو سببٍ أو تشريعٍ، وتوجد أسباب لنزول بعض من آيات سورة الأحزاب، ومن هذه الأسباب:

(١) ذكر الواحدي أنّه لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأُنزل الله هذه الآية (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ)، فنزلت في زيد بن حارثة، ونُسِخَ التَّبَنِّي^(١)، وهو ما ذكره البغوي أيضاً في تفسيره، وعليه أكثر المفسّرين^(٢).

(٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرطٌ مرحّل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

(٣) قال قتادة: لما ذكر الله تعالى أزواج النبي ﷺ دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن: ذُكِرْتُنَّ وَلَمْ تُذَكَّرْ وَلَوْ كَانَ فِينَا خَيْرٌ لَذُكِرَ، فأُنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٤).

(١) انظر: تفسير الخازن والبغوي، (١٠٤/٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٨.

(٢) التَّبَنِّي: هو ضم طفل أجنبي إلى أسرة معينة، وجعله بمنزلة الابن الحقيقي أو الصليبي، له ما له، وعليه ما عليه من واجبات، يثبت له النسب كما يثبت للابن الحقيقي، (البيت المسلم في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ٤٣٧/٩)، ولم يرد لفظ (التبني) في القرآن الكريم.

(٣) راجع: تفسير الطبري: ١١٩/٢١، تفسير ابن كثير: ٤٦٥٩/٣، تفسير القرطبي: (١١٨/١٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، حديث (٢٤٢٤).

(٥) انظر: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، وينظر: التحرير والتنوير (٢٠/٢٣).

المطلب الثالث: سنة نزول السورة، والمرحلة، والترتيب

نزلت سورة الأحزاب سنة خمس من الهجرة، وقيل: سنة أربع، وهي السنة التي وقعت فيها غزوة الأحزاب، وتسمى أيضاً غزوة الخندق^(١).

وأما مرحلة النزول: فسورة الأحزاب مدنية بإجماع العلماء^(٢)، وتتناول قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين في المدينة تصويراً واقعياً مباشراً^(٣).

وأما ترتيبها، فهي السورة الثالثة والثلاثون في ترتيب المصحف، والتسعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الأنفال^(٤)، وتقع في الجزء الثاني والعشرين، والحزب الثاني والثالث بعد الأربعين من القرآن الكريم، وقد حوت سورة الأحزاب تشريعات إسلامية كثيرة، شأنها شأن كل السور المدنية، يقول الشيخ الصابوني^(٥): "تناولت حياة المسلمين الخاصة والعامة وبالأخص أمر الأسرة، فشرعت الأحكام بما يكفل للمجتمع السعادة والهناء وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة مثل التبني والظهار^(٦)، واعتقاد وجود قلبين لإنسان، وطهرت المجتمع من رواسب الخرافات والأساطير الموهومة التي كانت متفشية في الجاهلية^(٧)."

وقد استغرق نزولها ما يُقارب ثلاث سنوات، وربما أكثر من ذلك؛ لأنَّ أبي بن كعب رضي الله عنه - كما أسلفنا - حدَّث وأقسم على ذلك، أنَّ سورة الأحزاب كانت أكبر من سورة البقرة في طولها، وكان منها حديث: "والشيخ والشيخة..."، فرفع منها ما رفع أي نسخ الله منها ما نسخ، حتى بقيت هكذا بهذا الحجم المعروف في المصحف.

(١) راجع تفسير القرطبي (١٠٦/١٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٦٥/٢٥).

(٣) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٢٨١٧/٢١).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر، (٧٥/٦).

(٥) هو مُحَمَّد علي الصَّابُوني: أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، ومن المتخصصين في علم تفسير القرآن، وهو مؤلف كتاب "صفوة التفسير". اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون شخصية العام الإسلامية لعام ٢٠٠٧، وذلك لجهوده في خدمة الدين الإسلامي من خلال العديد من الكتب في المؤلفات وخاصة تفسير القرآن. المكتبة الشاملة الحديثة

(٦) الظهار: هو أن يشبه امرأته أو عضواً منها بمن تحرم عليه، ولو إلى أمد، أو بعضو منها، (لتحرير والتوير، ابن عاشور (١٢/٢٨).

(٧) انظر: مقاصد القرآن الكريم للحافظ المحدث/عبد الله التليدي (ص ٢١٩).

المطلب الرابع: الناسخ^(١) والمنسوخ^(٢) في السورة

عَنْ زَيْدِ بْنِ حَبِيشَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي بِن كَعْبٍ: "كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعْدُهَا؟" قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً، فَقَالَ: قَطُّ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتَعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَارْجُمُوهُمَا النَّبَتَةُ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٣)، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهَا قِرَاءَنُ ثُمَّ نُسِخَ لَفْظُهُ وَحُكْمُهُ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤)، وَلَهُ شَاهِدٌ يَرَوِيهِ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّحَّانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: "كَمْ تَقْرَءُونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟" قَالَ: بِضْعًا وَسَبْعِينَ آيَةً، قَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مِثْلَ الْبَقَرَةِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا، وَإِنَّ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ^(٥)،

والنسخ في القرآن يتنوع إلى أنواع ثلاثة: نسخ التلاوة والحكم معاً، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم، وهذا النسخ الحاصل في سورة الأحزاب لهذا القدر الكبير من الآيات، منه ما كان من قبيل نسخ التلاوة دون الحكم كآية الرجم، ومنه ما كان من قبيل نسخ التلاوة والحكم معاً - كما تقدم في كلام ابن كثير، وقال الزرقاني^(٦) رحمه الله: "وأما نسخ التلاوة دون الحكم: فيدلُّ على وقوعه ما صَحَّتْ روايته عن عُمر بن الخطاب وأبي بن كعب

(١) الناسخ: يطلق الناسخ على النص الذي رفع به الحكم السابق، سواء كان آية أو حديثاً قولياً أو فعلياً أو تقريرياً.

(٢) المنسوخ: الحكم الشرعي الذي رُفِعَ بدليل شرعي متراخٍ عنه؛ كمصابرة الواحد للعشرة، فهذا حكم منسوخ بمصابرته لاثنتين، كما في سورة الأنفال.

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢٧٤/١٠)، وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٤) انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ج ١٨ / ٥٨، و"تفسير ابن كثير (٣٣٥/٦).

(٥) يزيد بن أبي زياد ضعيف، لكن لا بأس به في الشواهد، فهذا يدل على أن سورة الأحزاب كانت سورة كبيرة كسورة البقرة، ولكن نُسِخَ معظمها، وهو الإمام المحدث أبو عبد الله، الهاشمي، مولا هم الكوفي، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، معدود في صغار التابعين. (سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٣٠).

(٦) "زوائد المسند" (٢١٢٠٧) عبد الله بن الإمام أحمد، وعبد الرزاق في "المصنف" (٥٩٩٠)، وابن حبان في "صحيحه" (٤٤٢٨)، والحاكم في "المستدرک" (٨٠٦٨)، والبيهقي في "السنن" (١٦٩١١)، وابن حزم في "المحلى" (١٧٥/١٢) من طريق عاصم بن بهدلة، وخلاصة حكم المحدث (ابن جرير الطبري): إسناده صحيح.

(٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني، الفقيه المالكي الأصولي، ولد بالقاهرة. نسبته إلى قرية زرقان بمحافظة المنوفية بمصر. له عدة مصنفات، منها: شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، وهو مطبوع، وله أيضاً: مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي؛ شرح موطأ الإمام مالك وغيرها. توفي بالقاهرة عام ١١٢٢ هـ. (كتاب الأعلام للزركلي)

أنهما قالوا: "كان فيما أنزل من القرآن: (الشيخ والشيخة..) الحديث، وهذه الآية لم يُعد لها وجود بين دفتي المصحف، ولا على السنة القراء، مع أن حكمها باقٍ على إحكامه لم يُنسخ"^(١).

وهذا ما تذكره بعض كتب التفسير من أن سورة الأحزاب كانت تساوي تقريباً سورة البقرة في طولها، لكن معظم السورة قد نُسخ، وقد ورد ذلك في تفسير القرآن لابن كثير في حديث رواه زر بن حبیش كما أسلفنا^(٢).

ما نُسخ تلاوة من سورة الأحزاب وبقي حكماً مثل الرجم لا يختص بالشيخين، بل يشمل الشابين أيضاً؛ لأن المراد بالشيخ والشيخة: الزاني المحسن كبيراً كان أو صغيراً، ولهذا فإن عمر لما طلب كتابتها في المصحف قال له النبي ﷺ: "لا أستطيع"^(٣).

ومما سبق نستطيع القول بأن فريضة الرجم للزاني الثيب، ثابتة بالسنة القولية والفعلية للكبير والصغير ورفض النبي ﷺ _ في حديث عمر _ كتابتها في المصحف لعلمه أنها ستُنسخ لفظاً.

ومن سورة الأحزاب ما نسخ حكمه وتلاوته معاً: حيث افتقد الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري وكاتب الوحي، شيخ المقرئين، مفتي المدينة، روى الحديث عن النبي ﷺ، وقرأ عليه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا..﴾ الآية، وهو ينسخ مصحف عثمان والآية محفوظة في صدره وصدور كثير من الصحابة، ولكنه لم يجدها مكتوبة إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري، "قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع الرسول ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا..﴾ [الأحزاب: ٢٣] فالحقناها في سورتها في المصحف"^(٤).

(١) كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، أنواع النسخ في القرآن، (٢/٢١٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، الحافظ ابن كثير، عن زر بن حبیش، الصفحة أو الرقم: (٦/٣٧٦)، إسناده صحيح.

(٣) راجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/١٠٠ - ١٠١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث ٣٨٢٣.

المطلب الخامس: معنى كلمة الأحزاب

لما كان البحث من أوله إلى آخره عن سورة الأحزاب، لم يكن يُستساغ للباحث أن يخلو بحثه من الوقوف على كلمة الأحزاب، وبيان معناها لغةً واصطلاحاً، ودلالاتها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وحتى في السياسة خاصةً في واقعنا المعاصر، وما يثار حول هذه الكلمة من جدل وإثارة الشبهات حول مشروعيتها، ومدى إيجابياتها وسلبياتها، وهذا ما سيأتي ذكره في المطالب التالية بإذن الله.

أولاً: المعنى اللغوي للأحزاب

الحِزْبُ لغةً: من حَزَب، الحاء والزاي والباء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ دالٌّ على التجميع، والحزب الجماعة من الناس، والحزب من الشيء الطائفة والأجزاء منه، ومنه الحزب من القرآن الكريم^(١)، ويؤكد ذلك ابن منظور في تعريفه للحزب بأنه بمعنى الورد، مستدلاً على ذلك بأن ورد الرجل من القرآن والصلاة حزبه، والحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة^(٢)، وأما مُعجم المعاني فقال حَزَبَ الأمرُ: اِشْتَدَّ، وأن النبي ﷺ (كان إذا حَزَبَهُ أمرٌ، قام فصلى)^(٣).

ثانياً: كلمة الأحزاب في سور القرآن

ذُكرت كلمة الأحزاب، والحزبين، وحزب في كتاب الله تعالى عشرين مرةً، في مواضع مختلفة من عدة سور في القرآن الكريم، وبمعاني مختلفة حسب السياقات المذكورة فيها. ومن السور التي وردت فيها كلمة "الأحزاب" ومفرداتها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ الَّذِينَ قَرَّوْا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٣/٢) - بتصرف.

(٢) انظر: معجم لسان العرب، لابن منظور. (ص ٣٠٩)

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، حديث رقم ١١٥٦، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنزَلَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]

ثالثاً: معاني كلمة الأحزاب في سور القرآن:

معنى الأحزاب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَبِينَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

قال القرطبي^(١): مِنَ الْأَحْزَابِ أَي: من جميع الملل والنحل والديانات^(٢).

والمقصود بالأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ..﴾ [الأحزاب: ٢٠] وبعدها مباشرة في نفس سورة الأحزاب قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ..﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فالأحزاب في سياق الآيات كما ذكر الحافظ ابن كثير_ هم قبائل قُريش وعُطفان وغيرها من القبائل التي تحزبت وتحالفت ضدَّ النبي ﷺ ودعوته وأصحابه لاستئصال شأفتهم^(٣).

معنى الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]، ذكر الطبري^(٤) بأن المقصود بالأحزاب في الآية هم الأمم الماضية التي تحزبت ضد الأنبياء^(٥)، والمعنى المشترك لكلمة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، ولد في قرطبة ما بين ٦٠٠ - ٦١٠ هـ، وعاش بها، ثم انتقل إلى المنيا بصعيد مصر حتى تُوِّفِّي فيها ٦٧١ هـ. صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة، بأحوال الموتى وأمور الآخرة وغيرها. (طبقات المفسرين للسيوطي، والأعلام للزركلي).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٧/٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٧٦/٦).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبي جعفر الطبري، مفسر ومؤرخ وفقيه، ولُقِّبَ بإمام المفسرين، ولد بآمل، إيران، عاصمة إقليم طبرستان عام ٨٣٩ هـ، وتوفي ٩٢٣ هـ، صاحب التفسير المعروف، تاريخ الأمم والملوك، ونهذيب الآثار وغيرها. (سير أعلام النبلاء)

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٧٩/٢١).

لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ [الكهف: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿أَسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ..﴾ [المجادلة: ١٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ..﴾ [الأحزاب: ٢٢]

فالمعنى المشترك للحزب في الآيات السابقة فقط هو: جماعة فيها غلظ^(١).

أما معنى الأحزاب في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] هم: أنصار الله، بعكس ما سبقها..

مما سبق يتأكد أنَّ معنى كلمة الأحزاب مُرتبطٌ بسياق الآيات، وليس له معنى ثابتٌ، فتارةً يَقْصُدُ بالأحزاب المَلَلَ والدِّيانات كما في سورة هود، وتارةً يَقْصِدُ بها القبائل العربية المُتَصَهِّنة التي طَبَّعتَ علاقتها مع اليهود وتحزَّبت معهم لاستئصال شأفة المؤمنين والمصلحين والمجاهدين من أهل السنة، وفي سياق بمعنى الأمم الماضية التي تحزَّبت ضد أنبيائهم، وفي سياق آخر بمعنى أنصار الله، وهكذا..

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي - بصيرة في الحزب، وابن منظور. لسان العرب (٣٠٨/١)، وابن فارس مقاييس اللغة (٥٥/٢). والرازي في التفسير الكبير (٣٢/١٢). والأصفهاني (ص ٢٣١).

المطلب السادس: دلالات الحزب في النص القرآني

وردت كلمة "حزب" بصيغة المفرد تسع مرات في سبع آيات من القرآن، كما وردت فيه بصيغة المثني "الحزبين" مرتين، وبصيغة الجمع "أحزاب" إحدى عشرة مرة في عشر آيات، وردت على أربع دلالات، يوضحها موضع اللفظ في النص، وحسب السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة.

الدلالة الأولى: حزب الله: وردت عبارة "حزب الله" ثلاث مرات في موضعين في القرآن، منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

ويرى الباحث أن هذه دلالة محمودة وإيجابية لكلمة حزب التي تعمدت جهات مضللة ومدفوعة بواجهة شرعية، وخلفية تدعمها أنظمة سياسية علمانية بهدف تشويه وتجريم كلمة الحزب شكلاً ومضموناً، ورفضها ومحاربتها بطريقة شعواء، وباستخدام وتوظيف الأدلة الشرعية والآيات القرآنية، بما يخدم مصالح وأغراض هذه الأنظمة الفاسدة؛ حتى لا يثور الناس على ظلمهم وطغيانهم، مصداقاً للحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)^(١)، كما تشير الآية أيضاً إلى أن ثمة حزباً صالحاً يجوز للمسلمين الانضمام إليه، والعمل تحت رايته شريطة أن يعمل بضوابط دين الإسلام الحنيف وسنة نبي الأمة محمد ﷺ بعيداً عن التعصب المذموم الذي يثبت الإسلام لنفسه ويكفر المخالفين له - والعياذ بالله- ولكن بهدف إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه وإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثم أستاذية العالم؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وتحرير البلاد والعباد من الظلم والطغيان؛ لذا وجب على المسلمين أن يتجمعوا ويتحزبوا لحفظ الدين وأهله وبلاده ومقدراته ومقدساته، فيقاتل الموحدون المشركين كافةً، كما يقاتلهم هؤلاء الطواغيت كافةً وعن قوس واحدة، ومن جميل ما قاله ابن عاشور عن وحدة المسلمين واعتصامهم جميعاً بحبل الله، حيث مثله بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقى إليهم منقذ لهم من غرق أو سقوط، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها^(٢). وكما في حديث عمر أن النبي ﷺ - في جزء من حديث - قال:

(١) أخرجه أبو داود، واللفظ له، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، وصححه الألباني على سنن أبي

داود، و رقم الحديث: (٤٣٤٤)

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٧٣/٣).

(فمن أحبّ منكم أن ينال بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد..)^(١).

الدلالة الثانية: حزب الشيطان: وردت عبارة "حزب الشيطان" ثلاث مرات في موضعين، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] أما هنا، فواضح أن الحزب في هذه المواضع يحمل دلالة سلبية، وتشير إلى أن التجمع تحت عباءة الحزب لا يهدي الإنسان دائماً، بل يمكن أن يضلّه.

الدلالة الثالثة: أحزاب مجهولة: يعالج القرآن قضية تعدد الأحزاب في بقية المواضع التي وردت كلمة حزب فيها حيث تدل هذه المواضع على عدة أحزاب أو حزبين. وبوسعنا أن نستنبط دالتين مختلفتين بصدد الأحزاب من هذه المواضع وأولهما تلمح إلى أحزاب مجهولة بينما ثانيهما تشير إلى الجنود الكفار الذين حاربوا الرسول ﷺ، وردت هذه الدلالة في (٨) مواضع، منها: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]

الدلالة الرابعة: جنود الكفار: ووردت هذه الدلالة في (٥) مواضع، منها:

قَالَ تَمَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب: ٢٢]

إن دلالة كلمة حزب في هذا السياق سلبية بلا شك إذ تشير إلى أن الأحزاب تسفر عن انشقاق المسلمين إلى طوائف تنكر الإسلام وتسبب التناحر وتفكيك الدين.

ولو نظرنا في هذه الدلالات الأربعة برمتها، فبإمكاننا أن نستنتج منها نقطتين، وأولهما: هي أن الحزب الوحيد الذي يجوز الانتماء إليه هو حزب الله، بينما لا يجوز تعدد الأحزاب؛ لأنه يؤدي إلى الضلال حتماً، وثانيهما: هي أن معنى كلمة الحزب ليس جامداً في النص القرآني، بل يتباين تبايناً حسب سياقه في النص على الرغم من تهجئة الكلمة لا تتغير، فكما رأينا سابقاً أنه يتحول داخل النص القرآني من تجمع الناس سواء كان تحت عباءة حزب الله أو حزب الشيطان أو أحزاب شتات إلى مجموعة معينة تسمى "الأحزاب".

(١) السلسلة الصحيحة، الألباني، الصفحة أو الرقم: ٤٣٠.

المطلب السابع: تعريف الحزب في الحديث النبوي

تتطابق بعض معاني كلمة حزب في الحديث مع معانيها في القرآن فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما ورد عن عليٍّ - رضي الله عنه - قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ ﷺ: (مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ)^(١)، وتدل لفظة أحزاب في هذا السياق على الجنود الكفار الذين حاربوا المسلمين وهذا من دلالات كلمة حزب الموجودة في النص القرآني، ولكن من ناحية أخرى، الأحاديث النبوية تحتوي على معاني أخرى لكلمة حزب لم ترد في القرآن، فمثلاً حديثُ عمر بن الخطاب يقول: قال ﷺ: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)^(٢)، وإن كلمة حزب في هذا الحديث لا تتعلق بأي معنى من المعاني القرآنية؛ لأنها لا تدل على تجمع الناس بأي شكل من الأشكال بل تعني ورْدُ الرَّجُلِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ^(٣).

ويمثل وجود معاني متعددة لكلمة حزب في الحديث دليلاً صريحاً على أن تغير مفهوم الحزب وتطوره أمر طبيعي لكن الأهم من ذلك أنه يدل بأن الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل كانوا يفرقون بين دلالات كلمة الحزب القرآنية وغير القرآنية؛ لأنهم لو لم يفعلوا لما فهموا أقوال النبي (ﷺ)، وهذا أمرٌ مهمٌ لفهم وتحليل إشكالات معالجة مفهوم الحزب في الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، حديث ٢٩٣١

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرَضَ، حديث

١٢٨٨

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٠٣/٤)

المطلب الثامن: مشروعية الأحزاب في الإسلام

أراد الباحث في هذا المطلب أن يفند شبهة معاصرة، حتى تتجلى الحقيقة للمسلمين دون تلبيس من إبليس الجن والإنس، إذ يذكر بعض المتدينين تجريم الأحزاب دون تمييز، مستدلين بأدلة عوراء ترى بعين واحدة، وهي أن كل الأحزاب ضالة، وأن كل حزب بما لديهم من أنصار وأتباع فرحون تعصباً لحزبيتهم المذمومة - بزعمهم - هي على باطل، فهل من الإنصاف والعدل أن يستدلوا بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ويتعاملوا عن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ما لهم كيف يحكمون؟ أم هي الأهواء، وعبودية الملوك والأمراء والطواغيت؟!

ونحن في بلادنا المباركة فلسطين المغتصبة من عدو، هو أشد الناس عداوةً لله ولرسوله وللمؤمنين، لا يسعنا أن ندحر هذا المغتصب لبلادنا، والمدعوم من العالم الظالم عرباً وعجماء؛ إلا إذا رميناه بيد موحدة وصف واحد، (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)^(١)، ومن هنا اجتهدت ألا يفوتني في رسالتي هذه كشف هذه الشبهة؛ حتى لا تلتبس الأمور على الناس، ونعمل معتصمين بحبل الله جميعاً؛ حتى نحرر أسرانا ومسرانا وكل بلادنا، وإعادة لاجئينا بعز عزيز للإسلام وأهله، أو بذل ذليل يذل الله به الاحتلال وأعوانه، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(٢)، ولن يتم واجب التحرير إلا بالوحدة والتحزب في صف واحد كالبنيان المرصوص لمقاومة العدو من خلال عمل منظم لا فوضى فيه.

يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، قال القرطبي أي: من فوض أمره إلى الله، وامتنل أمر رسوله، ووالى المسلمين، فهو من حزب الله، ولا شك أن أنصار الله وأوليائه هم المنتصرون والغالبون، فكلمة (حزب) هنا تعني جماعة من المسلمين، ولا تعني بالضرورة جماعة المسلمين، وإن حزب الرجل هم أصحابه، وهم الجماعة الذين تحزبوا له واجتمعوا عليه^(٣) وهذا يؤكد أولاً وجود الحزبية في الإسلام، ويؤكد أن حزب الله من بين المسلمين هم من التزموا طاعة الله ولم يتقاعسوا عن التضحية فيها، وهم من قاموا بنصرة رسوله ﷺ ولم يتقاعسوا عن البذل لها، وهم من اهتموا بأمر المسلمين ولم يتأولوا أو يبرروا تقاعسهم أو قعودهم، وأما قوله سبحانه: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم ٥٧٠٣

(٢) قاعدة أصولية شرعية، قرر الأصوليون أن ما لا يتم الواجب إلا بفعله، فحكم فعله واجب شرعاً.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/ ١٦٣).

زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣]، فإن الإمام القرطبي يربط بين هذه الآية وبين حديث الرسول ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مَلَّةً، وَتَفَتَرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مَلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مَلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)^(١) ثم يقول معقّباً: المحذّر منه في الآية والحديث إنما هو الافتراق في أصول الدين وقواعده؛ لأنه يُطلق عليه ملل، ومثل هذا لا يُقال في الفروع.

ويقول الإمام الطبري أنها الطائفة أو الفرقة التي فارقت دين الحق وأحدثت البدع المخرجة عن الدين، بالرغم من أنها فرحة مسرورة بما تتمسك به وتحب أن الصواب معها دون غيرها.

وكل ذلك يؤكد أن المنهّي عنه تفريق الدين الإسلامي بالخروج عن قواعده وأصوله، وليس تعدد الاجتهادات في الشريعة والمنهاج مهما تعددت الفرق والأحزاب نتيجة ذاك التعدد، فليتنق الله في هذا الدين كل من يتصدى للفتوى والتهجم على الجماعات والأحزاب الإسلامية بحجة ألا حزبية في الإسلام، ويعودوا إلى كتاب ربهم ليجدوا فيه القول الفصل^(٢).

وأختم بفتوى شيخ الإسلام _ رحمه الله _ في الرد الشافي الكافي على هذه الشبهة.

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في جواز تكوين الاحزاب

يقول شيخ الاسلام بن تيمية: "وأما " رأس الحزب " فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصوير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصّب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عن من لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله؛ فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمر بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان"^(٣).

(١) جامع الترمذي، أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم ٢٦٨٧. وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه ونقل المُنْذِرِيُّ نَصْحِيحَ التِّرْمِذِيِّ وَأَقْرَهُ

(٢) بتصرف من مجلة الوعي - الكويت، انظر: العدد ١٥ - السنة الثانية - العدد الثالث - ذو الحجة ١٤٠٨هـ، الموافق آب ١٩٨٨م.

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٩٢/١١).

المبحث الثالث

موضوعات السورة، وأغراضها، وأبرز مقاصدها

المطلب الأول: موضوعات السورة

بالتأمل والبحث، خلّص الباحث إلى أنه يمكن تقسيم سورة الأحزاب إلى أربعة مقاطع، كما يلي:

المقطع الأول: يأمر الله تعالى فيه الأمة في شخص نبيها ﷺ بطاعة الله وحده، وإتباع أمره والتوكل عليه، وتنهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين، وفيه إبطال لما كان عليه الناس قبل الإسلام فيما يتعلق بالظّهار والتبني، وتقرير أنّ النبي ﷺ هو الوالد الروحي للأمة، وهو أحرص الناس على هداها، وبه أخرجهم الله من الظلمات إلى النور، فهو أولى بهم من أنفسهم وكما اعتُبر النبي أباً للمؤمنين، فإن زوجاته أمهات لهم في البرّ والحرمة وعدم الزواج بهن، وفي هذا المقطع إبطال التوارث عن طريق المؤاخاة، وفيه ميثاق التوحيد الذي أخذه الله على الخلق، وعلى رأسهم أولو العزم من الرسل، وقد جاءت هذه الأحكام في الآيات الثمانية الأولى من السورة.

المقطع الثاني: يبدأ من الآية التاسعة إلى الآية السابعة والعشرين، وهو في وصف ردّ كيد الأحزاب المهاجمين ودفع جيوشهم، وفيه وصف لحال المؤمنين الصادقين، والمنافقين الذين في قلوبهم مرض، وهو وصف يكشف عن القيم الصحيحة والزائفة.

المقطع الثالث: يتناول الحديث عن زوجات النبي وتخيره لهنّ بين الصبر على شظف العيش، أو التسريح بإحسان، والأمر لهنّ بعدم الخروج من بيوتهنّ إلا لحاجة مشروعة وعدم اللين في مخاطبة الرجال وعدم التبرّج، فإنهنّ في موضع القدوة لغيرهن من سائر النساء، وقد ساوى الله تعالى بين الرجال والنساء في الثواب والعمل وقد تناول هذا المقطع زواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش لإبطال ما كان يترتب على قاعدة التبني التي أبطلها الإسلام، وأعقب ذلك بعض الأحكام المتعلقة بالزواج وتنظيم الحياة الزوجية للنبي ﷺ، ومن ثم إلى تشريع الحجاب وبيان محارم النساء، ويختتم هذا السياق بأمر النساء جميعاً بالتستر والاحتشام، والالتزام بالحجاب الشرعي، وقد استغرق هذا المقطع معظم السورة من الآية الثامنة والعشرين إلى الآية الثانية والستين.

المقطع الرابع: يتناول الحديث عن القيامة وما يتبع ذلك من سلوك الطريق القويم وعدم التقليد وإتباع أهل الضلال وحمل الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال وذلك في الإحدى عشرة آية التي ختمت بها السورة.

المطلب الثاني: أغراض السورة

يمكن تلخيص أغراض السورة في ثلاث نقاط:

أولاً: الأحكام التشريعية: كأحكام الظهار، والطلاق، والتبني، وما يترتب عليها من أحكام، وقصر الإرث على الأقارب، والحجاب الشرعي، وتوقير النبي ﷺ وأزواجه، والصلاة عليه، وما يتعلق بشؤون الدعوة.

ثانياً: الحديث عن غزوتي: الأحزاب وبنو قريظة، وكشف خفايا المنافقين.

ثالثاً: التوجيهات والآداب الاجتماعية: كآداب الوليمة، والستر وعدم التبجح، واحترام الرسول وزوجاته، ورضا الناس بما رزقهم الله تعالى، وحمل الأمانة، وغير ذلك..

المطلب الثالث: أبرز مقاصد السورة

ما حوته السورة الكريمة من مقاصد، أذكر منها خمسة عشر مقصداً، وهي كما يلي:

- (١) الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين.
- (٢) وجوب اتباع ما ينزل به الوحي مع ضرب المثل لذلك.
- (٣) إبطال العادة الجاهلية وهي إعطاء المتنبئ حكم الابن، وبيان أن الدين منه براء.
- (٤) إبطال التوريث بالحلف والتوريث بالهجرة، وإرجاع التوريث إلى الرحم والقربة.
- (٥) ذكر النعمة التي أنعم بها عليهم في وقعة الخندق بعد أن اشتد بهم الخطب.
- (٦) تخيير النبي نساءه بين شيئين: الفراق إذا أردن زينة الحياة الدنيا والبقاء معه إذا أحببن الله ورسوله والدار الآخرة.
- (٧) التشديد عليهن بمضاعفة العذاب إذا ارتكبن الفواحش، ونهيهن عن الخضوع في القول وأمرهن بالقرار في البيوت، وتعليمهن كتاب الله وسنة رسوله، ونهيهن عن التبرج.
- (٨) قصة زينب بنت جحش وزيد مولى رسوله ﷺ.
- (٩) ما أحل لنبيه من النساء وتحريم الزواج عليه بعد ذلك.
- (١٠) النهي عن إيذاء المؤمنين للنبي ﷺ إذا دخلوا بيته لطعام ونحوه.
- (١١) الأمر بكلام أمهات المؤمنين من وراء حجاب إذا طلب منهن شيء إلا الآباء والأبناء والأرقاء.
- (١٢) أمرهن بإرخاء الجلباب إذا خرجن لقضاء حاجة.
- (١٣) تهديد المنافقين وضعاف الإيمان والمرجفين في المدينة.
- (١٤) سؤال المشركين عن الساعة متى هي؟
- (١٥) النهي عن إيذاء النبي ﷺ حتى لا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى.

المبحث الرابع

مناسبات تتعلق بالسورة.

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس

سُميت السورة بالأحزاب؛ لأن المشركين تحزّبوا على المسلمين من كلّ جهةٍ، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب على حرب المسلمين، ولكنّ الله ردهم مدحورين، وكفى المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة^(١)، وقال القرطبي: "نزلت في المنافقين، وإيذانهم للرسول ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته، وغيرها"^(٢).

ومما أؤذي فيه رسول الله (ﷺ) في ضوء السّورة:

مستخلص من أسباب النّزول، ومبني على عموم إيذاء الكافرين والمنافقين لرسول الله مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وورد ذكر مثله في هذه السّورة، ما يساعد في تجميع مواضع سورة الأحزاب، وهي كما يلي:

الإيذاء الأول: حينما طلب المشركون من النبي ﷺ أن يرجع عن دينه مقابل عروض وإغراءات، ومنها إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه^(٣)، فطلبهم هذا فيه إيذاء شديد له؛ لأن دين الله هو أحب شيء إليه، فالمساومة الرخيصة منهم مقابل الدين، فيها إهانة وإيذاء للنبي ﷺ ودعوته.

الإيذاء الثاني: كما في الآية،

الإيذاء الثاني: كما في الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4]

(١) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٥١٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/١١٣)

(٣) راجع: السيرة النبوية، ابن هشام، (١/٢٩٤)

حينما قالوا إن لمحمد ﷺ قلبين في جوفه^(١) وهو افتراء عليه. [الأحزاب: 3]

الإيذاء الثالث: حينما تحرّبت الأحزاب ضده وضد المسلمين لاستئصال شأفتهم وذلك في موضع ذكر قصة هذه الغزوة من السّورة^(٢).

الإيذاء الرابع: كان من زوجاته -رضي الله عنهنّ- حينما طالبنه بالنفقة، وقيل آذينه بغيره بعضهنّ من بعض، فنزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٣) [الأحزاب: ٢٨]

الإيذاء الخامس: "حينما طعن المنافقون في مناكرته ﷺ حينما تزوج زوجة متبنّاه زيد بن حارثة، فذكر الله تعالى أن هذا أمرٌ من عنده سبحانه، وأنّ هذا حقٌّ، وأنّ التبنّي هو الباطل، وكان سيدنا محمد القدوة للمسلمين في ابطال عادة التبنّي وذلك عن طريق زواجه من زوجة متبنّاه،^(٤)

الإيذاء السادس: حينما كانوا يطيلون المكوث في بيته بعد يُطعموا^(٥) كما في الآية، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ^٦ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

الإيذاء السابع: آذوه بإيذائهم المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا كما في الآية (٥٨) فالنبي ﷺ عزيزٌ عليه ما يشقّ على المؤمنين، حريصٌ عليهم، وهو بهم رؤوفٌ رحيمٌ.

الإيذاء الثامن: آذاه المنافقون بإشاعتهم الأخبار الكاذبة وتثبيطهم الناس حين تخرج سرايا النبي ﷺ كما في الآية، قال تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَتْهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60].

(١) انظر: تفسير ابن كثير، تحفة الأحفودي (٣١٩٩)

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، غزوة الأحزاب (٢١٥/٢)

(٣) انظر: تفسير السعدي (٣٨٢/٦)

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٩٠ / ٣ - ٤٩١)

(٥) راجع: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، باب قوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن

لكم، حديث رقم ٤٥١٥

(٦) انظر: تفسير البغوي (٣٧٨/٤)

الإيذاء التاسع: إيذاؤهم له بسؤالهم عن الساعة كما في الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: 63]

لأنّ عادتهم في سؤالهم هذا أنّهم يسألون سؤال مُستعجل أو مُختبر^(١)، فالمشركون يسألون عن ذلك استعجالاً لها، لأنّهم يستبعدون وقوعها، واليهود يسألون عنها اختباراً للرّسول، وهل سيردّ أمرها إلى الله كما جاء في التّوراة، أم أنّه سيَقول غير ذلك.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها "سورة السجدة"

خواتيم سورة السجدة ومفتتح سورة الأحزاب

مناسبة أول سورة الأحزاب لآخر سورة السجدة واضحة وهو أنه حكى عنهم أنهم يستعجلون يوم الفتح وذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨] وهو الفصل بينهم وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفع إيمانهم، فأمر نبيه ﷺ في أول آية من سورة الأحزاب بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به^(٢)، ووجه اتصال سورة الأحزاب بما قبلها -سورة السجدة- تشابه مطلع هذه وخاتمة تلك، فسورة السجدة ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون، وسورة الأحزاب افتتحت بأمره عليه بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، والإعراض عنهم، واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٢٥/١٤)

(٢) راجع: البحر المحيط، أبو حيان الغرناطي، (٢١٠/٧)

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها "سورة سبأ"

علاقة سورة الأحزاب بما بعدها -سورة سبأ- هي علاقةُ مقابلةِ النعم العظيمة بالحمد فبعد أن ذكر الله عديداً من الأمور التي أحزنت النبي والمؤمنين، وكيف فرّج الله الكرب وأزال الغم، كما في غزوة الأحزاب واجتماع قوى الكفر على القلة المؤمنة وكيف ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، أتبع المولى عز وجل ذكر النعمة بالتذكير بالحمد، فقال في مطلع سورة سبأ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، وذكر السيوطي^(١): "وجه اتصالها بما قبلها، وهو أن تلك لما ختمت بقوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ افتتحت هذه السورة بأنّ له ما في السماوات وما في الأرض وهذا الوصف لائقٌ بذلك الحكم، فإنّ الملك العام، والقُدرة التامة، يقتضيان ذلك^(٢) وخاتمة سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وفاصلة الآية الثانية من مطلع سورة سبأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

(١) هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة ٨٤٩ هـ/ ١٤٤٥ م-

م- القاهرة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) المفسر المعروف، صاحب الاتقان وتفسير الجلالين. (سير أعلام النبلاء)

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، (ص ١٢٤).

المطلب الرابع: المناسبة بين أول السورة وآخرها:

الناظر في سورة الأحزاب بعين التأمل، يلحظ تناسقاً بديعاً، وترابطاً لطيفاً بين مطلع السورة الكريمة وخاتمتها، فقد افتتحت السورة الكريمة بالنداء إلى الرسول الكريم ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]، وكما أن الأمر الموجه بتقوى الله _ عز وجل _ إلى النبي هو موجه إلى الأمة من بعده فقد ختم الله تعالى السورة بالأمر الصريح إلى الأمة كلها بنفس الأمر المذكور أول السورة، وهو تقوى الله عز وجل، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] ، وفي ذلك دلالتان: الأولى: أن هذه الدعوة خالدة، وأن هذه الأمة امتداد رسالة النبي الخاتم، وحاملة الأمانة بعده ﷺ، والثانية: أن تقوى الله هي المقصد الأعظم، والوصية الأسمى على مدار العصور ومع تتابع الأنبياء والرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ثم ذكر تعالى ثمرة التقوى، فقال تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]

وختم بالتذكير بالأمانة الكبرى التي حملها الانسان الظلوم الجهول ومصير كل من المنافقين والمشركين والمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

الفصل الأول

التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب

المبحث الأول

التوجيهات التربوية العقيدية في ضوء سورة الأحزاب.

وفيه اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأقسامه وأهميته وفضله

المطلب الثالث: الأثر التربوي للعقيدة على الفرد والمجتمع

المطلب الرابع: وجوب تقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.

المطلب الخامس: وجوب عدم طاعة الكافرين والمنافقين.

المطلب السادس: لا يجتمع في قلب الإنسان الكفر والإيمان والهدى والضلال.

المطلب السابع: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف وثواب الآخرة.

المطلب الثامن: تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأذكار والتسابيح.

المطلب التاسع: علم الله المطلق بكل شيء.

المطلب العاشر: تكريم النبي ﷺ وجزاء إيدائه وإيذاء المؤمنين.

المطلب الحادي عشر: تهديد المنافقين والكفار وبيان جزائهم

المطلب الثاني عشر: أسماء الله وصفاته في فواصل سورة الأحزاب وأثرها التربوي

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً

العقيدة لغةً: قال ابن فارس: العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شدّ، وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها^(١)، والعقيدة من العَقْد؛ وهو الرَبْط، والإبرام، ومنه اليقين والجزم، والعَقْد نقيض الحِلّ^(٢)، ومنه عَقْدَة اليمين والنكاح، وخلاصة ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواء كان حقاً، أم باطلاً^(٣)، ويعقده: شده^(٤).

أما العقيدة اصطلاحاً، فهي العلم بالأحكام الشرعية أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازحها ريب^(٥). وكلمة العقيدة من الألفاظ المولدة، فلم ترد هذه اللفظة في الكتاب والسنة، وكان الأئمة السابقون يستعملون ما يدل على هذه اللفظة: كالسنة والشريعة، والإيمان، "وأول من تم الوقوف على نكره لجمعها "عقائد" هو القشيري^(٦)"^(٧).

وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتمادها هي المنكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كَتَبَتْهُ وَكُتِبَتْهُ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعَفَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وتكرها الرسول ﷺ في الحديث المشهور بقوله: (أَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتَوَاضَعَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ)^(٨).

العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله - سبحانه وتعالى - وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله^(٩)، ويمكن تعريف العقيدة الإسلامية أيضاً: بأنها كل خبر جاء عن الله تعالى أو رسوله ﷺ يتضمّن خبراً غيبياً لا يتعلّق به حكم شرعي عملي^(١٠).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٨٦).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢/٥١٠).

(٣) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الله بن عبد الحميد الأثري - ص ٢٩

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (ص ٣٨٣).

(٥) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، الأثري، (١/٢٤).

(٦) الإمام القشيري هو عبد الكريم بن هوازن النيسابوري الشافعي (٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ)

(٧) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٤٦)

(٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان «باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر، حديث ١٠

(٩) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، الأثري، (١/ ٢٤)

(١٠) انظر: "الحاوي من فتاوى الشيخ الألباني"؛ إعداد محمد إبراهيم، (ص ٩) .

المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأقسامه

لغة: (وحد) الواو والحاء والdal: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة^(١)، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله^(٢)، وهو مصدر وُحِدَ يوَحِّدُ؛ أي: جعل الشيء واحداً^(٣).

اصطلاحاً: إفراد الله - سبحانه - بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات^(٤)، وهو: نفي الكفاء، والمثل عن ذات الله تعالى، وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته^(٥).

أقسامه: قسم علماء السنة التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

توحيد الربوبية: هو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم المدبر المحيي المميت، وهو الرازق ذو القوة المتين، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الربوبية تعني لا خالق إلا الله، فلا يستقل منها شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"^(٦).

توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة فالألوهية معناها: العبادة، والإله معناه: المعبود، ولهذا يسمى هذا النوع من التوحيد "توحيد العبادة"، ويسمى توحيد الإرادة والقصد، وأيضاً "التوحيد الطلبي"^(٧)، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الفروني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، (١٩٣/٥).

(٢) ابن فارس مقاييس اللغة (٩٠ / ٦)

(٣) انظر: الإبانة عن أصول السنة والديانة-أقسام التوحيد- [(القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١).

(٤) نفس المصدر السابق

(٥) انظر: عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، (ص ٨٧).

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، محمد عبد الرحمن بن قاسم، (٣٣١/١٠).

(٧) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح الفوزان (ص ٣٠-٣٥).

وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال^(١).

توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله بما له من الأسماء والصفات، وهذا يتضمن شيئين:

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله جميع أسمائه وصفاته التي أثبتتها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه **والثاني:** نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) [الشورى: ١١].

(١) انظر: تهذيب مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية، وهذبه عبد المنعم صالح العزي، (ص ١٧٠).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد / لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، (ص ٦).

المطلب الثالث: الأثر التربوي للعقيدة على الفرد والمجتمع:

وللعقيدة أثرها العميق على قلب الإنسان وعقله وسلوكه وكل مناحي نفسه، ما يسهم في تحقيق الشخصية الإسلامية الشمولية المتكاملة^(١)، ومن تأثيراتها الإيجابية على الفرد والمجتمع:

١. **الاستقامة في السلوك:** إن من أعظم الآثار التي تظهر على صاحب الاعتقاد السليم استقامة سلوكه قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، في جميع نواحي الحياة، فالتوجه إلى الله بعقيدة سليمة وتوحيد خالص بين منازل العبادة والاستعانة، يثمر هداية واستقامة في الدنيا والآخرة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۚ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 5-6]

٢. **العبادة الصحيحة:** إن الاعتقاد السليم الخالص لله تعالى يحبب العبادات لقلب العبد، فيدفعه

إلى أن يعبد الله تعالى وحده قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

٣. **الطمأنينة والسكينة:** العقيدة الإسلامية السليمة تملأ قلب الإنسان أمناً وطمأنينة

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:

٢٨].

٤. **غذاء العقل،** وهو الغذاء النظري الذي يتلخّص في إرشاده إلى مولاه وخالقه، في حين عجز كل من العلم الفلسفي أو العلم التجريبي عن إرشاده إليه سبحانه، فالعلم يتعامل مع الأشياء، لا مع المثل والأفكار والقيم^(٢).

٥. **زاد الروح:** حيث اهتم الإسلام بالروح اهتماماً بالغاً؛ وذلك "لأنها في نظره مركز الكيان البشري، ونقطة ارتكازه، وهي وُحْدَهَا التي تملك الاتصال بما لا يدركه الحس ولا يدركه العقل، وهي وُحْدَهَا التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي؛ فهي تملك الاتصال بالله، كما أنها هي التي تملك الاتصال بالوجود كلّهُ من وراء حواجز الزمان والمكان"^(٣)، ولا بد لهذه الروح من زاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّقْوَىٰ وَالتَّقْوَىٰ يَأْتِي الْآلِبِ﴾

٦. **البناء الجسدي،** فالجسد في الإسلام له رعاية خاصة، وله تربية خاصة، ولو قَصُرَ الإنسان فيها يُوَازَنَ على نقصيره ذلك، و"المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، الأستاذ محمد قطب، (٧٥/١) - (١٠/٧٧) - (١٣).

(٢) انظر: نحو عقيدة إسلامية فاعلة، عدنان محمد زرزور، ص ١٠ بتصرف.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، (١ / ٤١ - ٤٢).

كل خير^(١)، وحين نتحدث عن قوة الجسم في خدمة العقيدة، فالمقصود هو عضلاته وحواسه ووشائجه؛ وكذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس؛ طاقة الدوافع الفطرية، والنزوعات والانفعالات، طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق^(٢).

٧. تحرير الإنسان، فالحرية في شريعتنا الغراء هي خلاص للإنسان من العبودية القائمة على غير مستحق لها؛ سواء كان هذا المعبود إنساناً أو حيواناً، أو حجراً أو جماداً، أو حتى ملكاً أو رسولاً، وتخليصه من تلك العبودية الزائفة، وما ينبثق عن ذلك من اختلال الموازين، فيُحسّن القبيح ويُقَبِّح الحسن.

٨. إيقاظ الضمير قال ﷺ: (إنما بُعث لأتمم صالح الأخلاق، وفي رواية مكارم الأخلاق)^(٣)؛ في هذا الحديث يظهر أن كل الأنبياء السابقين دعوا أقوامهم لحسن الخلق، وهذا يحتم الانتباه إلى أن الوازع أو الضمير الخالي من نور الوحي إنما يتشكل من بيئة وثقافة أصحابه، ويتأثر بسلوك مجتمعه، لذلك فإن وازع الضمير الذي يتحدث عنه علماء الأخلاق لا يُغني عن العقيدة والدين، بل إن هذا الوازع لا وجود له، أو لا يتسع نطاق وجوده حقيقة إلا عند المتدين، وفي قاموس حياة المؤمن، ويجدر بنا أن نسميه الوازع الإيماني أو الديني^(٤)؛ لأنه نابع من عقيدة دينية، وليس من نفسٍ أو من مجتمع

٩. تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة وما أروع كلمات الشيخ القرضاوي التي يربط فيها بين العقيدة والسعادة قائلاً:

قل للذي يبغى السعادة... هل علمت من السعيد؟
إنَّ السَّعادة: أن تعيش ... لفكرة الحق التَّليد
لعقيدة كُبرى..... تحلُّ قضية الكون العتيد
تُعطي حياتك قيمة ... ربُّ الحياة بها يشيد
فتعيش في الدنيا لآخرة ... لا تزول ولا تبديد
هذي العقيدة للسعيد ... هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف ... باسمها فهو السعيد^(٥)

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٢٠٥٢/٤).

(٢) انظر: نحو عقيدة إسلامية فاعلة، عدنان محمد زرزور، (ص ١٠٤).

(٣) السلسلة الصحيحة، الألباني، ص ٤٥، والأدب المفرد، البخاري: (٢٧٣).

(٤) انظر: نحو عقيدة إسلامية فاعلة، د. عدنان زرزور، (ص ١٩ - ٢٠).

(٥) قصيده السعادة، العلامة د. يوسف القرضاوي حفظه الله منشورة على الشبكة 2582/node/2582 <https://www.al-qaradawi.net/>

وقد تجسّدت معاني العقيدة الصحيحة في نفوس الرعيل الأول الذي تربى على يد النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً في العهد المكي ثم انتقلوا بها للعهد المدني؛ ليعيشوا بها عبادة وسلوكاً وأخلاقاً وتشريعاً، فتصبح منهجاً شاملاً كاملاً للحياة، فيكون فعلاً أسمى أمانيتهم أن يموتوا في سبيلها، كما تجسّدت عملياً في صاحب تفسير ظلال القرآن الشهيد سيد قطب^(١) - تقبله الله - الذي أعدم من أجل العقيدة، فصدق في كلماته التي تُكتب بالنور بأنَّ العقيدة والمبادئ تبقى كلماتٍ نظريةً ميتةً لا حراكَ فيها هامةً أعراساً من الشموع ، فإذا مات المؤمن من أجلها، انتفضت و عاشت بين الأحياء، فكلُّ كلمةٍ بقيت حيةً مأثورةً، كانت قد اقتاتت من قلب مؤمن حي، فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا يتبنون الأموات، وفي ختام هذا المطلب، يحضرنى ما قاله الإمام الشهيد حسن البنا^(٢) رحمه الله - بقوله: "والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً، وإن اختلفت مرتبتا الطلب"^(٣).

(١) هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (وشا) في أسبوط. ولد عام (١٣٢٤ هـ)، وتخرج من كلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أمريكا (١٩٤٨م) ولما عاد انتقد البرامج المصرية، وكان يراها من وضع الإنجليز، كتب تفسير الظلال وهو في السجن الحربي المصري وأعدم عام (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ هـ).

(٢) هو الإمام الشهيد/ حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي - ولد بمصر في (١٤ أكتوبر ١٩٠٦ م - ١٣٢٤ هـ)، واستشهد في (فبراير ١٩٤٩ م - ١٣٦٨ هـ)، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م - لقب بمجدد الإسلام في القرن العشرين وبالرجل القرآني الفريد، ولقب أيضاً بشهيد فلسطين بعد استشهاد.

(٣) كتاب مجموعة رسائل الإمام البنا - الأصول العشرون، الأصل السابع عشر لركن الفهم.

المطلب الرابع: وجوب تقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.

افتتحت السورة الكريمة بمخاطبة الله تعالى نبيه بألفظ نداء وأجمل خطاب، فناداه وشرّفه بوصف النبوة دون اسمه تكريماً وتشريفاً؛ أمراً إياه بتقوى الله وهو مُتَقٍ لله فعلاً، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ١ - ٣]

سبب نزول الآيات: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ أهل مكة، ومنهم الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله: على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فنزلت الآيات..، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١) [الأحزاب: ١]، والمقصود: خف الله بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، وترك محارمه، وانتهاك حدوده، ثم الثبات والدوام على طاعته؛ وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره^(٢)؛ فإذا كان النبي ﷺ وهو أتقى الناس لله وأخشاهم له، مأمور بالتقوى التي طبقها قولاً وفعلاً في كل مناحي حياته، كما في حديث السيدة عائشة "والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى"^(٣)، فهو أيضاً أمرٌ ضماني لأتباعه من المؤمنين، فهم مأمورون بها من باب أولى، وبها أوصى الله جميع الأنبياء ففي الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] لأن تقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هي القاعدة الأولى، وهي الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع و التنفيذ^(٤)، وفي الآية نفسها نهاء سبحانه عن طاعة الكافرين الذين يظهرون كفرهم، فيطالبون النبي بطرد المؤمنين الفقراء الضعفاء، وأيضاً عدم طاعة المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام كذباً وزوراً، فهو سبحانه عليم بما يخفون في صدورهم من عداوة للنبي وصحبه ودعوته، وهو

(١) انظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور، جلال الدين السيوطي، (١٢١/٨).

(٢) انظر: الكشف، الزمخشري، (٥٢٧/٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث: ١١١٠

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٢٢/٢١).

سبحانه حكيم في تدبير الأمور كلها واعتمد في كل ذلك على الله وحده وثق به ثقة تليق بكماله وجلاله وفوض له أمرك مع الأخذ بتمام الأسباب وحسبك الله وكفيلاً بك^(١).

تعريف التقوى لغةً: وقاه الله وقياً: صانه، ووقاك الله شرَّ فلان وقاية، أي: حفظك^(٢)، ومعنى قولك: اتَّقِ الله: أي: اجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، ومنه: قوله ﷺ: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)^(٣)، ومن تعريفات التقوى اصطلاحاً أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله^(٤)، "وقد قيل:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا .. وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضٍ .. الشُّوكَ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً .. إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى^(٥).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣]

التوكل في اللغة: وَكَلْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ؛ أي: أَلَجَأْتُهُ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمْتَهُ أَمْرِي، وَالْوَكَلَ: هُوَ الَّذِي يَكُلْ أَمْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ^(٦)، وَاتَّكَلَ بِمَعْنَى: اسْتَسَلَّمَ إِلَيْهِ^(٧)،

والتوكل اصطلاحاً: هو تفويض الأمور كلها إلى الله^(٨)، وقال الرازي: "التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق"^(٩).

والتوكل على الله فريضة وهو أعلى مقامات التوحيد، وأعظمها وأجلها، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ إِذَا فَسَدَ تَوَكُّلُهُ، فَالتوكل شرط في الإيمان، فإذا اعتمد العبد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل ما سواه، صح إخلاصه ومعاملته مع الله^(١٠).

(١) راجع: جامع البيان، الطبري، (١١٧/٢١) وقارن بالسعدي، وتفسير السعدي، (٦٥٨/١).

(٢) ابن منظور، المعجم الكبير لسان العرب: (٩٧١ / ٣ - ٩٧٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، حديث: (٢٧٣٤)

(٤) انظر: كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (ص ٤٧٣)، فقرة (١٣٤٣) وجامع العلوم والحكم: (ص ١٤٩)

(٥) يُنسب لابن المعتز العباسي، راجع: تفسير ابن كثير (١ / ٥٣).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٢١، لسان العرب (١١ / ٧٣٤).

(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١١ / ٧٣٢).

(٨) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٥ / ٢٥٣).

(٩) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٩ / ٤١٠).

(١٠) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، (ص ٦٨).

الآثار التربوية الإيمانية للتوكل:

التوكل على الله شجرة طيبة عظيمة، ثمارها يانعة، وخيراتها كثيرة، فمن ثمراتها في الدنيا والآخرة:

(١) حُبُّ الله للمتوكلين: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالله يُحِبُّ المتوكلين، ومحبه تعالى هي أعظم محبة وهي التي تجلب النصر والهداية والتوفيق^(١).

(٢) حفظ الله للمتوكلين عليه من الشيطان الرجيم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، فالمؤمن لا يضره الكيد ولا التآمر من أي كائن كان؛ لأن الله تعالى حافظه، ويؤكد ذلك صاحب الظلال بأن الله تعالى هو الحارس الحامي للمتوكلين عليه، وهو القوي العزيز، وهو العليم الخبير، وهو الشاهد الحاضر الذي لا يغيب، ولا يكون في الكون إلا ما يريد، وقد وعد بحراسة المؤمنين، فأبي طمانينة بعد هذا وأي يقين؟^(٢).

(٣) سعة الرزق: قَالَ ﷺ: (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا)^(٣).

(٤) الحماية والكفاية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، فقد قضى الله عز وجل على نفسه كفاية المتوكلين، فهو سبحانه الذي يكفيهم ما أهمهم في دينهم ودنياهم، وهو الضامن لهم الرزق، الحافظ له من كل ما يخشون^(٤).

(٥) النجاة من عذاب الدنيا والآخرة: وهي مطلب كل مؤمن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، فالمؤمن المتبع لرسول الله عليهم السلام، المخلص المتقي الشاكر المتوكل على الله حق التوكل يستحق الرحمة من

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١٢٣/٢). السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٦٠/١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٥١٠/٦).

(٣) أخرجه الترمذي، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين ٢ / ١٣٩٤، حديث رقم (٤١٦٤)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٢ / ٢). حديث رقم (٥٢٥٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٣٢٨/٩).

العذاب^(١). ويذكر السعدي أن تلك النجاة تثبت للمؤمنين في الدنيا والآخرة على السواء، وهذا من قبيل دفاع الله تعالى عن المؤمنين الذي ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾﴾^(٢) [الحج: ٣٨]

٦) الفوز بالجنة: وعد الله تعالى المؤمنين المتوكلين بإسكانهم منازل عالية في الجنة، تجري من تحت أشجارها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر وعسل ولبن، ماكثين فيها أبداً، لا يبعغون عنها حولاً، جزاءً لهم على أعمالهم، وأنعم به من جزاء^(٣)، قال تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، حيث يكون ثواب الله نعيماً لا يفنى، ورزقاً لا ينفد، وهذا الجزاء للذين آمنوا، وتوكلوا على ربهم، وأسلموا أمرهم له، فثواب الله خيرٌ في طبيعته، أبقي في مدته من أي ثواب^(٤)، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ : (دخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب؛ هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون)^(٥).

التوجهات التربوية العقيدية المستنبطة من الآيات:

- تعظيم النبي وتوقيره في قلوب الموحدين عند ذكره بوصف النبوة والصلاة عليه.
- الاجتهاد في طلب الكمال في (التقوى، والتوكل)؛ لما لهما من أثر عظيم في حياة المسلم؛ ولأنها الأساس الذي ينبني عليه كل تصرفات الإنسان وسلوكه.
- التقوى والتوكل، عبادتان قلبيتان عظيمتان، ولا يجب صرفهما إلا لله وحده لا شريك له، وهما من ثمار العقيدة الصحيحة ومن صلب توحيد الألوهية.
- التقوى والتوكل، صفات مكتسبة، لمن اجتهد في تحصيلهما؛ ففيهما تتحقق الحياة الطيبة للإنسان في الدنيا، والفوز العظيم في الآخرة.

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن (٢١٤/٣)

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٨٨/١).

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (٢٥/٢١).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٧٠٥/٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، (١٠٠/٨). رقم: ٦٤٧٢.

- النهي عن طاعة أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين الذين لا يودون أي خير للمسلمين، فعبثاً يحاول المسلمون استرضاءهم؛ لأنهم لن يرضوا أبداً مهما قدم المسلمون من تنازلات دنيوية ولن يرضوا إلا بالتنازل عن هذا الدين العظيم^(١).
- وجوب اتباع الوحي الرباني في كل الأوامر والنواهي، وهو إلزامي وليس على التخيير.
- لزوم الاعتماد على الله سبحانه وتقويض الأمر إليه، والثقة التامة به، وحسن التوكل عليه، فمن اعتمد عليه نجح وأفلح.
- التخلق بصفات الله وأسمائه الحسنى المذكورة في الآيات، وهي: العليم، والحكيم، والخبير، والوكيل، وللعبد المتدبر للآيات حظ من هذه الصفات العُلا، فالمتعبد لله بتوحيد الأسماء والصفات يتحلى بها من علم وحكمة وخبرة وتقويض يريح البال ويطمئن القلب.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٥٥).

المطلب الخامس: وجوب عدم طاعة الكافرين والمنافقين

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، فقد كان الموضوع في المطلب السابق عن التقوى، وإن من أهم الثمرات الالتزام بطاعة الله، واجتناب الطاغوت المتمثل بطاعة الكافرين، والمنافقين الذين لا يحبون الخير للمسلمين، فهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]

والزمان الذي نعيش فيه خير دليل، فالكفار والمنافقون فينا هم ما بين مستعمر لبلادنا أو ناهب لخيراتنا أو مستهزئ بديننا، كما رأينا تبجحهم في الرسوم المسيئة للنبي ﷺ، ورأينا المنافقين الذين يلهثون وراء الصهاينة في تطبيع العلاقات معهم، فكيف نطيعهم في أمور تتعلق بمصيرنا وثقافتنا وعقيدتنا، ويلاحظ أن الله تعالى وصف المعارضين بالكفار هنا للدلالة على أنهم منكرون لحقوق الله تعالى ولحقوق العباد فكيف بمن هذا شأنه أن يُطاع؟ واختتمت الآية بفاصلة عليمًا حكيمًا، وهما اسمان من أسماء الله الحسنی إشارة إلى أن الأمر بترك طاعة الكافرين فيه حكمة عظيمة لا يعلمها إلا العليم الحكيم لان المطيع لهم لا يعلم الغيب ولا يعلم النتائج المترتبة على طاعتهم ومولاتهم، فكان هذا الامر تحذير مسبق للمؤمنين؛ فيصبحوا على ما فعلوا نادمين.

والطاعة: العمل على ما يأمر به الغير أو يشير به لأجل إجابة مرغوبة، وماهيتها متفاوتة مقول عليها بالتشكيك، ووقوع اسمها في سياق النهي يقتضي النهي عن كل ما يتحقق فيه أدنى ماهيتها، مثل أن يعدل عن تزوج مطلقة مُتَبَنَاه لقول المنافقين: إِنَّ مُحَمَّدًا يَنْهَى عَنِ تَزْوِجِ نِسَاءِ الْأَبْنَاءِ وَتَزْوِجِ زَوْجِ ابْنِهِ^(١).

ومن أبرز التوجيهات التربوية العقدية لهذا المطلب:

- فهم صفات الكافرين والمنافقين من خلال مدارس وصف القرآن والسيرة النبوية لهم.
- تحرير الولاء والبراء لله تعالى في عقيدة المسلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَوُتُّونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

(١) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، (٢٤٩/٢٢).

- تحريم وتجريم التطبيع مع العدو الصهيوني كونه صورة من صور الولاء للكافرين وطاعتهم، وعدم البراء منهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [المائدة: ٥١].

- اتباع منهج الله المنزل من الوحي على نبيه من ربه والمتمثل في الكتاب والسنة.
- عدم طاعة الكافرين والمنافقين والحذر من عداوتهم ومكرهم وغدرهم ظاهره وباطنه.

المطلب السادس: لا يجتمع في قلب الإنسان الكفر والإيمان والهدى والضلال

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]

قام النبي ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطراً فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين؟ قلباً معكم، وقلباً معهم، فأنزل الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(١)، وهذا ما رجَّحه الإمام الطبري عن غيره من أسباب النزول^(٢)، ويرى الإمام الرازي: أن الآية نزلت في أبي معمر، الذي كان يقول: لي قلبان أعلم وأفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد يقصد النبي ﷺ فرد الله عليه بقوله: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه^(٣).

ونفي الآية الكريمة وجود قلبين في جوف أي رجل، تصحيح لما كان يُعتقد في الجاهلية من خرافات وأساطير؛ وتمهيد لتغيير بعض العادات المجتمعية السيئة، كحقيقة الظَّهَار بأن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، مُحَرِّماً إيَّها على نفسه كُحْرمة أمه عليه، فحرَّم الإسلام ذلك واعتبره منكراً من القول وزوراً، وأيضاً للتمهيد لتحريم التبني واعتباره لا حقيقة له من حيث ثبوت النسب، فهذه الأمور كلها إِدِّعَاءات لا أساس لها من الصَّحة.

التوجيهات التربوية العقدية من هذه الآية:

- القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في معرفة أحكام الإسلام، ومصدر التشريع الأول للمسلم، وهو المنهج الذي يجب أن يلتزم به في كل شؤون حياته، ويقدم تعاليم الشريعة على العادات والتقاليد والأعراف المتعارف عليها بين الناس.
- تسمية المُسمَّيات بأسمائها الحقيقية دون تغيير للحقائق، ومنها نسبة الابن لأبيه.
- تأكيد العلم لما ذكره القرآن باستحالة أن يعيش الإنسان بقلبين اثنين في جوفه.
- الإسلام حرم التبني لأنه يخلط بين الأنساب ويؤدي لمفاسد كثيرة أخرى فهذه السورة أساس في تنظيم البيت المسلم.
- حُتِّمَت الآية باسمين من أسماء الله الحسنى وهما الغفور والرحيم لما لهما من دلالة على تأكيد معنى الآية، فالغفور الرحيم سبحانه وتعالى هو الذي يغفر الزلات ولا يؤاخذ الناس على الخطأ النسيان رحمةً منه، ولكن يؤاخذهم بما تعمَّدت قلوبهم.

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (١/١٧١).

(٢) راجع: جامع البيان، الإمام الطبري، (١/١١٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي، (٢١/١٦٤).

- والمتأمل في الآيات السابقة من السورة يجد أنها ذكرت ستةً من أسماء الله الحسنى وهي:
- (العليم _ الحكيم _ الخير-الوكيل-الغفور-الرحيم) وأسماء الله وصفاته هي صفات كمال وجلال وجمال والمتعبد لله بها يكون له حظ منها تؤثر تربوياً على عقيدته، وعبادته، وأخلاقه، وسلوكه.

المطلب السابع: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف وثواب الآخرة

عن أمِّ عُمارة الأنصارية أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(١)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن جرير عن عبد الرحمن بن شعبة قال: سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نُذَكَّر في القرآن كما يُذَكَّر الرجال؟ قالت: فلم يُرْعِنِي مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَّا وَنَادَاهُ عَلَى الْمَنْبِرِ، قَالَتْ: وَأَنَا أُسْرَحُ شَعْرِي، فْلَفَفْتُ شَعْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى حَجْرَتِي، حَجَرَةً بَيْتِي، فَجَعَلْتُ سَمْعِي عِنْدَ الْجَرِيدِ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَنْبِرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ^(٢): ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالذَّكَرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

يقول صاحبُ الظَّلَال سيد قطب رحمه الله: " وهكذا يُعَمَّم النَّصُّ في الحديث عن صفة المسلم والمسلمة ومقومات شخصيتهما، بعدما خصص نساء النبي ﷺ في أول هذا الشوط من السورة وتُذَكَّر المرأة في الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الاسلام في رفع قيمة المرأة، وترقية النظرة إليها في المجتمع وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما فيه سواء من العلاقة بالله، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة"^(٤).

هذه الآية تكليف للرجال والنساء سواءً بسواءٍ _ بالتخلي بهذه الخصال، ذكر الله تعالى فيها عشر مراتب إشارة إلى ما يجب أن يكونوا عليه، ووعدهم سبحانه بعد الالتزام بهذه الصفات العشر بمغفرة وأجر عظيم، وهي:

١ . الإسلام: وذلك بالانقياد لأمر الله واتباع أحكام الدين قولاً وعملاً.

٢ . الإيمان: وهم أهل التصديق التام بما جاء عن الله من شرائع وأحكام وآداب. وهذا دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وأن الأول أخص من الثاني، فالإيمان: هو الاعتقاد والتصديق الكامل مع العمل الصالح، والإسلام قول وعمل؛ قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا، قُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(١) سنن الترمذي، باب ومن سورة الأحزاب (٥ / ٣٥٤)، رقم الحديث: ٣٢١١. وصححه الألباني.

(٢) مسند الامام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ حديث ٢٦٠٦٣

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠/٢٢). أحكام القرآن: (٣ / ١٥٢).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٢/٢٨٦٣).

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: (لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن)^(١)، فيسلبه الإيمان، ولا يلزم منه كفره بإجماع المسلمين، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام.

٣ . القنوت: بدوام العمل الصالح، والطاعة في سكون، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر 39 - 9].

٤ . الصدق: في القول والعمل، وهو خصلة محمودة، وعلامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، فمن صدق نجا، وفي الحديث عن ابن مسعود أن النبي ﷺ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)^(٢)؛ لذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم لم تُجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

٥ . الصبر: على المصائب، وتحمل المشاق في أداء العبادات وترك المعاصي، والعلم بأن المقدر كائن لا محالة، وتلقي ذلك بالصبر والثبات، قال ﷺ: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)^(٣)، أي أصعبه وأوجبه في أول وهلة من الحادث. وهو سجية الراسخين الأثبات. ويأتي بعد المراتب السابقة؛ لأن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى، فيصبر عليه.

٦ . الخشوع: سكون وطمأنينة، وتؤدة ووقار، وتواضع لله تعالى قلباً وسلوكاً، خوفاً من عقاب الله تعالى، ومراقبة له، كما قال النبي ﷺ عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)^(٤).

٧ . التصديق بالمال: وهو الإحسان إلى المحتاجين الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب، فيعطون حال الفرض والنفل طاعة لله وإحساناً إلى خلقه، وهذه مرتبة تعد ترجماناً عملياً للخصال السابقة؛ لأن بذل المال شاقٌّ على النفس، لمحبتها إياه، وهي دليل على محبة الإنسان لأخيه، فيساعده لينقذه من آفات الفقر والحاجة، كما أن الصدقة تزكية للمال وتطهير له

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر، (٥٨/١٢).

(٢) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، حديث: ٦٠٩٤

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، حديث ١٢٢٣

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر، حديث ١٠

٨ . الصوم فرضاً ونفلاً: وفيه سمو روعي عن التعلق بالماديات، والإقبال على عبادة الله، ومن أكبر المعونة على كسر حدة الشهوة، وهو أيضا تزكية للبدن، أي: يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً، كما قال سعيد بن جبیر: «من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر، دخل في قوله تعالى: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾^(١).

٩ . العفة: عن المحارم والمآثم، إلا عن المباح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لِفُجُورِهِمْ حَفِظُوتَ﴾ [المؤمنون: ٥]، ومن اخترق حرمة الفروج وزنى، هان عليه اختراق حرمت الدين كلها، ومن صان فرجه وعف نفسه، كان من الطاهرين الأصفياء الذين استحقوا رضوان الله تعالى، قال ﷺ: (ثَنَانٍ تُدْخِلَانِ الْجَنَّةَ: مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

١٠ . ذكر الله: وذلك باستحضار عظمة الله تعالى في القلب، وتنزيهه باللسان عن كل نقص، ووصفه بكل كمال في جميع الأحوال، بنية صادقة لله. ويلاحظ أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر «الذكر» قرنه بالكثرة، ليرشدنا إلى أنه لا يصير الإنسان ذاكرة حتى يداوم على الذكر قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وقد يصبح ذاكرة بصلاة التهجد ليلاً، كما أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: (إِذَا أَيْقِظَ الرَّجُلَ امْرَأَتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ، كَانَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)^(٣)، وقال ﷺ: (سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ؟ قَالَ: ﴿الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتِ﴾^(٤)، ثم ذكر الله تعالى جزاء أهل الذكر، فقال: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: هيأ لهم مغفرة تمحو ذنوبهم وأجرًا عظيمًا، وهو الجنة.

يقول صاحب الظلال سيد قطب_ رحمه الله: وهذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة، وبالتأمل والتدبر في الصفات العشر التي ذكرت في الآية، تجد أن هناك ترابط بينها وبين بعضها، فالإسلام بمعنى: الاستسلام، والإيمان بمعنى: التصديق، بينهما صلة وثيقة، وهي أن أحدهما هو الوجه الثاني للآخر، فالاستسلام إنما هو مقتضى التصديق، والتصديق الحق ينشأ عنه الاستسلام، وهناك قاعدة عند أهل العلم تجمع بينهما، فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السبوطي (٣٨٠/٥).

(٢) صحيح الجامع، الألباني، (ص ١٤٠).

(٣) انظر: المستدرک على الصحيحين، الحاكم، كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب، حديث ٣٥٦١

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب الحث على ذكر الله، حديث: ٢٦٧٦

والقنوت: الطاعة الناشئة من الإسلام والإيمان، عن رضى داخلي لا عن إكراه خارجي.

والصدق: هو الصفة التي يخرج من لا يتصف بها من صفوف الأمة المسلمة لقوله تعالى: إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله فالكاذب مطرود من الصف. صف هذه الأمة الصادقة.

والصبر: هو الصفة التي لا يستطيع المسلم حمل عقيدته والقيام بتكاليفها إلا بها. وهي تحتاج إلى الصبر في كل خطوة من خطواتها. الصبر على شهوات النفس، وعلى مشاق الدعوة، وعلى أذى الناس. وعلى التواء النفوس وضعفها وانحرافها وتلونها. وعلى الابتلاء والامتحان والفتنة. وعلى السراء والضراء، والصبر على كلتيهما شاق عسر.

والخشوع: صفة القلب والجوارح الدالة على تأثر القلب بجلال الله، واستشعار هيئته وتقواه.

والتصدق: وهو دلالة التطهر من شح النفس، والشعور بمرحمة الناس، والتكافل في الجماعة المسلمة. والوفاء بحق المال. وشكر المنعم على العطاء.

والصوم: والنص يجعله صفة من الصفات إشارة إلى اطراده وانتظامه. وهو استعلاء على الضرورات، وصبر عن الحاجات الأولية للحياة. وتقرير للإرادة، وتوكيد لغلبة الإنسان في هذا الكائن البشري على الحيوان.

وحفظ الفرج: وما فيه من تطهر، وضبط لأعنف ميل وأعمقه في تركيب كيان الإنسان، وسيطرة على الدفعة التي لا يسيطر عليها إلا تقي، وإخضاع هذا الالتقاء بين الرجل والمرأة لشرعية الله، وللحكمة العليا من خلق الجنسين في عمارة الأرض وترقية الحياة.

ونذكر الله كثيراً: وهو حلقة الاتصال بين نشاط الإنسان كله وعقيدته في الله. واستشعار القلب لله في كل لحظة؛ فلا ينفصل بخاطر ولا حركة عن العروة الوثقى. وإشراق القلب ببشاشة الذكر، الذي يسكب فيه النور والحياة، فالذين تتجمع فيهم هذه الصفات، المتعاونة في بناء الشخصية المسلمة الكاملة.. هؤلاء جميعاً، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً..

وهكذا يعمم النص في الحديث عن صفة المسلم والمسلمة ومقومات شخصيتهما، بعد ما خصص نساء النبي ﷺ في أول هذا الشوط من السورة. وتذكر المرأة في الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة، وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله؛ ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة^(١).

(١) انظر: في ظلال القرآن، تفسير سورة الأحزاب الآية ٣٥، (٢٨٦٣/٥).

التوجيهات التربوية العقديّة من الآية:

- اللبنة الأولى وحجر الأساس في بناء الأمة المسلمة تبدأ من الفرد المسلم وفق هذه المقومات العشر المذكورة في الآية الكريمة؛ ليحصل بها على خيري الدنيا والآخرة
- أبرزت الآية تكريم الإسلام للمرأة والمساواة التامة بين الرجال والنساء في التكليف والثواب^(١)، وفي هذا رد على أكاذيب المغرضين الذين يتغنون بحقوق المرأة.
- المسلم والمسلمة معاً هما اللبنة الثانية في تكوين البيت المسلم الصالح المصلح في بناء المجتمع المسلم، ثم الخلافة الإسلامية ثم استاذية العالم بعون الله تعالى.
- التغيير الحقيقي لواقع الأمة الإسلامية اليوم في ظل تحزب العالم وتكالبه عليها لن يتحقق حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ وذلك بالتحلي بهذه الصفات العشر المذكورة في الآية.
- تحقيق هذه الصفات العشر في وسع كل مسلم ومسلمة، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.
- هذه الصفات العشر شاملة لأصول الإسلام عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكاً^(٢)، كما قال ابن عاشور: اشتملت على جوامع فصول الشريعة كلها^(٣).

(١) انظر: موضوعات سور القرآن الكريم، عبد الحميد طهماز، في سورة الأحزاب، الآية ١١٢.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (٢٢/١).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٢٢/٢٢).

المطلب الثامن: تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأنكار والتسابيح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤: ٤١]

المعنى الإجمالي للآيات: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله بقلوبهم وأقوالهم وعملوا بشرعه بأركانهم، التزموا ذكر ربكم أيضاً بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكراً كثيراً^(١)، بكل أشكال وصيغ التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وفي كل وقت، وخصص أول النهار وآخره؛ لفضلهما واختصاصهما بنزول الملائكة، ﴿وسبِّحوه بكرة وأصيلًا﴾ يقول: صلوا لله بكرة بالغداة، وأصيلًا بالعشي^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر)^(٣).

وإنَّ هذا الربَّ العظيم الذي تذكرونه وتسبحونه هو الذي يرحمكم، وملائكته تستغفر لكم، يريد بهذه الرحمة هدايتكم وإخراجكم من ظلمات الكفر والجهل والضلال إلى نور الحق والهدى والإيمان، فصلاة الله على العبد بالرحمة، والملائكة بالاستغفار، والمراد بالصلاة المشتركة بين الله وملائكته: هو العناية بصلاح أمركم، وظهور شرفكم ورفع شأنكم، ولكي يخرجكم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة، وهذا من رحمة الله بعباده.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قال ابن كثير: الظاهر أن المراد . والله أعلم . تحيتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه: سلام، أي يوم يسلم عليهم، كما قال عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضاً بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة^(٤). وكذا قال القرطبي: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أي تحية بعضهم لبعض^(٥)، ويؤيده قوله تعالى: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبري، (١٧/٢٢).

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (٣٨٧/٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل الدعوات، حديث: ٦٤٠٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٣٨/٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨١/١٤).

الآثار التربوية العقديّة من الآيات:

- **الحض على الإكثار من ذكر الله وشكره على نعمه، وتسبيحه في معظم الأحوال بالتسبيح والتلهيل والتحميد والتكبير، دون تقدير بقدر معين أو تحديد بحد؛ ليسهل الأمر على العبد، وليعظم الأجر فيه.** روى أحمد وأبو يعلى وغيرهما عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»^(١).
- **إسباغ الرحمة الإلهية على المؤمنين وتسخير الملائكة للاستغفار لهم، بقصد هدايتهم وإخراجهم من ظلمة الكفر والجهل إلى نور الهدى واليقين، فالصلاة من الله على العبد: هي رحمته له وبركته لديه، وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقال القرطبي: وهذه نعمة من الله تعالى على هذه الأمة من أكبر النعم؛ ودليل على فضلها على سائر الأمم، ففي الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢) [آل عمران: ١١٠]**
- **التثبيت على الهداية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من الضلالة إلى الهدى، وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة^(٣)، وفيها إخبار برحمته تعالى للمؤمنين وتأنيس لهم، فهو يرحمهم في الدنيا بهدايتهم إلى الحق، ويؤمنهم من عذاب الله يوم القيامة، وتكون تحية الله لهم يوم القيامة بعد دخول الجنة: سلام، أي سلامة من عذاب الله، وقيل: عند الموت وقبض الروح.**

(١) الحاكم، المستدرک على الصحيحین، (١/٦٧٧، رقم الحديث: ١٨٣٩). صححه الحاكم

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١-٣/٧)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ٤٢٣).

المطلب التاسع: علم الله المطلق بكل شيء

من رحمة الله تعالى بعبادة أنه يخبرهم بأنه مطلع على خفايا الصدور، ما يجعل العبد يُراقب الله تعالى دائماً، الذي يحول بين المرء وقلبه، ويعلم السر وأخفى، فيسعى العبد إلى تطهير نفسه من الأدناس الحسية والمعنوية، حتى يرقى بقلبه وعمله إلى مرتبة الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ، وهذا يتجلى واضحاً في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُّوْا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا﴾ [الأحزاب: 54]

قال ابن منظور رحمه الله: "فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن من قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتم الإمكان"^(١)

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو العليم أحاط علماً بالذي	في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما	قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيـ	ف يكون ذاك الأمر ذا إمكان ^(٢)

الأثر التربوي العقدي في الآية:

- الحياء من الله "العليم" بتطهير السريرة وتصفية حديث النفس وخباياها وخفاياها.
- مراقبة الله في السر والعلن والمخالطة والخلو، لأنه بكل شيء عليم.
- حفظ اللسان من زلاته وفلتاته؛ فما يلفظ من قول إلا أحصاه الله العليم.
- تعاهد القلب بالرعاية والزاد، ومعالجة الأمراض والأدران أولاً بأول؛ لأن صلاحه صلاح الجسد كله وفساده فساد للجسد كله، والعليم سبحانه يحول بين المرء وقلبه
- استشعار الوجع والخوف والرغبة من كمال علم الله بكل ما بيديه العبد أو يخفيه.

(١) لسان العرب، ابن منظور (٣٠٨٢/٤-٣٠٨٣)

(٢) النونية الكافية الشافية، ابن قيم الجوزية (٢١٥/٢).

المطلب العاشر: تكريم النبي ﷺ وجزاء إيدائه وإيداء المؤمنين

تكرر نداء الله عز وجل على نبيه "يا أيها النبي" توجيهاً له، فقال لما يجب أن يكون عليه مع ربه: اتق الله، ومع أهله: قل لأزواجك، وفي دعوته مع الناس: إنا أرسلناك^(١).

ورسول الله ﷺ خير الناس وأفضل الأنبياء، رفع الله قدره وأعلى منزلته، ومكانته عند المؤمنين قديرة، والإيمان به وبنبوته واجب، ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان^(٢) حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من والده وولده ونفسه التي بين جنبيه والناس أجمعين، والصلاة عليه عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، هذا رسول الله ﷺ، الرحمة المهداة، أخبر عنه الله: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، وروى البخاري أن النبي ﷺ قد بعث موعظاً وأباً موسى إلى اليمن، فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فإنه قد أنزل علي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٣) أي: شاهداً على أمتك بإبلاغهم الرسالة، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم إليهم^(٤)، ومبشراً بالجنة، إن آمنوا به واتبعوه، ونذيراً من النار، إن كذبوه وخالفوه، وداعياً إلى شهادة لا إله إلا الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٥)، لمن استتار بالقرآن الذي أوحى إليك^(٦)، وبشيراً للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً^(٧) وهي الجنة، قال ابن عطية: قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه الآية من أرجى الآيات عندي في كتاب الله، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فلا تسمع لكافر ولا لمنافق يتربص بك وبدعوتك وصحبك الدوائر، واصبر على أذاهم، وأعرض عنهم، واعتمد على ربك فإنه كافيك ما أهمك من كل أمور الدنيا والآخرة^(٨).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٨٧/٢٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب حلاوة الإيمان، حديث "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ"

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، حديث ٣٠٣٨

(٤) انظر: فتح القدير. الشوكاني، (٢٨٨/٤).

(٥) انظر: الدر المنثور، السيوطي، تفسير سورة الأحزاب، (٧٦/١٢).

(٦) انظر: جامع البيان، (١١/٢٢). والتفسير الميسر، نخبة من العلماء (ص ٧٧٠).

مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿[الأحزاب: ٥٦-٥٨]

وصلاة الله عليه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة عليه: الدعاء له^(١)، وقال ابن عباس: صلاة الله على النبي هي مغفرتهم فالله لا يصلي وإنما يغفر، وأما صلاة الناس على النبي ﷺ فهي الاستغفار، وعنه أيضاً، أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه «يا موسى إن سألوك هل يصلي ربك؟ فقل: نعم. أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي» فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾^(٢) الآية

وصيغة توقير النبي بالصلاة عليه، وهناك صيغة واردة في السنة، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(٣)، وهناك أحاديث صحيحة وآثار كثيرة في فضلها العظيم، وعن أبي هريرة: قال ﷺ (من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً)^(٤)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهد الملائكة، وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها)^(٥).

وإيذاؤه ﷺ بأيّ وسيلة كانت -كما بالرسوم المسيئة- استحقاق لنزول لعنة الله عز وجل في الدنيا والآخرة، ومُسَيَّبٌ للعذاب المُهين، بل وإيذاء أتباع النبي ﷺ من المؤمنين والمؤمنات هو بهتانٌ عظيمٌ، وإثمٌ مبينٌ.

وفي إيذاء الرسول ﷺ قولهم: مجنونٌ وشاعرٌ وكذابٌ، كذلك «قيل: هو كسر رباعيته، وشج وجهه الكريم يوم أحد، وقيل: طعنهم في نكاح صفية، والحق هو العموم فيهما^(٦)»، فجاء

(١) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (١٣)، رقم الحديث ٤٧٩٧. كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب،

باب قوله "إن الله وملائكته يصلون على النبي"

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي (التفسير بالمأثور) (٧/١-٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم الحديث: ٤٥١٩.

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٨)، وأخرجه الترمذي "كتاب الصلاة" باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي (٤٨٥)،

(٥) نيل الأوطار «أبواب الجمعة» باب انعقاد الجمعة بأربعين وإقامتها في القرى،. رقم الحديث ١٢٠٦.

(٦) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١١٤/٧).

التعبير عن أذى الله عز وجل، وأذى رسوله ﷺ معاً؛ في حين أفرد للحديث عن أذى المؤمنين آية أخرى، فقال سبحانه بعد الوعيد للذين يؤذون الله، ورسوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]، فالأول -أي: ذكرهما معاً-: إضافة إلى ما ذكر في معنى أذى الله عز وجل، فإنه سبحانه جعل أذى النبي ﷺ أذى له تعالى؛ تشريعاً لمنزلته ^(١)، وأما الثاني -أي: أفراد أذى المؤمنين-: ففعل ذلك لأنَّ «أذية ﷺ ليست كأذية غيره؛ لأنه لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله ﷺ وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره، وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيماً^(٢)» .

وقد يأتي الإيذاء على شكل سلوكيات خاطئة، وعادات سيئة، من بعض المسلمين -بغير قصدٍ منهم- فأراد الله سبحانه أن يعلمهم، ويعلم من بعدهم، حيث كانوا يجلسون عند النبي ﷺ قبل الطعام، وبعد الطعام، يتحدثون عنده طويلاً، وكان يؤذيه ذلك، ويستحي أن يقول لهم قوموا، إذ أن دخول بيته بغير إذن، والعودة لانتظار الطعام، يؤذي النبي ﷺ فيستحي منهم أن يخرجهم منها، فيحتمل ﷺ إطالتهم كرمًا منه، ويصبر على الأذى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب، فصار أدباً لهم ولمن بعدهم^(٣)، أما في مسألة زوجات النبي ﷺ وهو أذى آخر تحركت له حساسية عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى البخاري عن أنس، قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: (يا رسول الله يدخل عليك البُرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب^(٤)) ، فأذن الله «في مسألتهن من وراء حجاب، في حاجة تعرض، أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة^(٥)» .

فالأمر إذاً ليس مقصوراً على أذى الكفار، بل هناك ممارسات يومية، قد تسبب الأذى للداعية، من المحيطين به، وعلينا أن ننتبه لهذا، ونقوم سلوكنا نحو الأفضل؛ لا أن نكون مصدر إزعاج لبعضنا البعض.

(١) انظر: تفسير القرآن، العز بن عبد السلام، (٣٤٧/٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٧١).

(٣) انظر البسيط، الواحدي، (٢٨٤/١٨). انظر: أخرجه مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، رقم ١٤٢٨

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، بابا قوله "ولا تدخلوا بيوت النبي" حديث ٤٧٩٠

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٢٧/١٤).

الآثار التربوية العقدية المستنبطة من الآيات:

- وصف الله تعالى لنبيه ﷺ ولدعوته في الآيات السابقة هي رسالة للناس وحجة لهم أو عليهم.
- مدح النبي ﷺ وبيان علو منزلته وفضله ﷺ على المؤمنين.
- بشرى المؤمنين بالفضل الكبير والجزاء الوفير، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم.
- أمر الله نبيه ﷺ والمقتدين ضمناً من بعده، بعدم طاعة الكافرين والمنافقين وعدم الالتفات لمضايقاتهم وأذاهم.
- الثقة التامة بالله التوكيل، فإنه كافيه وناصر دينه ودعوته بعز عزيز أو بذل ذليل.
- التزام عبادة تكريم النبي بالصلاة على النبي التي تولّاها الله تعالى بنفسه مع ملائكته الكرام وأمر بها المؤمنين، ولا يوجد عبادة مماثلة لها من هذا الوجه، فهي عبادة مطلقة، حيث قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "فأكثر من ذلك وأبشر بالخير، وليس هناك حدّ محدود، تصلي على النبي ﷺ ما تيسر عشرًا أو أكثر أو أقل على حسب التيسير من غير تحديد^(١)، قال شيخنا العثيمين: "هذه نعمة كبيرة، فإذا قلت: "اللهم صلّ على محمد"؛ يعني: أثنّ عليه في الملاء الأعلى، أنتى الله عليك أنت عشر مرات، فالله لك الحمد، والمقصود الحثّ على كثرة الصلاة على النبي ﷺ^(٢).
- تحري المواطن المستحبة في الصلاة على النبي ﷺ، ومنها: بعد الأذان، وعند الإقامة، وعند الدعاء، ويوم الجمعة، وفي افتتاح الحديث، ويختم بها المجالس، وفي الرسائل، وما يكتب بها بعد البسملة^(٣).
- ذكر ابن قيم الجوزية من فضائل الصلاة على النبي ﷺ أنها سبب لغفران الذنوب وقضاء الحوائج وكفاية الهموم وامتثال لأمر الله تعالى^(٤).
- إيذاء النبي ﷺ من أكبر الكبائر التي تستوجب الطرد من رحمة الله تعالى، وما نراه اليوم من الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله التي أيدها الصليبي الحاقد ماكرون رئيس وزراء فرنسا وكذلك النمسا والدانمارك إنما هو دلالة على عداوة اليهود والنصارى للمسلمين ونبههم.

(١) انظر: فتاوى ابن باز (١١ / ٢٠٩)

(٢) انظر: التعليق على مسلم، محمد بن صالح العثيمين، (٣ / ٩٣)

(٣) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض، (تحقيق عبد اسلام أمين، ٥١٧/٢).

(٤) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، (ص ٦١٢-٦١٣).

- وجوب نصره النبي بتصدي الموحدين لكل حملات الإيذاء والتشويه من الكافرين والمنافقين للنبي بكل الوسائل وأولها المقاطعة الاقتصادية لبضائعهم، وكذلك سياسياً بطرد سفرائهم من بلاد المسلمين احتجاجاً وانتصاراً لنبينا الكريم.
- الاعتقاد الجازم بأن النبي هو أفضل الرسل كلهم^(١)، فلم نؤمر بالصلاة على غيره من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بل هو خير خلق الله على الإطلاق.
- لا يجوز إيذاء المؤمنين والمؤمنات ظلماً وعدواناً، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده^(٢)
- يجب التصدي بالحُجّة والعلم ترغيباً، والقضاء والعقاب ترهيباً، لكلٍ من يؤذي مسلماً من أهل القبلة باتهامه في عقيدته، وتكفيره بمطلق المعصية، ثم استحلال دمه وماله وعرضه.
- تكثيف جهود العلماء، والدعاة، والإعلاميين، والدبلوماسيين في الذبِّ عن دين الإسلام ونبيه والمسلمين ضد الحملة الممنهجة لإيذائهم، وتكالب ملّة الكفر عليهم، بإلصاق تهم الإرهاب تارةً، والإسلام فوبيا^(٣) تارةً، والإسلام السياسي والراديكالي تارةً أخرى؛ بهدف الإساءة والتشويه.

(١) تفسير السعدي، الشيخ عبد الرحمن السعدي، (ص ٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده حديث رقم ١٠

(٣) الإسلام فوبيا: مفهوم يعني حرفياً الخوف الجماعي المرضي من الإسلام والمسلمين، إلا أنه في الواقع نوع من العنصرية قوامه جملة من الأفعال والمشاعر والأفكار النمطية المسبقة المعادية للإسلام والمسلمين.

المطلب الحادي عشر: تهديد المنافقين والكفار وبيان جزائهم

توَعَّدَ اللهُ تعالى الكافرين الذين يبطنون الكفر ويعلمونهم، كما يهدد سبحانه المنافقين الذين يظهرون الإيمان لكنهم يبطنون الكفر والعداء، عن مكرمهم وتربصهم بالرسول وبالمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْنَ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَلْعُونِينَ ۖ أَيْمًا تُقْفَلُوا أَخْذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٦٠]

عن قتادة رضي الله عنه قال: إن أناساً من المنافقين أرادوا أن يظهروا نفاقهم، فنزلت فيهم ﴿لَيْنَ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآية. لئلا تغريهم: لنسلطنك عليهم، والإرجاف: هو الكذب الذي كان يذيعه المنافقون فيقولون: قد أتاكم عدد وعدة. وقيل: إن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية^(١)

ثم في آخر دروس السورة الكريمة يأتي الحديث عن الساعة التي هي من أسماء يوم القيامة، وسُميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعات الدنيا، ويجوز أن يراد بالساعة أول ساعة من الآخرة، أو بسبب أنها تقع بغتة، وصارت علماً بالغلبة^(٢).

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۝ رَبَّنَا إِنَّا إِتَيْنَا مِنْهُمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَةِ لَعَنَّا كَبِيرًا ۝﴾

قدّر الله هذا لحكمة يعلمها، نلمح طرفاً منها، في ترك الناس على حذرٍ من أمرها، وفي توقّع دائمٍ لها، وفي استعدادٍ مستمرٍ لفجأتها. ذلك لمن أراد الله له الخير، وأودع قلبه التقوى، فأما الذين يغفلون عن الساعة، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقاءها، فأولئك الذين يختانون أنفسهم، ولا يقونها من النار، وقد بين الله لهم وحذرهم وأنذرهم؛ وجعل الساعة غيباً مجهولاً متوقّعا في آية لحظة من لحظات الليل والنهار: وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً!^(٣)

(١) راجع: الدر المنثور، السيوطي، (٦/٦٦٢).

(٢) انظر: الموسوعة العقديّة - الدرر السنية، مجموعة من الباحثين، (٤/٢٨٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٢٨٨١).

ثمَّ تَوَعَّدَ اللهُ الكافرينَ بعذابٍ لا شَفِيعَ لَهُمْ فِيهِ وَلَا مُدَافِعَ عَنْهُمْ وَلَا نَصِيرَ يُنْقِذُهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ الَّتِي سَتَقْلَبُ وُجُوهَهُمْ فِيهَا تَحْرِيقًا وَتَعْذِيبًا، وَخَصَّتْ وَجُوهَهُمْ بِالْعَذَابِ لِأَنَّهَا طَالَمَا عَصَتْ رَبَّهَا وَأَذَتْ رَسُولَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ^(١)، حِينَهَا سَيَنْدُمُونَ، وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَمْنَا رَبَّنَا وَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ، فَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٢)، وَمَنْ حَسَرْتَهُمْ سَيَقُولُونَ مُعْتَذِرِينَ رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا أُنْمَةَ الضَّلَالِ وَكِبْرَاءَ الشَّرِّ، فَحَرَفُونَا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْخَيْرِ، نَدْعُوكَ رَبَّنَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ تَعَذِّبَهُمْ أَضْعَافَ عَذَابِنَا وَاطْرُدْهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ شَرِّ طَرْدَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ هُمْ السَّبَبُ فِيْمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَيَخْتَمُ اللهُ السُّورَةَ بِالْإِيْقَاعِ الْهَائِلِ الْعَمِيقِ. عَنِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقْتَ مِنْ حَمَلِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانَ، وَهِيَ ضَخْمَةٌ هَائِلَةٌ سَاحِقَةٌ. ذَلِكَ لِيَتِمَّ تَدْبِيرُ اللهِ فِي تَرْتِيبِ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَحَاسِبَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ^(٣).

الآثار التربوية العقيدية من الآيات:

- النفاق مرض قلبي خطير، وله أسبابه ومخاطره، ومظاهره، ومنها حب الشهوات المحرمة كالزنى وغيره، فصاحبه ملعون في الدنيا مُهان في الآخرة، وعلى المسلم أن ينتبه لقلبه من تسلل هذا المرض لقلبه فيهلك والعياذ بالله.
- مدارس أوصاف المنافقين في كتاب الله التي فضحت المنافقين مثل سورة البقرة والتوبة والأحزاب وسورة المنافقين نفسها فيحذرهم ويأمن مكرهم وأراجيفهم.
- فهم سنن الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل، وكيفية التعامل معها لتحقيق نصر الله وتمكينه لدينه؛ فيراعيها ويوافق حركته لها في خدمة العقيدة الإسلامية.
- علم الساعة جعلها الله تعالى بحكمته من الغيبيات؛ ليظل المسلم على استعداد دائم للقاء الله بما يحب أن يختم به ليلقى الله به، فقد جرت عادة الله الكريم على أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه^(٤).
- لا يكن الإنسان إمعة، كما أوصانا النبي ﷺ، يتبع كل ناعق في الباطل لأجل مصالح زائلة؛ لأن المرء سيحشر يوم القيامة مع من أحب كما في الحديث: (أنت مع من أحببت)^(٥).

(١) انظر: التفسير الواضح، محمد حجازي، (ص ١٢١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (٤/٤٠٠).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٢٨٨٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، (٥٢/٨). تفسير سورة المجادلة، الآية ١٨

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، حديث ٦١٧١

المطلب الثاني عشر: أسماء الله الحسنى في فواصل سورة الأحزاب وثمارها التربوية

أسماء جمع اسم، والاسم كما عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية مشتق من السمو، وهو العلو^(١)، وقيل: "هو العلامة توضع على الشيء يعرف بها"^(٢)، والحسنى جمع الأحسن، وهي أحسن الأسماء، فلا يصح أن نقول: «إن أسماء الله حسنة»، والصواب هو أن نقول: «إن أسماء الله حسنى» كما وصفها الله بذلك^(٣)، والأسماء الحسنى في الاصطلاح كما عرفها ابن تيمية: «هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»^(٤).

أما صفات الله، فمعناها لغةً، كما قال ابن فارس: «الصفة: الأمانة للشيء»^(٥).

ومعناها اصطلاحاً: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات وهي الأمانة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها^(٦)، وهي أيضاً ما وقع الوصف مشتقاً منها، وهو دالٌّ عليها، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه^(٧)، وأسماء الله الحسنى هي الأصل الذي يؤخذ منها الصفات العلى، ومن هنا فالعلاقة بين أسماء الله وصفاته ذات صلة كبيرة، إذ مبناها على الأصل وفرعه، وقد قال ابن القيم رحمه الله: «إثبات صفات الكمال الذي أثبتته لنفسه وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل وأن ما وصف الله به فهو الذي يوصف به لا ما وصفه به الخلق»^(٨).

الثمرات التربوية لصفات الله وأسمائه الحسنى

المتدبر للقرآن العظيم يجد أن الله سبحانه تعالى قد تجلى فيه بأسمائه وصفاته متعرفاً إلى عباده بصفاته ألوهيته وصفاته ربوبيته وصفاته كماله وجماله وجلاله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وتأمل العبد في آياته يجعله، يعرف رباً قد اجتمعت له

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٠٧/٦). انظر: الصحاح، الجوهري (٢٣٨٣/٦).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، التميمي (ص ٢٩).

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، التميمي (ص ٣٠).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، (ص ٣١).

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٤٤٨).

(٦) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ١٣٣).

(٧) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٥٤٦). ويعنى بالوصف هنا الاسم؛ فالعلم صفة، والعالم وصف دال عليها، والقدرة صفة، والقادر وصف دال عليها.

(٨) انظر: الصواعق المرسلية، ابن قيم، (١٥٤/١).

صفات الكمال والجلال فهذا القرآن عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعته والتقدم إلى عبادته بأمره ونهيهِ»^(١)، فاعتقاد المسلم بأسماء الله وصفاته الاعتقاد الجازم المثمر لأعمال القلوب والجوارح يؤثر في نظرته للحياة وعلاقته بربه تبارك وتعالى أيما تأثير، وقد ذكر الله تعالى في فواصل سورة الأحزاب خمسة عشر اسماً من أسمائه الحسنی وهي: العليم، الحكيم، الخبير، الوكيل، الغفور، الرحيم، البصير، القوي، العزيز، القدير، اللطيف، الحسيب، الحليم، الرقيب، الشهيد، فكل اسم منها له دلالاته ومناسبته وحكمته في سياق الآية والمقطع ما يعزز الوحدة الموضوعية للسورة، ومن أهم ثمراتها: أنها جاءت منسجمة ومتسقة مع موضوعات السورة مرغبة ومؤكدة للرجوع إلى الله عز وجل، طمعاً في رحمته الواسعة ومغفرته؛ لذا كان أكثر اسم لله ذكر في السورة هو اسم الله الرحيم ويليهِ الغفور فقد جاء متعانقين وأضافاً للسورة جمالية ميزتها عن غيرها من السور، ومن ثمراتها أيضاً أنها تجلب أعظم الأثر في تحقيق العبودية لله، فأسماء الحمد تملأ قلب العبد محبة لله ورجاء في رحمته، وأسماء المجد تملأ قلب العبد ذلاً وخوفاً ورهبةً من سخطه وعقابه، وبذلك يجتمع في قلب العبد كمال حب الله مع كمال الذل له وحده وبهما تتحقق العبودية لله رب العالمين، كما عرقها الإمام ابن تيمية: والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف من يحب من لا يخضع له، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم، فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة^(٢).

(١) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم، (ص ١٨٢)

(٢) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل، ابن تيمية، (٢/٢٨٤).

المبحث الثاني

التوجيهات التربوية التشريعية والتعبدية في ضوء سورة الاحزاب.

أنزل الله هذا القرآن مُنْقِذاً للبشرية، ومُخْرِجاً لها من ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ إلى نُورِ الهدى، وشفاءً لها من أسقام الجهل والغَيِّ؛ لذلك كان القرآن معجزةً خالدةً، كاملاً لا يشوبه نقص، شاملاً لكل مناحي الحياة، مُصلحاً لكل زمان ومكان.

ونحن في هذا المبحث سندرس التوجيهات التربوية التشريعية والتعبدية في ضوء سورة الأحزاب من خلال سبعة مطالب، وهي كما يلي:

المطلب الأول: تحريم الظهار.

المطلب الثاني: تحريم التبني ونسبة الابن إلى غير أبيه.

المطلب الثالث: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض.

المطلب الرابع: خصائص أهل بيت النبوة.

المطلب الخامس: بيان أحكام الطلاق في التشريع الإسلامي.

المطلب السادس: محارم المرأة المسلمة وإبداء ما ظهر من الزينة لهم.

المطلب السابع: وجوب ستر المرأة.

المطلب الأول: تحريم الظَّهَار

أولاً: معنى الظَّهَار لغةً واصطلاحاً:

الظَّهَار لغةً مأخوذٌ مِنَ الظَّهَر، يقال: ظاهرٌ مِنْ امرأته ظَهارًا، وتَظَهَّر: إذا قال لها: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي^(١).

الظَّهَار اصطلاحاً: تشبيهُ الزَّوجِ امرأته أو عُضْوًا منها بظْهَرٍ مَنْ تَحَرَّمَ عَلَيْهِ عَلَى التَّأْيِيدِ^(٢).

ثانياً: سبب نزول آية الظَّهَار:

استجابة الله تعالى لشكوى الصحابية (خولة بنت ثعلبة) التي ظاهر منها زوجها - على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظَّهَار - فجاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، وذكرت القصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: قَالَ تَعَالَى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وهو أوس بن الصامت"^(٣).

وعن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي ما جعلها أمك، وإذا ظاهر الرجل من امرأته فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفارة^(٤).

ثالثاً: حكم الظَّهَار

يَحْرُمُ الظَّهَارُ شرعاً، قال ابنُ تَيْمِيَّةَ: (الظَّهَارُ مُحَرَّمٌ، وَإِذَا ظَاهَرَ ثَبَتَ حُكْمُ الظَّهَارِ؛ وَكَذَلِكَ النَّذْرُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَمَعَ هَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ)^(٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٣٦/٦)، الصحاح للجوهري (٧٣٢/٢)، المصباح المنير للفيومي

(٢/٤٩٩)، تاج العروس للزبيدي. (12/491)

(٣) انظر: الإقناع للحجاوي (٨٢/٤). وانظر: (فتح القدير) لابن الهمام (٢٤٥/٤)، البحر الرائق لابن نجيم

(٤/١٠٢)، كشف القناع للبهوتي. (5/369).

(٣) صحيح ابن ماجه، الإمام الألباني، رقم الحديث: (١٦٩١)، خلاصة حكم المحدث (الألباني): صحيح.

(٤) انظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٣٤٨/٥).

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨٧/٣٢).

ونستدل من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

1- أن الله تعالى سمّاه في هذه الآية مُنْكَرًا وَزُورًا، أراد بالمنكر: ما تُنْكِرُهُ الحقيقة والشرع، وبالزور: الكذب والباطل^(١)، وقول المنكر والزور: من أكبر الكبائر^(٢)

2- إخباره تعالى بأنه يَغْفِرُ وَيَعْفُو عنه، وهذا يقتضي أنه مُحَرَّم^(٣).

3- إكذابهم في تشبيههم الزوجة بالأم، وهذا يقتضي أنه حَرَمَ تشبيه الحلال بالحرام^(٤).
ونقل الإجماع على ذلك: "وهو محرم إجماعاً، حكاه ابن المنذر"^(٥)

رابعاً: صِيغُ الظَّهَارِ:

من صِيغِ الظَّهَارِ: قَوْلُ المظاهر لزوجته: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي _ تشبيه الزوجة بمن تحرّم عليه على التّأبيد من أقاربه غير الأم _ تشبيه الزوجة بظهر من تحرّم عليه على التّأبيد سوى الأقارب _ تشبيه الزوجة بمن تحرّم عليه على التّأقيت _ أَنْتِ كَظْهَرِ أُمِّي _ أن يُشَبَّهَ عُضْوًا من أعضاء زوجته بظهر أمّه _ أن يُشَبَّهَ زَوْجَتَهُ بِعُضْوٍ من أعضاء أمّه غير الظَّهَر _ أَنْتِ كَأُمِّي، أو مِثْلُ أُمِّي _ أَنْتِ أُمِّي _ أَنْتِ حَرَامٌ عَلَيَّ كَأُمِّي^(٦).

خامساً: كَفَّارَةُ الظَّهَارِ:

كَفَّارَةُ الظَّهَارِ تَجِبُ عَلَى التَّرْتِيبِ: تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، ثُمَّ صِيَامُ شَهْرَيْنِ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الرَّقَبَةَ، ثُمَّ إِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصِّيَامَ فَقَدْ قَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ

(١) تبين الحقائق، للزيلعي (٢/٣)، مواهب الجليل، للحطاب (٤٢٣/٥).

(٢) كشف القناع، للبهوتي (٣٦٩/٥).

(٣) الكافي، لابن عبد البر (٧٤٤/١٠).

(٤) المرجع السابق (٧٤٤/١٠).

(٥) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف "الإشراف في اختلاف العلماء"، وكتاب: "الإجماع"، وكتاب: "المبسوط"

(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الثانية)، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٠٣/٤٢).

سَيِّئِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
[المجادلة: ٣-٤]

فنفهم أنَّ الأصل بقاء الترتيب على ظاهره وجوباً^(١)، ويظهر ذلك جلياً في حديث سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه قال: (كنتُ امرأً أَسْتَكْثِرُ مِنَ النِّسَاءِ، لَا أَرَى رَجُلًا كَانَ يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ مَا أُصِيبُ، فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ ظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَحْدِثُنِي ذَاتَ لَيْلَةٍ انْكَشَفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا فَوَاقَعْتُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبْرِي، وَقُلْتُ لَهُمْ: سَلُوا لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا كُنَّا نَفْعَلُ؛ إِذَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ فِيْنَا كِتَابًا، أَوْ يَكُونَ فِيْنَا مِنْهُ ﷺ قَوْلٌ، فَيَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهُ! وَلَكِنْ سَوْفَ نُسَلِّمُكَ بِجَرِيرَتِكَ، أَذْهَبَ أَنْتَ فَادْكُرْ شَأْنَكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ ﷺ: أَنْتَ بِذَلِكَ؟! فَقُلْتُ: أَنَا بِذَلِكَ، وَهَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَابِرٌ لِحُكْمِ اللَّهِ عَلَيَّ، قَالَ: فَأَعْتِقْ رَقَبَةً. قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ إِلَّا رَقَبَتِي هَذِهِ! قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ دَخَلَ عَلَيَّ مَا دَخَلَ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا بِالصَّوْمِ؟! قَالَ: فَتَصَدَّقْ، أَوْ أَطْعَمْ سَيِّئِينَ مَسْكِينًا. قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ بَنَيْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ مَا لَنَا عِشَاءً! قَالَ: فَادْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ، فَقُلْ لَهُ، فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، وَأَطْعَمْ سَيِّئِينَ مَسْكِينًا، وَانْتَفِعْ بِبَقِيَّتِهَا)^(٢)

سادساً: الحِكم والمقاصد التربوية التشريعية في كفارة الظَّهار:

- ١- التعبد لله بالقبول والانقياد لأمر الله وما شرعه في الكفارات عامة ومنها كفارة الظهار
- ٢- تربية المؤمنين على طاعة الله في منشطهم مكرهم، من خلال تطبيق الكفارات التي فرضها الشارع الحكيم في حفظ مقاصد الشريعة الخمس، وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل.
- ٣- الكفارات بأنواعها فيها نفع للفرد والأسرة والمجتمع: الكفارات المالية تعود بالنفع على الفقراء والمساكين وتحقق التكافل الاجتماعي، والكفارات العبادية تزكي النفس وتهذب الخلق، وهي بشكل عام تشكل رادع لمن خلفهم، ما يحفظ استقرار المجتمع.
- ٤- الترتيب في الكفارات: تبرز رحمه الله بعباده وعقوه وغفرانه فترتيب الكفارة بحسب طاقتهم، فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن الإعتاق، وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٤٦٠/١٠)، تبين الحقائق للزيلعي (٨٦/٧)، أضواء البيان للشنقيطي (١٩٠/٦).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢٠٦٢)، صححه الحاكم على شرط مسلم في المستدرک (٢٢١/٢)،

عدم الاستطاعة على الصيام، فمن لم يطق الصيام وجب عليه إطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مد من طعام^(١).

٥- إنصاف المرأة: ولمنع الظلم عن المرأة، وهي كفارة من يحرم امرأته على نفسه، ويجعلها كإحدى محارمه من غير إرادة طلاق
٦- ضبط النفس واللفظ عند الغضب: وما كان لشريعة القرآن أن تترك المرأة المظلومة فريسة لكلمات ينطق بها اللسان إيذاء وظلماً، ولا يترك المتكلم بها من غير عقاب لغواً عابثاً، بل لا بد من رد الحق، وعقاب العابث، فكانت الكفارة.

٧- المحافظة على الحياة الزوجية: وذلك بالحفاظ على دعائم المودة والأنس النفسي من غير إحاش ولا إعنات؛ لأن النطق بهذه الكلمات وأشباهاها يلقي بالجفوة في قلب الزوجة فلا تطمئن إلى زوجها، ولا إلى الحياة الزوجية الكريمة المتوادة؛ ولهذا كانت تلك الكفارة محافظة على هذه المعاني^(٢).

٨- فشرّد بهم من خلفهم: كفارة الظهار تمثل زواجاً عن مباشرة ما يوجبها، قال تعالى: **قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣]**. ذلكم: إشارة إلى الحكم بالكفارة والخطاب للمؤمنين الموجودين عند النزول، ولغيرهم من الأمة، (توعظون به) أي: تزجرون به عن ارتكاب المنكر، فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات، والمراد بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم، بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب^(٣).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١/٨، الباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٥٢٨/١٨).

(٢) انظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة (ص ٣١٤).

(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي (٢٠٧/١٤).

المطلب الثاني: تحريم التبني ونسبة الابن إلى غير أبيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]

كان التبني أحد العادات الشائعة المتأصلة عند العرب، والتمكنة عندهم، يتوارث به ويتناصر، وكان العربي إذا أعجبه من الفتى قوته ووسامته ضمه إلى نفسه، ونسبه إليه، فيقال: فلان بن فلان. وجعل له نصيباً من الميراث كأحد أولاده^(١)، لا فرق بينه وبين أحد من أبنائه من نكاح أو غيره. وأيضاً للتجاوب مع النزعة الفطرية في حب الأولاد حال العقم، أو اليأس من الإنجاب، أو الاستلطاف، أو استحسان ولد أو بنت الآخر، أو رعاية لقيط، أو مفقود، أو مجهول النسب، وكان هذا يقع بخاصة في السبي؛ حين يؤخذ الأطفال في الحروب والغارات، فمن شاء أن يلحق بنسبه واحداً من هؤلاء دعاه ابنه، وأطلق عليه اسمه، وصارت له حقوق البنوة وواجباته^(٢).

وظل العمل بهذه العادة حتى ظهر الإسلام وأبطل التبني.

أولاً: معنى التبني لغةً واصطلاحاً

التبني لغةً: من بنى: بنا في الشرف بينو^(٣)، ويقال: تبنيته، أي: ادعيت بنوته، وتبناه: اتخذه ابناً^(٤).

التبني اصطلاحاً: هو ضم طفل أجنبي إلى أسرة معينة، وجعله بمنزلة الابن الحقيقي، له ما له، وعليه ما عليه من واجبات، يثبت له النسب كما يثبت للابن الحقيقي^(٥)، ولم يرد لفظ (التبني) في القرآن الكريم وإنما ورد بلفظ الدَّعي بل غلب في استعمال العرب لفظ (ادعاء) على التبني^(٦).

(١) انظر: تنظيم الإسلام للمجتمع، أبو زهرة (ص ١٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦/ ٥٣٥).

(٣) لسان العرب، ابن منظور (٨٩/١٤).

(٤) انظر: الصحاح، الجوهري، (٦/ ٢٢٨٧). لسان العرب، ابن منظور (٩١/١٤).

(٥) انظر: حقوق الطفولة في الشريعة، هلاي عبد الإله أحمد (ص ٧٨٩). المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، (٩/ ٤٣٧).

(٦) انظر: المصباح المنير، الفيومي (ص ١٩٥).

ثانياً: التبني في الأمم السابقة:

التبني معروف منذ القدم، وقد أشار القرآن إليه في موضعين:

١. تبني عزيز مصر ليوسف عليه السلام:

في قصة يوسف عليه السلام، قَالَ تَمَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ﴾ [يوسف: ٢١] قال الملك لزوجته: نتخذه ولدًا، أي: نتبناه^(١)، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد^(٢)، وذلك لما تفرّس فيه ورأى من الرشد والنجابة^(٣).

٢. تبني فرعون لموسى عليه السلام:

قصة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام المعروفة، وما يخصنا هنا أن الله ألقى عليه محبة منه عز وجل في قلب امرأة فرعون، فقالت له: عسى أن نتبناه إذا لم يعرف له أبوان، فإنه أهل للتبني؛ لما فيه من الوسامة وجمال المنظر التي تجعله أهلاً لتبني الملوك، وكانت امرأة فرعون لا تلد، ولم يكن لفرعون ولد ذكر^(٤)، وهكذا تربى موسى عليه السلام في بيت فرعون يركب ركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون^(٥).

ثالثاً: أسباب تحريم الإسلام وسائر الأديان السماوية للتبني:

- ١- أن التبني مخالف للفطرة الإنسانية وكذب
- ٢- منع اغتصاب الأنساب وتجريد الطفل من نسبه الأصلي
- ٣- الإسلام يقوم في جميع علاقاته الاجتماعية على أساس من الحق والعدل ورعاية الحقيقة، وهذا يقتضي نسبة الولد إلى أبيه الحقيقي، لا لأبيه المزعوم أو المزور، والحق أحق أن يُتبع.
- ٤- الواجب على الوالد أن ينسب ابنه إليه لا إلى غيره، فيكون التبني ظلمًا للوالد الحقيقي، وإهدارًا لمعنوياته، ومساسًا بكرامته وحقوقه.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٦٣/١٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٠٦/٢) ..

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٩٠/٣).

(٤) انظر: الكشف، الزمخشري (١٦٦/٣)، البداية والنهاية، ابن كثير (٢٧٦/١).

(٥) انظر: الكشف، الزمخشري (١٦٩/٣).

٥- التبني مجرد تحقيق نسب مزعوم أو قول باللسان، لا أساس له من شرع أو منطق أو حكمة ثابتة، وحينئذ لا تكون نسبة الولد إلى غير أبيه نسبة صحيحة، وإنما هي مزورة^(١).

٦- بنسخ نظام التبني وإبطال آثاره بطل النسب عن طريق التبني، فلا يجوز لأحد أن يفعله لأي سبب كان، فما يفعله بعض الناس اليوم من تبني بعض اللقطاء أو مجهولي النسب بحُجّة الرحمة به والعطف عليه وتربيته أو غيرها من الأسباب، لا تجعله حلالاً؛ بل يبقى حراماً، ولا يترتب على الولد بالتبني أي آثار شرعية، ولا أي حكم من أحكام البنوة الحقيقية^(٢).

ومن خلال تجارب الواقع، فإن المتنبئ - غالباً - سيكتشف الحقيقة آجلاً أو عاجلاً، ومن ثمّ ستسبب له اضطرابات نفسية، وينشأ نشأة غير طبيعية؛ لأنه يدرك أن أباه الحقيقي تولى عنه.

وأشار السعدي إلى لطيفة حين قال: عندما أراد الله تعالى أن يبطل الظهار والتبني قدّم بين يدي ذلك بيان قبحه وأنه باطل وكذب؛ وكلّ باطل وكذب لا يوجد في شرع الله ولا يتّصف به عباده^(٣).

فكل موضع علّق الله فيه حكم القول بالفم إشارة إلى الكذب وتنبه إلى أن الاعتقاد لا يطابقه، فالبنوة نسب أصيل عريق، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل^(٤)؛ فذلكم ادعائكم بقولكم: هذا ابني من غير أن يكون له مصداق وحقيقة في الأعيان، فإنّ هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم^(٥)، فالتبني حرام؛ لأنه يخلط بين الأنساب وفيه قلب للحقائق وتغيير للحقيقة، وهو يؤدي لمفاسد كثيرة أخرى^(٦).

قال ﷺ: (ليس من رجل ادّعي لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)^(٧)، وقال ﷺ: (لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن

(١) أحكام اللقيط، عمر السبيل (ص ١٧٥).

(٢) انظر: المفصل في أحكام المرأة، عبد الكريم زيدان (ص ٤٣٩).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٣٤/٤).

(٤) حدائق الروح والريحان، الهرري (٤٠٥/٢٢).

(٥) رشاد العقل السليم، أبو السعود (٢٠٧/٤).

(٦) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة مؤلفين، (٧٧-٧٦/٦).

(٧) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المناقب، باب ٥، (٢٢٧/٧)، رقم ٣٥٠٨.

أبيه فهو كُفْرٌ^(١)، هذان الحديثان فيهما زجر وتغليظ وتهديد ووعد أكيد في التبري من النسب المعلوم، فمن استحل هذا القول مع علمه بالتحريم فقد فعل فعلاً شبيهاً بفعل أهل الكفر؛ لأن فيه كذباً على الله كأنه يقول: خلقتني الله من ماء فلان وليس كذلك، وقال العلماء في معنى (كفر): إنه من يعتقد إباحة ذلك فقد كفر وخرج عن الإسلام. وإن لم يعتقد إباحتها ففي معنى كفره وجهان: أنه أشبه فعله فعل الكفار أهل الجاهلية، أو أنه كافر نعمة الله والإسلام عليه^(٢).

رابعاً: الآثار السلبية للتبني في الماضي والحاضر:

- ١- مخالفة الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية؛ لما فيه من الكذب والزور واختلاط الأنساب.
 - ٢- فيه ظلم للوالدين الحقيقيين، وإهدار لمعنوياتهما، ومساس بكرامتهما وحقوقهما.
 - ٣- يؤدي إلى تحريم ما أحل الله من النكاح بتحريم زوجة المتبنّي على المتبنّي أو أولاده.
 - ٤- قد يؤدي إلى الزواج بالمحارم لانقطاع صلة المتبنّي بأسرته الأصلية، أو الوقوع بالفاحشة
 - ٥- فيه اعتداء على المحرمات باختلاط زوجة المتبنّي وبناته وجميع محارمه بهذا المتبنّي، والخلوة بهن، والسفر معهن.
 - ٦- التبني فيه مشاركة الآخرين حقوقهم المالية من النفقة والميراث، فهو أخذ حق مالي بغير وجه شرعي.
 - ٧- قد يُتخذ التبني ذريعة للكيد بأحد الورثة؛ لحرمانه من حقه الذي خصّصه الشرع له.
 - ٨- المتبنّي غالباً لا يوجد لديه انتماء حقيقي لأسرته المتبناة ولا لمجتمعه الذي يعيش فيه؛ لأنه يعرف أنه غريب عنهم، وقد يتخلون عنه لأي ظرف أو عند أول طارئ يطرأ عليهم.
 - ٩- تخلي المتبنّي عن جنسيته الأصلية؛ لأنه تبع لجنسية المتبنّي له، وتبعاً لذلك تخليه عن الأعراف والتقاليد التي تؤمن بها أسرته الأصلية.
- بما أن الله تعالى جعل في كل جسد من جينات مورثة ما هو ظاهر في شكله وأخلاقه وكثير من تصرفاته؛ فإن هذا ينعكس سلباً على المتبنّي فيما لو كان متبنيه من بلد آخر، وعادات وتقاليد مختلفة تماماً، مما يجعله يصطدم بالقيم الاجتماعية والدينية.

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه، (١٣/٥٤٧)، رقم ٦٧٦٨.

(٢) تفسير آيات الأحكام، محمد السائس، (ص ٦٢٨).

خامساً: التوجيهات التربوية التشريعية لبدائل التبني

شرع الإسلام بدائل للتبني تغني عنه، ومن تلك البدائل:

١. الأخوة والولاء في الدين:

حرص الإسلام على إقامة المجتمع الإسلامي على أساس الحقِّ والعدلِ والصدق، فمن أهم صفات أهل الإيمان: الولاية في الله خاصة^(١)، والمسلمون بعضهم أنصار بعض، يتولى بعضهم بعضاً في النصرة والحماية والمحبة والتأييد^(٢)، جمعهم الإسلام على كلمة واحدة، واعتصموا بحبلٍ واحدٍ، صغت قلوبهم لله تعالى، ولانت أفئدتهم له سبحانه، فهم مرتبطون برباط معنوي لا ينفصم؛ مربوطون بالعروة الوثقى لا انفصام لها^(٣) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

وقال النبي ﷺ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)^(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويدخل في الآيتين سائر الولايات من المناكح والأموال والعقل والموت"^(٥).

٢. كفالة اليتامى:

المجتمع الإسلامي مجتمعٌ متعاون على البرِّ والخير، مجتمعٌ يرى أنَّ التكافل الاجتماعي هو القاعدة التي ينبغي أن يرتكز عليها هذا المجتمع، فعلى المسلمين أن يكفلوا ويراعوا مصالح الضعفاء في مجتمعهم، كما يراعون حقوق أقويائهم وأغنيائهم.

واليتامى بفقدهم آباءهم وهم صغار ضعاف، أحوج الناس إلى الرحمة والرفق بهم، والمساهمة الفعالة في تخفيف آلامهم، ودفع ما ينزل بهم من ضرٍّ، فإكرام اليتامى فيه تقوية لأواصر المودة وإنشاء نسيج مجتمعي متين؛ لذا حث الله تعالى على كفالة اليتامى والإحسان إليهم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ^ط وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٢٩/٨).

(٢) انظر: أيسر التفاسير، أسعد حومد (٦٧٥/١).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (٣٣٧٠-٣٣٧١/٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب نصرة المظلوم، حديث ٢٤٤٦

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٤٣/١٥).

عن سهل بن سعد عنه عليه السلام قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى^(١)، وقد وصف الله عز وجل المكذبين بيوم المعاد بصفاتٍ منها: دفعُ اليتيم بعُنفٍ وشِدَّةٍ ولا يرحمه، ولا يطعمه ولا يُحسن إليه^(٢)، وحاصل الأمر في دَعِ اليتيم أمور: دفعه عن حقه وماله بالظلم، وترك مواساته، وزجره والاستخفاف به والاضرار به^(٣)، فالإيمان أخو العطاء، وسورة الماعون ترفض العبادة الصورية، وترى أن إعانة محتاج شرط في الإيمان^(٤).

٣. بُنْوَةُ الرِّضَاعَةِ:

إذا أرضعت المرأة طفلاً حُرِّمَ عليه كَأَمِّهِ التي أنجبته، وحُرِّمَت بنتها، لأنها أخته، وأختها؛ لأنها خالته، وأمها؛ لأنها جدته، وبنت زوجها صاحب اللبن؛ لأنها أخته، وأخته؛ لأنها عمته، وأمها؛ لأنها جدته، وبنت بنيتها وبناتها؛ لأنهن بنات إخوته وأخواته^(٥).

وينتشر التحريم بالرضاع إلى ما حُرِّمَ بالنسب مع الصهر، إما من جهة نسب الرجل، كامرأة أبيه وابنه، أو من جهة نسب الزوجة، كأماها وابنتها، والجمع بين الأختين، والمرأة وعمتها وخالته^(٦)؛ لعموم قوله عليه السلام: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)^(٧).

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا، (٤٨/١٢)، رقم ٦٠٠٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٤٧/٦)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٦٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١١٣/٣١).

(٤) انظر: نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي (ص ٥٤٣).

(٥) انظر: الجامع الأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ١٠٤)، الأساس في التفسير، سعيد حوى (٥٠٨/١-٥٠٩).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٤٤٢/٢).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، الصفحة أو الرقم: ١٤٤٥.

المطلب الثالث: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض.

شَرَّفَ الله نبيه ﷺ، فجعل حقه أعظم الحقوق وشَرَّفَ زوجاته الطاهرات فجعلهن أمهاتٍ للمؤمنين، ثم بيَّن تعالى أن ذوي الأرحام أحقُّ بإرث بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 6].

لما نزل النبي ﷺ بالمدينة مع من هاجر معه، جعل لكل رجلٍ من المهاجرين أماً له من الأنصار فتوارث المتأخون منهم بتلك المؤاخاة زماناً كما يرث الإخوة ثم نُسخ ذلك بهذه الآية، كما نُسخ التوارث بالتبني بآية ادعواهم لأبائهم، فبينت هذه الآية أن القرابة هي سبب الإرث فالمراد بأولي الأرحام: الإخوة الحقيقيون، وعبر عنهم بأولي الأرحام لأنَّ الشقيق مُقدَّم على الأخ للأب في الميراث وهم الغالب^(١)، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مُقدَّمون في ذلك، وهذه الآية حُجَّةٌ على ولاية ذوي الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك، ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ أي: ليس لهم حقٌّ مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم أن تتبرعوا لهم تبرعاً، وتعطوهم معروفاً منكم^(٢).

أولاً: مفهوم الرحم

المعنى اللغوي: رحم: يدل على الرقة والعطف والرفقة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رق له، وتعطف عليه، والرحم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحماً من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يرحم، ويرق له من ولد^(٣)، "الرحم أسباب القرابة، وأصلها الرحم التي هي منبت الولد"^(٤).

المعنى الاصطلاحي: الرحم: "اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره"^(٥)، وقيل الرحم: "يطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧٠/٢٢)

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٣٧٣/٦)

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٩٨/٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٣٣٨/٣)

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧/٥).

ذا محرم أم لا^(١). فالأرحام: هم الذين يجتمعون مع المرء في النسب سواء أكان قريبًا أم بعيدًا، وسواء أكانوا محارم أم غير محارم، ويدخل ضمنهم من يرتبط مع المرء بصلة المصاهرة أو الرضاع^(٢).

النسب لغة: القربات، يقال: فلان نسيبي، ورجل نسيب حسيب: ذو حسب ونسب، والنسابة: الرجل العالم بالأنساب، ونسبت فلانًا إلى أبيه: إذا رفعت في نسبه إلى جده الأكبر^(٣)، والنسب اصطلاحًا: القرابة الموروثة التي لا يد للإنسان فيها^(٤).

وأولو الأرحام أحد عشر صنفًا:

١- أولاد البنات وأولاد بنات البنين وإن نزلوا ٢- أولاد الأخوات مطلقًا. ٣- بنات الإخوة لأبوين أو لأب أو لأم. ٤- أبناء الإخوة لأم. ٥- العم لأم (عم الميت لأم- أي أخو أبيه من أمه- أو عم أبيه أو جده). ٦- العمات مطلقًا (سواء كن عمات الميت أو عمات أبيه أو جده). ٧- بنات الأعمام مطلقًا وبنات بنبيهم. ٨- الخالات والأخوال مطلقًا. ٩- الأجداد الفاسدون (كل جد يدخل في نسبه إلى الميت أنثى). ١٠- الجدات الفاسدات (كل جدة أدلت بأب بين أمين، وكل جدة أدلت بأب أعلى من الجد). ١١- من أدلى بصنف من الأصناف العشرة كابن العمّة وابن الخال وخالة الخال ونحو ذلك.

جهاتهم: باستعراض الأصناف السابقة يظهر لنا أن جهات ذوي الأرحام هي ثلاثة:

- أ- جهة البنوة: وتشمل صنفًا واحدًا [أولاد البنت وأولاد بنت الابن وإن نزلوا].
 - ب- جهة الأبوة: وتشمل خمسة أصناف [العمات مطلقًا، العم لأم، بنات الأعمام مطلقًا، بنات الإخوة مطلقًا، أولاد الأخوات مطلقًا].
 - ج- جهة الأمومة: وتشمل أربعة أصناف [الأخوال، الخالات، أولاد الإخوة لأم، الجد من قبل الأم وإن علا، الجدة المدلية بأبي الأم، وكذلك المدلية بأب أعلى من الجد، (الجدة الفاسدة)].
- وقد أخذ بعض الفقهاء من هذه الآية الكريمة أن (ذوي الأرحام) - وهم الذين ليسوا بأصحاب فروض ولا عصابات - كالخال والعمّة وأولاد البنات وغيرهم أحق بالإرث من بيت مال

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٠/٤١٤).

(٢) انظر: ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم، مها سكيك (ص ٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى (١٣/١٢).

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد قنبي (ص ٤٧٨).

المسلمين، وهذا هو مذهب (الحنفية) وجمهور الفقهاء، ودليلهم في ذلك أن الآية اقتضت بأن ذوي القرابة مطلقاً (سواء كانوا أصحاب فروض أم عصابات أم أصحاب قرابة رحمية) أحق بالإرث من الأجانب، فالآية تشمل كل قريب للميت. كما استدلوا بأن بيت مال المسلمين تربطه مع الميت رابطة الأخوة في الدين، وذوو الأرحام تربطهم معه أخوة الدين مع شيء آخر وهو (قرابة الرحم) فأصبح لهم قرابتان: قرابة الدين، وقرابة الرحم، وهذا يشبه ما إذا مات إنسان عن أخ شقيق، وأخ لأب فإن المال كله يكون للشقيق لأن قرابته من جهتين: من جهة الأب ومن جهة الأم فتكون أقوى من قرابة الأخ لأب لأنه من جهة واحدة فكذلك (ذوو الأرحام). وذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى عدم توريث (ذوي الأرحام) وقال: إن بيت مال المسلمين أحق بالإرث فيما إذا لم يكن للميت عصة أو أصحاب فروض أو من يردّ عليه منهم فيصبح المال من نصيب المسلمين ويعطى لبيت المال، وحجته في ذلك أن التوريث لا بدّ فيه من نصّ في كتاب أو سنة ولا يمكن أن يكون بالعقل أو الرأي ولم يرد في توريث (ذوي الأرحام) نصّ قاطع، فلا يورثون إذاً ويكون الإرث لبيت المال.^{(١)(٢)}

الترجيح: والصحيح هو ما ذهب إليه الحنفية وجمهور الفقهاء من توريث ذوي الأرحام، فهو الظاهر من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة. والبحث مفصل في علم الفرائض فليرجع إليه^(٣).

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

أولاً: نسخ التوارث بالمؤاخاة والنصرة وجعله بالقرابة النسبية.

ثانياً: أحكام الشريعة الغراء منزلة من عند الله مسطرة في القرآن العظيم.

ثالثاً: توريث ذوي الأرحام مقدم على ميراث بيت مال المسلمين على الصحيح.

جاء في الظلال: ولعل الختام بذكر ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ يُشير إلى أهمية الجانب الإنساني والاجتماعي في الإسلام، كما يدلُّ من قريب أو من بعيد على مكانة الرحمة والتراحم والرحم في دين الله عز وجل، فالله عز وجل هو الرحمن الرحيم، وهو أرحم الراحمين، والنبي صلى الله عليه وسلم هو المبعوث رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والتراحم بين الخلق جعله الله تعالى في طبائعهم وفطرتهم؛ (كالرحمة بالأبناء، وبالوليد،

(١) راجع: المغني، ابن قدامة المقدسي، كتاب الفرائض، باب ذوي الأرحام

(٢) راجع: روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، كتاب الفرائض، الباب الثامن في الرد وذوي الأرحام

(٣) انظر: الحاوي في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمن القماش، سورة الأحزاب، فصل آيات الأحكام

وبالضعيف^(١)، والرحمة عند الله تعالى تغلب الغضب، فعنه أيضًا، عنه ﷺ قال: (إن الله حين خلق الخلق، كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي)^(٢)، وعنه أيضًا أن ﷺ قال: (الرحم شجرة - بالكسر وسكون الجيم - من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)^(٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١٥٦٠/٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سع رحمة الله تعالى، حديث ٢٧٥١

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب وصل من وصله الله، حديث ٥٩٨٨

المطلب الرابع: خصائص أهل بيت النبوة

أولاً: المقصود بآل البيت:

آل يؤول أي رجع، يقال: أول الحكم إلى أهله، أي أرجعه ورده إليهم^(١) في الاصطلاح هم: آل بيت النبي ﷺ، فيقال: أهل البيت، كما يُقال: آل البيت، وقد خاطب الله تعالى زوجات النبي وأطلق عليهن اسم (أهل البيت)، وصار أهل البيت متعارفاً في آل النبي ﷺ^(٢)، وأصح الأقوال في المراد بآل البيت؛ أنهم أزواج النبي وذريته من نسل عبد المطلب؛ أي بنو هاشم بن عبد مناف؛ فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أن النبي ﷺ رفض أن يمنحه شيئاً من الصدقات، وكذلك الفضل بن عباس، وقال لهما: (إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاحُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ)^(٣).

ثانياً: من فضائل ومناقب أهل البيت:

هناك آيات في كتاب الله تعالى تؤكد فضائل أهل بيت النبي، وتدل أيضاً على رفعة منزلتهم وعلو درجتهم لما لهم من صلة بالنسب الشريف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منها:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] ففي هذه الآية منقبة عظيمة شرف الله بها آل البيت حيث طهرهم من الرِّجْسِ تطهيراً، وهي شاملة لجميع أهل بيته ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن سلك مسلكهم وسار على نهجهم فالله أراد لهم التطهير، قال ابن حجر الهيتمي: هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتغالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ(إنما) المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرِّجْسِ الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة^(٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٥٩/١).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصقهاني (ص ١٥١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، حديث ١٠٧٢.

(٤) انظر: الصواعق المحرقة، ابن قيم الجوزية (ص ٢٢٣).

وقد اختلف المفسرون في معنى الرجس على أربعة أقوال: فقيل الإثم: وقيل الشرك، وقيل الشيطان، وقيل الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة، فالأفعال الخبيثة كالفواحش ما ظهر منها وما بطن، والأخلاق الذميمة كالشح، والبخل والحسد وقطع الرحم^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وفي ذلك منقبة عظيمة ودرجة عالية شريفة حيث أمر بالصلاة عليهم تبعاً له ﷺ حيث قال ﷺ: (لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...) ^(٢)

٣- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

في هذه الآية فضيلة عالية ومنقبة جليلة لأصحاب الكساء وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم، ففي الحديث: ((لما نزلت هذه الآية قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ دعا الرسول ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي)^(٣)، فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة^(٤).

وكما هو معلوم أنه قد ورد الثناء في الكتاب والسنة على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في غير آية وحديث على سبيل العموم، ويدخل في هذا الثناء صحابته من أهل بيته رضي الله عنهم دخولاً أولياً، فهم أولى وألصق بالنبي ﷺ من غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين^(٥).

(١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٥٧١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨١/٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم ٥٩٩٦

(٣) جامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأحزاب، حديث رقم ٣٢٧٦

(٤) انظر: الصواعق المحرقة، ابن قيم (ص ٢٤٠).

(٥) انظر: العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط لسليمان بن سالم بن رجاء (ص ٦٠).

التوجيهات التربوية التشريعية للمطلب:

- إظهار فضائلهن، ودراسة سيرتهن، ومعرفة أخبارهن وآدابهن وعبادتهن
- التَّعَوُّد على قول: رضي الله عنها تبعاً لذكر اسم أي واحدة منهن كتابةً أو نطقاً.
- إحسان القول فيهن وسلامة اللسان تجاههن، والذبُّ عنهن، والردُّ على منتقصهن، أو من يقلِّل من مكانتهن.
- الاعتقاد الجازم بأنَّهن رضي الله عنهن أعظم النساء تعلماً في مدرسة النبوة.
- التأكيد على أن هناك أموراً عديدة من هديه وسنته ﷺ لا يمكن العلم بها إلا عن طريقهن رضي الله عنهن^(١).

معرفة حقوق آل البيت: تترتب العديد من الحقوق لآل بيت النبي ﷺ، وفيما يلي بيان أبرزها، وهي:

- مودة آل البيت، ومحبتهم؛ فمحبتهم فرعٌ من محبة النبي ﷺ، كما أنه أوصى بهم خيراً، وفي ذلك قال الصديق أبو بكر: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي**^(٢).
- التعريف بهم وبحقوقهم، وإثبات النسب الشريف لمن هم من آل البيت، وفضح المنتسبين لهم كذباً وزوراً لتحقيق مكاسب دنيوية.
- فضح الفرق الضالة الذين يتحدثون نيابة عن آل البيت ليأكلوا أموال الناس بالباطل.
- يجب على المسلم توقير آل بيت النبي، وموالاتهم، ونصرتهم، وإكرامهم، والاقتراء بهم، والسَّير على خطاهم في الدين ما داموا مُتَمَسِّكِينَ بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، تنفيذاً لوصية النبي ﷺ عندما قال: **«أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**^(٣) ولا ينزلونهم فوق منزلتهم، بل يتبرؤون ممن يغلون فيهم حتى يوصلوهم إلى حد الألوهية.
- يجب على المسلم الصلاة عليهم؛ فقد ذكر النبي ﷺ أن الصلاة عليه متبوعة بالصلاة عليهم، فقد ورد أن النبي ﷺ أرشد الصحابة إلى الصلاة عليه، وعلى آله، بقول: **(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)**^(٤)

(١) انظر: آيات آل البيت في القرآن الكريم لمنصور بن حمد العيدي - (ص ١٤٥)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: لَا تُورَثُ، حديث رقم: ٣٤٠٧

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، حديث رقم: ٤٥٥٢

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٠٢٥

- وَلَالِ الْبَيْتِ حَقٌّ مَالِيٌّ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَذَلِكَ بِإِعْطَائِهِمْ خُمْسَ الْخُمْسِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْفِيءِ، قَالَ -تَعَالَى- عَنْ حَقِّهِمْ فِي الْغَنِيمَةِ: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى).
- يجب على المسلم مُناصرة آل البيت، والبذل والعطاء لهم، والدفاع عنهم، وذكر محاسنهم، وفضائلهم، ومُراعاتهم، وحُسن مداراتهم، وتقديم النصيحة للمُسيء منهم، وأمره بالمعروف، ونَهْيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والرحمة به، والشفقة عليه.

المطلب الخامس: بيان أحكام الطلاق في التشريع الإسلامي

الطلاق جراحة مؤلمة؛ ينتج عنها فرقة وحرقة، وشتاتٍ وحرمانٍ، وينفطر عقد الأسرة، لكنه قد يكون في كثير من الأوقات آخر الحلول، خياراً لا بديل عنه، في حال انقطعت الأسباب، واستحالت العشرة، وأخفقت المساعي، وهنا يصبح ضرورة لا مفرّ منها، وترجيحاً لأخفّ الصّرين، فإمساك المرأة ضراراً وقسرها على حياةٍ لا ترتضيها، وعلى شريكٍ لا تُطيقه أشدّ ضرراً من تسريحها.

لقد دعا الإسلام إلى حُسن اختيار شريك الحياة، ومعرفة مقاصد الزواج وأحكامه، وحقوق كل من الزوجين وواجباتهما؛ لأن كثيراً من حالات الطلاق تقع بسبب الجهل بالحقوق والواجبات، أو الغفلة عنها، أو التقصير فيها، كما أمر بالمبادرة إلى رَأب الصدع، وإزالة أسباب الشقاق، ووَاد المشاكل في مهدها، وتجنّب الوقوع في النشوز بالوعظ والإصلاح، وقد يصل الأمر للتأديب، ولكن برفقٍ ولُطفٍ، وليس بعنف.

ويمنح الشرع عدة فرصٍ للزوجين المتفارين؛ لعلّ الأيام تجمع بينهما، ومصلحة الأسرة والأولاد توحد بينهما وتؤلف القلوب، ومن ثمّ كان الطلاق الرجعيّ لعلّ الطائرين يؤوبان إلى عشّهما ويثوبان إلى رشدّهما، ويحدبان على صغارهما، ويستأنفان حياتهما الزوجية من جديد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِيعَتُهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

أولاً: معنى الطلاق لغة واصطلاحاً:

الطلاق لغة: يدل على التخلية والإرسال، امرأة طالق؛ أي طلقها زوجها، والطارق: الناقة التي تُرسل لترعى حيث شاءت^(١)، وهو الحلّ ورفع القيد، والجمع طلقاء، والطلاق: الأسراء العتقاء. والطلاق: الأسير الذي أطلق عنه إسه وخلي سبيله.^(٢)

(١) انظر: مقاييس اللغو لابن فارس (٤٢٠/٣)

(٢) انظر: لسان العرب (١٥-١/١٠)

الطلاق اصطلاحاً: لا يختلف كثيراً معنى الطلاق اصطلاحاً عن معناه اللغوي إلا أن له في الاصطلاح الشرعي شروطاً وأحكاماً وصوراً يميزها عما كانت عليه في الجاهلية، ويعرّف الفقهاء الطّلاق بأنه: رفع قيد النّكاح في الحال أو المآل، بلفظٍ مخصوصٍ، أو ما يقوم مقامه^(١).

ثانياً: أنواع الطلاق:

١. من حيث التوقيت، المطلقات أربع:

١. مطلقة مدخول بها مفروض لها، فلها حقّها كاملاً في المهر، ولا يجوز للزوج أن يأخذ مما آتاها شيئاً، وعليها العدة.

٢. ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها، فلها مهر المثل.

٣. ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها، وهي المذكورة بقوله سبحانه هنا، فلها نصف المهر المسمّى.

٤. مطلقة غير مفروض لها، ولا مدخول بها، وهي المذكورة في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]**

الطلاق قبل الدخول: يتضمّن حديث القرآن عن الطلاق قبل الدخول أمرين، كلاهما يفصح عن رحمة الإسلام بالمرأة، وتخفيفه عنها:

أولهما: أن المرأة لا تعتدّ منه، وثانيهما: أن لها الحق في نصف المهر أو في المتعة.

ورفع الله تعالى الحرج عن الرجل إذا طلق المرأة قبل الدخول، ولم يسمّ مهرًا، فلا يجب عليه مهرٌ، لكن إذا طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرًا فلها نصف هذا المهر المسمّى.

والمراد بالفريضة: تسمية المهر، فلا مهر لها، بل المتعة، ولا عدّة عليها، وتسمية المهر بالفريضة تعظيماً له، وتشديداً على أدائه فهو حقٌّ للزوجة، يجب على زوجها الوفاء به، وقول: ومتعوهن أي: أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهنّ، وظاهر الأمر الوجوب^(٢).

(١) انظر: الدر المختار، ابن عابدين (٢٢٦/٣) وانظر: الشرح الكبير، الدسوقي (٣٤٧/٢) المغني، ابن قدامة ٢٩٦/٧، مغني المحتاج، الشربيني (٢٧٩/٣)، الموسوعة الفقهية الكويتية، (٥/٢٩).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣٤٢/١).

وقد تضمنت هذه الآيات أحكاماً منها:

١. جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها، والفرض لها، مع مراعاة حقها في المتعة.
٢. المتعة تقدر على الرجال بحسب اليسار أو الإعسار.
٣. للمرأة المطلقة قبل الدخول بها نصف المهر المسمى لها إلا أن تتنازل عنه، أو عن جزء منه، أو يتنازل الزوج عنه كله، فيوفيها المهر كاملاً، وهذا هو الأقرب للتقوى.
٤. الترغيب في مراعاة الفضل والإحسان ومراقبة المولى عز وجل، في هذه الأحوال خاصة، وفي سائر الأحوال.
٥. لا تجب العدة بالإجماع إذا طلقت المرأة قبل الدخول بها.
٦. المتعة واجبة لكل مطلقة لم يسم لها مهر، ومنذوبة لغيرها من المطلقات.
٧. المطلقة قبل الدخول لها نصف المهر إذا كان المهر مذكوراً.
٨. على الزوج أن يجبر خاطر زوجته المطلقة بالمتعة.
٩. حرمة إيذاء المطلقة وتسريحها بالمعروف والإحسان.
١٠. مراعاة البعد الأخلاقي بالتزام الإحسان في التسريح.

٢. من حيث عدده: وهو نوعان: طلاق رجعي، وطلاق بائن.

١. الطلاق الرجعي: «هو: ما يجوز معه للزوج رد زوجته في عدتها من غير استئناف عقد^(١)

قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَّا آتَيْنَاهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

وحق الرجل في إرجاع زوجته التي طلقها مرة أو مرتين: للزوج أن يراجع زوجته في مدة عدتها^(٢).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٩/٢٩).

(٢) انظر: المفتاح لباب النكاح، محمد بن سالم بن حفيظ، (ص ٢٩). بتصرف

٢. الطلاق البائن بينونة صغرى: فإذا انتهت العدة سقط حقّه في مراجعتها، ويجوز له أن ينكحها بعقدٍ ومهرٍ جديدين، والأمر إليها إن شاءت قبلته أو ردّته^(١).

٣. الطلاق البائن بينونة كبرى: إذا طلق الزوج زوجته المطلقة الثالثة فقد بانّت منه، وحرمت عليه، فلا تحلّ له إلا إذا نكحت غيره نكاحاً شرعياً، والنكاح هنا بمعنى العقد والدخول، فلا يكفي العقد عليها، بل لابدّ من الدخول بها^(٢)، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت، فطلق، فسئل ﷺ: أتحلّ للأول؟ قال: (لا حتى يذوق عسيلتها، كما ذاق الأول)^(٣). فإذا طلّقت المرأة ثلاثاً، ثم تزوجت بآخر، ثم طلّقها بعد دخوله بها فإنها تحلّ للزوج الأول إذا عقد عليها، على أن يستأنفا حياتهما الجديدة على أسسٍ متينة، فإن ظناً إمكان المعاشرة مع رعاية الحقوق والواجبات.

عدة المطلقات:

من حكمة الشارع الحكيم ورحمته أن جعل الله تعالى للمطلقة عدةً شرعيةً، وبَيّن مقدارها في كتابه، فعدة الحامل وضع الحمل، وعدة الحائض ثلاثة قروء، فإن كانت صغيرة لم تحض أو يائسة لم تعد تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، والحكمة من ذلك استبراء رحمها، ومنح الزوج فرصة لمراجعتها إذا كان الطلاق مرة أو مرتين، وتهيئتها نفسياً وعضوياً، لحياة زوجية جديدة إن كانت مطلقة ثلاثاً، أو إذا كانت رجعية ولم يرغب الزوج في استرجاعها،

وليس على المطلقة قبل الدخول عدة؛ إذ الغرض من العدة استبراء الرحم، وزوجها لم يدخل بها.

رابعاً: الحقوق الشرعية للمطلقة: للمطلقة حقوق بيّنها الوحي، نذكرها فيما يأتي:

الحق الأول: حق المطلقة في مؤخر الصداق:

نهى الله عز وجل عن ظلم المرأة وهضم حقوقها، وحرمانها من صداقها؛ ففي ذلك كفرانٌ للعشرة، ونسيان للمودة، ونقض لذلك الميثاق الغليظ قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٥١ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ٥٢﴾ [النساء: ٢٠-٢١]

(١) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (١٠٦/٣). بتصرف

(٢) انظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي (ص ١٥٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب من أجاز طلاق الثلاث، (٤٣/٧) ٥٢٦١، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح،

باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتتقضي عدتها، رقم ١٤٣٣

يقول القشيري رحمه الله: "يَعْلَمُهُمْ حَسَنُ الْعَهْدِ، وَنَعْتَ الْكَرَمِ فِي الْعَشْرَةِ، فَيَقُولُ: لَا تَجْمَعُ الْفِرْقَةَ، وَاسْتِرْدَادَ الْمَالِ عَلَيْهَا، فَإِنْ ذَلِكَ تَرَكَ الْكَرَمَ؛ فَإِنْ خَوَّلَتْ وَاحِدَةً مَالًا كَثِيرًا ثُمَّ جَفَوْتَهَا بِالْفِرَاقِ، فَمَا آتَيْتَهَا يَسِيرًا فِي جَنْبٍ مَا أَذْقَتْهَا مِنَ الْفِرَاقِ، وَأَنْ لِلصَّحْبَةِ السَّالِفَةِ حَرَمَةً أَكِيدَةً، فَفَقُوا عِنْدَ مِرَاعَةِ الذِّمَامِ، وَأَوْفُوا بِمَوْجِبِ الْمِيثَاقِ"^(١)، مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ بِقَوْلِهِ (تَقَوُّوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ)^(٢).

الحق الثاني: حق المطلقة في المتعة:

ومن الحقوق المترتبة على الطلاق متعة المطلقة، فلكلِّ مطلقَةٍ متعةً على كلِّ تقيٍّ؛ جبراً لخطورها، وتسليّةً لفؤادها، وهذه المتعة واجبةٌ على من طَلَّقَتْ قبل الدخول بها إن لم يسم لها مهراً، ومندوبةٌ لمن طَلَّقَتْ قبل أو بعد الدخول إن سَمَّى لها المهر.

الحق الثالث: حق المطلقة الرجعية في البقاء ببيت الزوجية

للمطلقة الحق في البقاء ببيت الزوجية، وليس للزوج أو لغيره إخراجها منه؛ حتى تنقضي عدتها، والحكمة من بقائها في بيت الزوجية حرص الإسلام على التآليف بين الزوجين، فضلاً عن حقها في السكنى؛ لأن الزوجية لا تزال قائمة بالنسبة للرجعية ما لم تنقض عدته

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]

أي ليس للزوج أن يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة، ولا يجوز لها الخروج أيضاً لحق الزوج إلا لضرورة ظاهرة، فإن خرجت أثمت ولا تنقطع العدة^(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الفاحشة المبينة بذاتها على أهل زوجها، فيحل إخراجها لسوء خلقها»^(٤)، وأضاف البيهقي وهي لأزواجهن لتأكيد النهي، وبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة^(٥)، ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها، فإن خرجت

(١) لطائف الإشارات، القشيري (٣٢٣/١).

(٢) السنن الكبرى، للنسائي، كتاب عِشْرَةِ النِّسَاءِ، إِيْجَابُ نَفَقَةِ الْمَرْأَةِ وَكِسْوَتُهَا، حديث رقم ٧٩٣٦

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣٧/١٨)

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١٥٠/٨).

(٥) انظر: لباب التأويل، الخازن (١١٨/٦).

لغير ضرورة أثمت، فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدمًا أو غرقًا جاز لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهارًا ولا يجوز ليلاً، يدل على ذلك أن رجالاً استشهدوا بأحد، فقالت نساؤهم: نستوحش في بيوتنا، فأذن لهن رسول الله ﷺ أن يتحدثن عند إحداهن، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها^(١).

والحكمة من إبقاء المطلقة في بيت الزوج هي إتاحة الفرصة للرجعة، واستئثاره عواطف المودة، وذكريات الحياة المشتركة، حيث تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق قريبة من العين؛ فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين! فأما حين ترتكس في حماة الزنا، وهي في بيته! أو تؤذي أهله، أو تنتشر عليه، فلا محل لاستحياء المشاعر الطيبة، واستجاشة المودة الدفينة، ولا حاجة إلى استبقائها في فترة العدة، فإن قربها منه حينذاك يقطع الوشائج ولا يستحيها^(٢).

الحق الرابع: حق المطلقة البائن في إرضاع ولدها

الرضاعة حقٌّ للمولود، والإرضاع حقٌّ للأم، فللمطلقة إرضاع ولدها حولين كاملين إذا أرادت ذلك باختيارها ما لم يتمكن الأب من استئجار مريض، وتجب النفقة على الوالد مدة إرضاعها الولد، كما في قوله تعالى في سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّبَ الرِّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قال القرطبي: ولما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق ذكر الولد؛ لأن الزوجين قد يفترقان وثم ولد، فالآية إذا في المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن وهذا الأمر للنسب والاستحباب وليس للوجوب؛ لأن الإرضاع ليس واجباً على المرأة^(٣)، كما قال الفقهاء، إلا إذا لم يجد الأب امرأة ترضع ولده في مقابل أجر، أو لم يقبل الطفل ثدياً غير أمه، والتعبير عنهن بلفظ (الوالدات) دون قوله: والمطلقات لبيان حقوقهن كأمهات ولاستعطافهن نحو الأولاد،

(١) انظر: تفسير البغوي (١٤٥/٨)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٦٠٥/٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٦٠/٣).

فحصول الطلاق لهن لا ينبغي أن يحرمهن من عاطفة الأمومة، ولا يحرم الأبناء من حقوقهن المشروعة، قال السدي والضحاك وغيرهما: أي: هن أحق برضاع أولادهن من الأجنبيةات لأنهن أحنى وأرق، وانتزاع الولد الصغير إضرار به وبها، وهذا يدل على أن الولد وإن فطم فالأم أحق بحضانتها ما لم تتزوج؛ لفرط حنوّها وشفقتها^(١)

الحق الخامس: النفقة للبائن الحامل، والأجرة للمرضع البائن:

يحق للمعتدة من طلاق رجعي النفقة والسكنى، أما المطلقة طلاقاً بائناً فإن كانت حاملاً فلها النفقة والسكنى؛ حتى تضع الحمل، فإذا أرضعت ولدها استحققت الأجر على ذلك، وهذا من رحمة الإسلام بها، فالمرضع تحتاج إلى رعاية صحية وغذائية؛ لذا أوجب الله تعالى على الرجل إعطاء الأجرة لمطلقاته على إرضاعها لولدهما؛ رعاية لحقها وحق الطفل.

كما أمر الله الآباء والأمهات بالتشاور في شئون الأولاد بما هو أصلح لهم في أمورهم الصحية، والخلقية، والتربوية، والتعليمية، وغيرها؛ من باب التناصح والتعاون على الخير، وليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقيل: يتراضى الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعاً أمرهم أن يأتوا بالمعروف، وما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرر، وقيل: المعروف هاهنا ألا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها، ولا المرأة في حق الولد وإرضاعه^(٢)، كما في سورة الطلاق،

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلَا تُنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُهِنَّ فَامْتَسِرْ لَهُنَّ فَسُتْرُضْ لَهُنَّ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦-٧]

أما إذا لم يحصل وئام واتفاق بين الأبوين في تحديد الأجرة، فليس للأب إكراه الأم على الإرضاع إن أبت، بل يستأجر مرضعة أخرى، فإن لم يجد أو عجز عن إعطاء الأجرة لزم الأم إرضاع ولدها؛ حفاظاً على حقه في الحياة، فإن لم يقبل المولود غير أمه فتجبر حينئذٍ على

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٦٠/٣).

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن (١٢٠/٦).

إرضاعه بأجرة مثلاً، وقال أبو حيان: وفيه عتابٌ للأُم لطيفٌ كما تقول لمن تطلب منه حاجة فيتوانى عنها: سيقضيها غيرك، تريد أنها لن تبقى غير مقضية، وأنت ملوم^(١).

الحق السادس: حق المطلقة في الزواج، وحرمة عضلها

لم يترك القرآن العظيم شأناً فيه مصلحة الأسرة والمجتمع إلا وعالجها الشارع الحكيم بكل توازن وإنصاف، ويتجلى ذلك حتى في حالة الطلاق، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] ، حيث نزلت هذه الآية_ كما ذكر ابن عباس _ في الرجل يطلق امرأته تطليقةً، أو تطليقتين فتتقضي عدتها، ثم يبدو له تزويجها وأن يراجعها، وتريد المرأة فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى الله سبحانه أن يمنعوها^(٢)، وعن معقل بن يسار رضي الله عنه_ أنها نزلت فيه: زوّجت أختاً لي من رجلٍ فطلقها، حتّى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوّجتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية، فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله، قال: فزوّجها إياه^(٣)

فالمتمأل في هذه الآية الكريمة، يجد نهى الله تعالى عن عضل الزوجة سواء كان من قبل الزوج الذي يتعمّد إمساكها للإضرار بها وتعطيلها عن حقّها بإطالة مدة اعتدائها، أو من قبل وليّها الذي قد يعضلها عن الرجوع لزوجها الأول بعد انقضاء عدتها، أو يعضلها عن الزواج بغيره لشيء في نفسه، وقد نهى الله تعالى عن منع الوليّ للمرأة المطلقة إذا انقضت عدتها من العودة إلى زوجها إذا تراضيا بالمعروف، أو الزواج بغيره، فإن المؤمن حقّاً يجتنب ما نهى الله عنه، ويمتثل ما أمر الله تعالى به، ويقدم حكم الله على هواه، فهو تعالى أعلم بما يصلح عباده في عاجلهم وآجلهم، وقد شرع لهم ما فيه صلاحهم وخيرهم.

وللمطلقة الرجعية بعد انقضاء عدتها الحق في الرجوع لزوجها إن شاء ذلك، بعقد جديد، ومهر جديد، ولها الحق في الزواج بغيره، أما البائن فلها أن تتزوج بعد انقضاء عدتها.

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الغرناطي، (٢٠٥/١٠).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩١/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤١٥/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، (٣٧٩/٣). رقم ٥١٣٠.

الآثار التربوية للتشريع القرآني لأحكام الطلاق:

١. تحقيق هدف الأسرة المسلمة في إقامة حدود الله؛ وذلك مؤثر بقائها، وغاية وجودها، ومنازة مسارها، ولذلك تكرر ذكر حدود الله تعالى في الآيات.
٢. تربية المسلم تربية راشدة، فالقرآن كله تربية وتهذيب وتركيز وتقويم، وفي ثنايا الحديث عن أحكام الطلاق نلمس هذه اللطائف التربوية من ترسيخ للإيمان، وتهذيب للنفس، وتحليق بها في أجواء الفضيلة، ومن توعية للعقول، وتبصرة للقلوب، وغرس للقيم.
٣. ترسيخ القواعد القرآنية الرشيدة للحياة الزوجية السعيدة، فالمرأة المؤمنة لا تخادع ولا تخفي الحقائق، وتلك أخلاق المؤمنة الصالحة صريحة وواضحة وصادقة وناصحة، كما نذكر أثر الإيمان بالله واليوم الآخر في الامتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه.
٤. استحضار أسماء الله الحسنى في آيات الطلاق، له أثر في المسارعة إلى امتثال أوامره، والفيء إلى شرائعه، فالعزة لمن اتبع شرع الله، وبِعِزَّتِهِ تعالى حكم، وهو الحكيم في أقداره وسننه وأحكامه، فيأمر الله عباده بتقواه، وأنه العليم بما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، العليم بسرائرهم، وما تنطوي عليه نفوسهم، العليم بحاضرهم ومستقبلهم، العليم بأعمالهم وأقوالهم، وهذا يزيدنا إيمانًا وتسليمًا لأحكام الله تعالى وأقذاره.
٥. الإقرار بنعم الله تعالى على عباده، ومن أجلها نعمة الهداية، وما أنزل الله عليهم من الكتاب والسنة لصالحهم وإرشادهم، ومواعظ يسعد من ينتفع بها، ويرشد من يتبصرها.
٦. إقامة العدل ضرورة شرعية، والإحسان والفضل من أخلاق الكرام في الرضا والغضب؛ سيما في أداء حق المطلقة ترضيةً لخاطرها، وجبرا لفؤادها.
٧. الترغيب في العمل الصالح، واختيار ما هو أذكى وأظهر.
٨. تحقيق تقوى الله تعالى، والتوكل عليه، واليقين بما عنده خير ما يواجه به العبد ما يعتريه من هموم، وما يعترضه من مشكلات وأزمات، كما أن الأتقياء هم أوفى الناس وأحرصهم على أداء الحقوق، من هنا تأتي أهمية التقوى في الامتثال لشرع الله تعالى، وتكرر الحث على التقوى بشكل ملحوظ في آيات الطلاق.
٩. الرؤية في اتخاذ القرارات المصيرية: ألا يقدم عليه الإنسان إلا بعد درسٍ وتمحيص.. فإنَّ الطلاق ما شرع إلا ليحقق الطمأنينة والسعادة للإنسان وإذا لم يستعمله المرء في الطريق المأمون انقلب إلى خراب ودمار يحرم الأسرة الأمن والاستقرار.
١٠. اتخاذ الزوجين التدابير الوقائية من الوصول للطلاق: ومن أهم تلك التدابير حسن الاختيار، فإذا بني الزواج على أسس متينة، ولبنات صالحة متناسقة، كان ذلك أرجى لدوامه، وأوثق لعراه، كذلك فهم الزوجين لمقاصد الزواج وأهدافه السامية.

١١. العلم بالأحكام الطلاق الشرعية: من العلوم الواجبة على الزوجين دراسة فقه الزواج والطلاق وأحكامهما مما لا يسع المسلم جهلها؛ حتى يقيما بيتهما على علم بأوامر الله ونواهيه واتخاذ تدابير الوقاية من الوقوع في المحاذير الشرعية.

١٢. الدين وحسن الخلق هما أساسا الاختيار في الزواج: فمن صحت بدايته صحت نهايته والاختيار الصحيح أول ضمان وصمام أمان للسعادة الزوجية "فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبْتُ يَدَاكَ" (١)

١٣. الطلاق هدم للحياة الزوجية فلا يصح أن يقع إلا إذا استحالت الحياة بينهما: فحبذا الاتفاق بين الزوجين من أول زواجهما على اختيار طرف ثالث من الثقات والخبرة والأمانة يمثل لهما مرجعية في حل ما تعسر من مشكلات بينهما حفاظاً على إقامة هذا البيت المسلم.

١٤. اعتزاز المسلم وافتخاره بمآثر حضارتنا الإسلامية القيمة: فكما أسلفنا في الحديث عن أحكام الطلاق الذي في ظاهره الفراق إلا أن الشارع الحكيم لم يسمح بمفارقة الجانب القيمي بينهما من الوفاء وعدم نسيان الفضل والعفو والتقوى، والمعروف والإحسان، وعنوانها: أيها الزوجان المؤمنان: إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وفي ختام هذا المطلب المجتمعي الواقعي، نستطيع أن نقول: لقد وضع الإسلام حداً للفوضى التي كانت في الجاهلية، حيث كان للرجل أن يطلق متى شاء وكيفما شاء، وأن يراجع حيث شاء، وتبقى المرأة هي الضحية لهذا الظلم الاجتماعي، وقد نزل القرآن ليصحح هذه الأوضاع، وليزيح هذه الحواجز، وليعيد للمرأة كرامتها وحريتها، ويرفع عنها الظلم، ويضع عنها كل ما يثقل كاهلها ويرهقها من أغلال وآصار الجاهلية التي تكسر جناحها، وتتكد حياتها، وتذوي عودها، وتذهب نضارتها، وتأكل شبابها، ومن هنا كان الطلاق حمايةً لحق المرأة، وهو أيضاً حماية للرجل، وصيانة للأسرة؛ لئلا تقوم على أنقاض مهالكته، بل الهدم قد يكون مقدمة للبناء الراسخ، والفراق قد يفضي إلى وصال.

وبذلك صان المولى جلّ وعلا كرامة المرأة، ودفع عنها عدوان الزوج وطغيانه، وحفظ لكلٍ حقّه، فلم يظلم المرأة، ولم يفرط في حقّ الرجل، وفسح المجال لكل منهما في الحياة السعيدة الكريمة. فما أسمى تعاليم الإسلام؟ وما أعدل نظمه وأحكامه!!

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ، حديث رقم ٢٧٥٣

المطلب السادس: محارم المرأة المسلمة وابداء ما ظهر من الزينة لهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيِٓءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنَّا اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 55]

بعد أن فرض الشارع الحكيم الحجاب على أزواج النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين وكل من بلغت المحيض، بين الله في هذه الآية المحارم الذين لا جناح على المرأة أن تبدي أمامهم ما ظهر من زينتها، وهم الآباء والأبناء والأخوة، وأبناء الأخوة والأخوات والنساء المسلمات مثلهن وإمائهن، ثم أمرهن بتقوى الله عزوجل بطاعته في أوامر واجتناب نواهيه، ثم أنذرهن سبحانه بأنه مطلع وشهيد على ما يبدين وما يخفين فهو يعلم السر وأخفى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ خَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

أولاً الزوج: فهو مقدم على سائر المحارم، قال عكرمة: «فأما الزوج فإنما ذلك كله -أي الزينة- من أجله، فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره^(١)». وقال القرطبي: «فالزوج والسيد يرى الزينة من المرأة، وأكثر من الزينة، أو كل محل من بدنهما حلال له لذة ونظرًا. ولهذا المعنى بدأ بالبعولة؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا^(٢)».

ثانياً المحارم: وذكر الله تعالى منهم سبعة وهم:

١. الآباء: وكذا الأجداد، وهم آباء الآباء وآباء الأمهات وإن علوا.

٢. آباء الأزواج وآباؤهم: وإن علوا.

٣. الأبناء: والمراد أبناء المرأة من بطنها وأبناؤهم وإن نزلوا.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٥٥/٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢١٠/١٢).

٤. أبناء البعولة: والمراد أبناء زوجها من امرأة أخرى. ويدخل في الأبناء أولاد الأبناء وأولاد البنات وإن نزلوا.

٥. الإخوة: والمراد إخوة المرأة، سواء كانوا أشقاء أو لأب أو لأم.

٦. أبناء الإخوة: سواء كان آبائهم إخوانهم من الأب أو الأم أو أشقاء، لأنهم في حكم الأخوة.

٧. أبناء الأخوات: سواء منهن من كانت أختاً لهن من الأب أو الأم أو منهما.

فهؤلاء يجوز للمرأة أن تبدي لهم زينتها وما تلقيه من ثيابها في بيتها غالباً - كالخمار - وما يظهر من جسدها في شؤون منزلها - كالغسيل والعجن والكنس - من الذراع والساق؛ وذلك لكثرة مخالطتهم، حيث يكثر دخولهم عليهن، والنظر إليهن بسبب القرابة.

ومحارم الرضاع كمحارم النسب، يدخل في ذلك المرتضع وفروعه، وهم أبنائهم وبناته وإن نزلوا لقوله ﷺ: **(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)**^(١) إلا أن المحارم ليسوا سواء، فالأب والأبناء ليسوا كغيرهم في إظهار الزينة بين أيديهم، لاسيما إن كان المحارم في سن الشباب، أو ليس لهم كثير اختلاط بالمرأة، كالمحارم من الرضاع، فإن السلامة لا يعدلها شيء، قال القرطبي: «لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم، تنبى بزوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر، فلا مزية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها»^(٢).

ثالثاً: غير المحارم وهم أربعة:

١. نسائهن: أي النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف، سواء كن مسلمات أو غير مسلمات^(٣)، والغرض من الإضافة إخراج الأجنيبات اللاتي لا يعرف شيء عن أخلاقهن وأدبهن. فليست العبرة بالاختلاف الديني، بل بالاختلاف الخلقي^(٤).

(١) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم، (٢٥٣/٥). رقم ٢٦٤٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، (٢٧٥/١٠). رقم ١٤٤٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٣٢/١٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٦٥/١٧). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٣٣/١٢). تفسير سورة النور، المودودي (ص ١٦٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٣٤/١٢).

لكن مما يجب التنبيه له أننا في زمان يجب على المرأة أن تتصون في زيها ولباسها مع بنات أترابها في زمن كل شيء من حولنا يصوّرننا، الهواتف والكاميرات، وغيرها، وقد تختلف المرأة مع المرأة ولديها فيديو في حفل زفاف مثلاً فتظهره للرجال، وأصبح الفيديو في جزء الثانية يطير إلى العالم كله بضغطة، حيث التحميل على الشبكة العنكبوتية.

٢. ما ملكت أيماهن: ظاهر الآية العموم، فيشمل العبيد والجواري، فللمرأة المسلمة أن تكشف وجهها لخدامها المملوك، وقال بعض العلماء: أن المراد الجواري دون العبيد^(١)، قال قتادة: "رخص لهؤلاء ألا يجتنبن منهم". قال أبو بكر: ذكر ذوي المحارم منهن وذكر نساءهن، والمعنى والله أعلم: الحرائر، {ولا ما ملكت أيماهن} يعني الإماء، لأن العبد والحر لا يختلفان فيما يُباح لهم من النظر إلى النساء.

٣. التابعين غير أولي الإربة: وهم كل من يتبع أهل البيت كالخادم، ويشعر بالمسكنة والفقر والتبعية، ولا حاجة له في النساء لكبر سنه، أو ذبول جسمه، أو ضعف عقله، أو لأي عرض آخر يمنع من الرغبة في المرأة، وأصل الإربة والإرب والمأربة: الحاجة، والجمع مأرب^(٢).

وعلى هذا فالشرط الأساس ألا يكون هذا التابع له شهوة في النساء، فإن كان له شهوة وميل، حرم إبداء الزينة له؛ لأن علة الحكم ومداره على خوف الفتنة بالمرأة والتعلق بها؛ فإن أمنت لكونه لا شهوة له جاز إبداء الزينة، وإلا فلا.

ومن هنا نعلم أن استخدام الشباب الأقوياء في البيوت والفنادق: من خادم وسائق وحارس، ودخولهم على النساء ورؤية زينتهن بحجة أنهم من أهل هذه الآية، نقول: هذا جناية على النص القرآني، وفهم سقيم ومنكر عظيم، يجب على فاعله التوبة إلى الله تعالى، وإبعاد دواعي الفتنة وأسباب الفساد عن بيته لئلا يكون ديوتاً!

٤. الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء: وهو ما لم يجد في نفسه شعوراً بالشهوة، أي لم يطلعوا من الظهور بمعنى الاطلاع. والمعنى أن الأطفال الذين لا يعرفون الشهوة ولا يثير جسم المرأة وحركاتها عندهم شعوراً بالرغبة، فلا حرج من إبداء الزينة أمامهم، ولا يتحدد ذلك بسن معينة؛ فإن الأطفال يختلفون - وإن كان بعض العلماء يرى أنه إلى اثنتي عشرة سنة على

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٣٤/١٢).

(٢) المرجع السابق (٢٣٤/١٢).

الأكثر وبعضهم إلى عشر - ولكن الفیصل فی ذلك أن يكون الطفل صغيراً لا يفهم شيئاً عن عورات النساء، ولا يجد ميلاً إلى المرأة عند رؤيتها^(١).

أما المراهق ومن كان قريباً منه فليس له هذا الحكم، بل حكمه حكم الرجال، ومن النساء من تتساهل بالمراهق فلا تحتجب منه إذا كان أجنبياً، ولا سيما إذا كان معها في منزل واحد، كإخوان زوجها، وهذا لا ينبغي، وسببه الجهل أو التساهل.

فهؤلاء المذكورون في الآية يجوز للمرأة أن تبدي زينتها الباطنة لهم.

الآثار التربوية التشريعية للمطلب:

- ١- الأحكام التشريعية تراعي الأبعاد النفسية والفطرية للإنسان في علاقته الاجتماعية.
- ٢- الأحكام الشرعية مبناها جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن هنا أبيع للمحارم مالم يباح للأجنبي.
- ٣- المرأة في الإسلام شأنها عظيم؛ لذا أولأها الشرع من الأحكام والتشريعات ما يؤكد ويصون كرامتها ورفعتها وقدرها.
- ٤- مجموعة الأحكام والضوابط الشرعية التي تخص المرأة كفيلة باستقرار المجتمع وانتشار الفضيلة وانحسار الرذيلة إن فهمتها والتزمت بها.
- ٥- البيت المسلم ملزم بإعداد وتربية البنات على تعاليم الدين وقيمه منذ صغرها حتى زواجها من زوج صالح مثلها لإكمال رسالتها.
- ٦- الأمر بتقوى الله في الآية واسمه الشهيد له دلالة على أن مراقبة المرأة لربها في السر مثل العلن هو مراد الله تعالى منها وهو مفتاح صلاحها.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٣/٦). فتح القدير، الشوكاني (٢٤/٤).

المطلب السابع: وجوب ستر المرأة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٩

أولاً: مفهوم الحجاب: معناه لغةً: هو المنع. يقال: حجبته عن كذا، أي منعته ^(١) فالحجب والحجاب: المنع من الوصول، وكل شيء منع شيئاً فقد حجبه، واحتجب الملك عن الناس وتحجّب: إذا اكتنّ من وراء حجاب ^(٢) وهكذا يظهر أن مادة الحجاب في اللغة تدور بين الستر والمنع، أما تعريفه اصطلاحاً، فقد تعددت التعريفات الشرعية للحجاب، ومنها: "كلّ ما يستر المطلوب، ويمنع من الوصول إليه فهو حجاب، كالسّتر والبوّاب والجسم والعجز والمعصية" ^(٣)، ومما يساعد على وضع تعريف جامع للحجاب هو معرفة الغرض منه، والغرض منه في سياق موضوعنا من حيث أنه تدبير وقائي شرع لمنع وقوع الفتنة بين الرجال والنساء من جهة الشهوة، فالحجاب مصطلح يننظم جملة من الأحكام الشرعية الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في المجتمع الإسلامي، من حيث علاقتها بمن لا يحل لها أن تظهر زينتها أمامهم ^(٤).

ثانياً: معنى التبرج لغةً: مصدر قولهم: تبرّجت المرأة تتبرّج، وهو مأخوذ من مادّة (ب ر ج) التي تدلّ على: البروز والظهور ومنه: البرج وهو سعة العين في شدّة سواد وشدّة بياض بياضها، ومن ذلك التبرّج، وهو إظهار محاسنها ^(٥).

والتبرج اصطلاحاً: كل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو في أعين الأجانب، فالقناع الذي تستتر به المرأة إن انتخب من الألوان البارقة، والشكل الجذاب لكي تلذّ به أعين الناظرين، فهو من مظاهر تبرج الجاهلية أيضاً ^(٦)، والتبرج مضاد للحجاب، فهما نقيضان لا يجتمعان.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (١٤٣/٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١٤٣/٢)، لسان العرب، ابن منظور (٢٩٨/١)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ٧٢)، تاج العروس، الزبيدي (٢٣٩/٢).

(٣) كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الكفوي ص ١٥١٥

(٤) انظر: عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم (٧٧/٣).

(٥) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢٩٩)، مقاييس اللغة (١/ ٢٣٨)، المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٣٨)

(٦) انظر: الحجاب، المودودي (ص ١٣٢).

ثالثاً: ستر المرأة في القرآن: من إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة، ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أنه ربّاهَا على الستر، بأن فرض عليها ضوابط في ملابسها وزينتها وعلاقتها بالرجال، وهذه الضوابط التي فرضها عليها لم تكن إلا لسد ذريعة الفساد، وتجفيف منابع الافتتان بها.

ويدور ستر القرآن للمرأة حول أصليين:

الأول: أمر المرأة بالقرار في بيتها: فالأصل لزوم المرأة لبيتها، فهو عزيمة شرعية في حقها، وخروجها من البيت رخصة لا تكون إلا لضرورة أو حاجة، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة، ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانسراح لصدرها، والأمر بالقرار في البيوت ليس خاصاً بأزواج النبي ﷺ دون غيرهن من النساء، بل إن عامة نساء المسلمين أولى بأن يؤمرن بالقرار في البيوت، قال الإمام القرطبي: وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشرعية طافحة بلزوم النساء ببيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة.^(١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الأصل للنساء هو القرار في البيوت، لأجل هذا ليس على النساء حضور المسجد، لا لصلاة الجماعة أو الجمعة، وليس ذلك إلا حرصاً من الشريعة الغراء على إبقاء النساء في البيوت، فعن أم حميد الساعدية أنها جاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني أحب الصلاة معك. فقال ﷺ: (قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي^(٢))، وأمر المرأة بلزوم البيت ليس فيه تعطيل لنصف المجتمع -

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٩/١٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٧/٤٥)، رقم ٢٧٠٩٠، وابن خزيمة في صحيحه، (٨١٥/٢)، رقم ١٦٨٩. وحسنه محقق المسند.

كما يدعي العلمانيون وغيرهم - فهل تعتبر المرأة عاطلة إذا قَرَّت في البيت وتفرّغت لتربية الجيل الجديد، الذي يرجى بإصلاحه صلاح الأمم، وبإفساده يتحقق فساد الأمم؟

والأصل الثاني: ضوابط يجب على المرأة مراعاتها عند خروجها من بيتها

حينما قرر الإسلام أن الأصل قرار المرأة في بيتها، فقد سمح لها بالخروج في بعض الأحوال، ولما كان الشيطان يستغل خروج المرأة لنشر الفاحشة والفساد، كما أخبر نبينا ﷺ (إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها^(١) الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها^(٢))، فقد شرع الإسلام ضوابط لخروج المرأة.

ومن هذه الضوابط:

١. الالتزام بالحجاب الشرعي: حيث يجب شرعاً على جميع نساء المؤمنين التزام الحجاب الشرعي، الساتر لجميع الزينة المكتسبة من ثياب وحلي وغيرها من كل رجل أجنبي.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر "إلا ما ظهر منها": بالوجه والكفين^(٣)، والإجماع على وجوب ستر العورة على كل مصلٍ في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنّها.

٢. ألا تخرج متبرجة: ومن حرص الإسلام على ستر المرأة أنه نهى عن التبرج، وحذر منه، والذي ينظر في قصة آدم عليه السلام وإبليس يلحظ أن الحياء من التعري وانكشاف السوء شيء مركوز في طبع الإنسان وفطرته، إذ يقول الله سبحانه: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]

٣. عدم الخضوع بالقول: إذا خرجت المرأة من بيتها واضطرت إلى معاملة الرجال، فيجب عليها ألا ترقق الكلام، بل عليها التكلم بوقار واحتشام، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْنَا بِأَعْيُنِنَا إِنْ أَنْتَ إِلَّا وَجْهٌ كَاذِبٌ﴾ [النبي: ١٧]

(١) الاستشراق: رفع البصر للنظر إلى شيء. والمعنى: أن المرأة إذا خرجت أمعن الشيطان في الإغواء بها. انظر: تحفة الأحوذى، المباركفوري (٢٠٨/٢).

(٢) خرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الرضاع، باب ١٨، (٤٦٧/٢)، رقم ١١٧٣. وصححه الألباني في إرواء الغليل، (٣٠٣/١)، رقم ٢٧٣.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٦٧/٨)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٨٤/٣).

كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ [الأحزاب: 32]

فقد نهى سبحانه في هذه الآية نساء النبي الكريم أمهات المؤمنين، وهن من خير النساء وأظهرهن عن الخضوع بالقول للرجال، وهو تليين القول وترقيقه، لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض شهوة الزنا، ويظن أنهن يوافقنه على ذلك، وما قاله الجصاص بأن فيه الدلالة على أن ذلك حكم سائر النساء في نهيهن عن خضوع القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن، ويستدل به على رغبتهن فيهم^(١).

٤ . **عدم الخروج متعطرة:** من الأمور التي تحرك الشهوات شم الرجال طيب النساء، فستر الإسلام المرأة في هذا الباب بأن نهاها عن الخروج متعطرة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها، فهي زانية)^(٢).

٥ . **عدم إظهار زينتها بالصوت:** من الآداب التي قررتها الشريعة الغراء، وأمرت المرأة بالتزامها، ألا تظهر زينتها بالصوت، سواء كان صوت الحلي أو غيره، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] يقول سيد قطب: «وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تنير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها، أو حليها، أكثر مما تنيرها رؤية جسد المرأة ذاته، كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم، أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم، والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله؛ لأن منزلّه هو الذي خلق، وهو الذي يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير^(٣).

فلم تهمل الشريعة المطهرة أي أمر يتحقق به ستر المرأة، ويصون عفتها، ويقطع دابر الفساد عن المجتمع الإسلامي، فوضع لها القواعد والضوابط التي تجعل الزينة تلبّي فطرة المرأة، وتناسب أنوثتها من جهة، وتحفظها في مسارها الصحيح بلا إفراط ولا تفريط من جهة أخرى.

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص (٣/٣٥٩).

(٢) مسند الإمام أحمد، (٤/٤١٤)، رقم ١٩٧١١، والنسائي في سننه كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، (٨/١٥٣)، رقم ٥١٢٦، والحاكم في المستدرک، (٢/٣٩٦)، رقم ٣٤٩٧.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/٢٥١٤).

رابعاً: شروط الحجاب الشرعي:

لقد حدد الإسلام الشروط والضوابط التي يجب على المرأة المسلمة أن تتقيد بها في موضوع اللباس، وأبرز هذه الشروط هي:

١. أن يستوعب اللباس جميع البدن: وذلك ليكون ساتراً للعودة، وللزينة التي نهيت المرأة عن إبدائها، ولباس المرأة لا بد أن يكون ساتراً لسائر جسمها وقدميها، أما وجهها وكفيها ففيه خلاف.

٢. ألا يكون اللباس ضيقاً يصف جسمها: فالثوب الضيق فإنه - وإن كان يستر لون البشرة - يصف جسم المرأة أو بعضه، وذلك من أعظم أسباب الفساد ودواعي الفتنة.

٣. ألا يكون شفافاً يصف ما تحته: وقد ورد الوعيد الشديد فيمن تلبس لباساً خفيفاً لا يستر ما أمر الله بستره، قال ابن عبد البر: «أراد ﷺ من النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة»^(١).

٤. ألا يكون اللباس زينة في نفسه: وأعني بذلك الثياب الظاهرة، فالمرأة منهيّة عن الثياب إذا كانت تلفت أنظار الرجال إليها، وعلى هذا فمتى اختارت المرأة ثيابها من الألوان الجذابة لكي تلذّ بها أعين الناظرين من الرجال فهذا من مظاهر التبرج الجاهلي!

وقد فسّر شيخ الإسلام قوله ﷺ: «كاسيات عاريات» بأن تكتسي ما لا يسترها، فهي كاسية، وهي في الحقيقة عارية! مثل أن تكتسي الثوب الرقيق الذي يصف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع خلقها مثل عجيزتها وساعدها ونحو ذلك، وإنما كسوة المرأة ما يسترها، فلا يبدي جسمها، ولا حجم أعضائها؛ لكونه كثيفاً واسعاً^(٢).

وعن أم علقمة بن أبي علقمة قالت: رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته عائشة عليها وقالت: «أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟! ثم دعت بخمار فكستها»^(٣).

(١) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٢٠٤/١٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٦/٢٢).

(٣) انظر: الطبقات، لابن سعد (٨/ ٤٩-٥٠)، ومالك في الموطأ (٣/ ١٠٣) بنحوه، ومداره على أم علقمة مرجانة، ذكرها ابن حبان في الثقات (١/ ٢٣٦)، وقال الذهبي: «لا تعرف»، قال الألباني: فمثلاً لا يحتج بها، وإنما يستشهد بروايتها. انظر: جلاب المرأة المسلمة، الألباني (ص ٥٧)

٥. ألا يشبه لباس الرجال: حيث أن لثوب الرجل صفات، أهمها: أن يكون لا يجاوز الكعبين أو إلى أنصاف الساقين. وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار)^(١).

٦. ألا يشبه لباس الكافرات: القصد أن المرأة منهيّة -كالرجل- عن التشبه بالكفار، ومنه التشبه بهم في اللباس، وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٢)، وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، والضابط في موضوع التشبه بالكفار هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أن كل فعل مأخوذ عن الكفار مما هو من خصائصهم فهو تشبه.

٧. ألا يكون لباس شهرة: فلا يجوز لامرأة مسلمة أن تختار من ألوان الثياب ما ترضي به رغبة الدعاية ولا يتعلق بضرورة اللباس، أو حسنه وجماله في حدود المباح، وإنما لأجل أن يرفع الرجال إليها أبصارهم، وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارا)^(٣)، وقال ابن الأثير: "ثوب الشهرة: هو الذي إذا لبسه الإنسان افتضح به واشتهر بين الناس"^(٤).

٨. حجاب القواعد من النساء: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠] فإن كانت المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا، فإنه يباح لها أن تضع ثيابها الظاهرة التي لا يؤدي خلعاها إلى كشف العورة، وهذا قول أكثر المفسرين في المراد بالثياب المذكورة في الآية وأنه الجلباب، وبه قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما^(٥)، وعلى ذلك فلا مانع شرعًا أن تكشف وجهها ويديها؛ لأمن المحذور منها وعليها بانصراف الأنفس عنها، وعدم رغبة الرجال فيها.

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، (١٤١/٧)، رقم ٥٧٨٧.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (١٤٤/٦)، رقم ٤٠٣١.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (١٤٣/٦)، رقم ٤٠٢٩، وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، (١١٩٢/٢)، رقم ٣٦٠٦.

(٤) انظر: جامع الأصول، ابن الأثير (٦٥٨/١٠).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٩١/٦).

خامساً: زينة المرأة

أباح الإسلام للمرأة من الزينة ما يلبي نداء الأنوثة التي فطرها الله عليها، غير أنه لم يترك لها الباب مفتوحاً على مصراعيه، تبدي ما شئت من الزينة، تلفت أنظار الرجال إليها، وتحرك مشاعرهم، بل ضبط زينة المرأة وهذبها، وبين لها ما يباح إبداءه وما لا يباح، فقد دلت الآية على أن الزينة زينتان: زينة ظاهرة تبدي للجميع، وزينة باطنة لا يباح إبدائها إلا لمن ذكر في الآية،

فالزينة الظاهرة للمرأة ما لا يمكن إخفاؤه، كالثياب الظاهرة، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره، حيث قال: الزينة زينتان: ظاهرة وباطنة، فالظاهرة: الثياب^(١)، وهو القول الراجح وعلى ذلك فهذه الزينة الظاهرة هي التي يباح للمرأة إبدائها للأجانب، وهو قول أكثر العلماء.

الزينة الباطنة للمرأة: مثل ما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه: فالكحل والسوار والخاتم^(٢) وأيضاً: القرط، والدملج، والخلخال، والقلادة^(٣)

وعند النظر في هذه الأمثلة المذكورة، يمكن أن يقال في معنى الزينة الباطنة: أنها الزينة التي يتضمن إبدائها رؤية شيء من البدن، كموضع القلادة من العنق، وموضع الخلخال من الساق، ونحو ذلك، وهذه الزينة لا يحل للمرأة أن تبديها للأجانب عنها، ويجوز أن تبديها لمحارمها ومن استثناهم الله في آية سورة النور، والمسألة خلافية بين الفقهاء.

سادساً: الفوائد التربوية لتشريع حجاب المرأة:

للحجاب له فوائد وثمرات عدة، تعود على الأفراد والمجتمعات، ومن أبرزها:

١. الحجاب طاعة لله واتباع لرسوله.
٢. الحجاب عفة: والله عز وجل فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال أيضاً الذين قد تقع أبصارهم عليها؛ لأن بلاء الرجال بما تقع عليه أبصارهم من مغريات النساء هو المشكلة التي أوجبت المجتمع إلى حلّ، فكان في شرع الله ما تكفل به على أفضل وجه.
٣. الحجاب طهارة: وما أدق وصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات؛ لأن العين إذا لم تر لم يشته القلب، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أظهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر؛ لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب.

(١) انظر: تفسير الطبري، الإمام الطبري، (١١٧/١٨).

(٢) المرجع السابق، (١٢٠/١٨).

(٣) انظر: الدر المنثور، السيوطي (١٧٩/٦).

٤. الحجاب ستر: عن يعلى بن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إن الله تعالى حيي ستير، يحب الحياء والستر^(١))، قال عبد الرحمن بن أسلم: يتقى الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوى^(٢)).

٥. الحجاب تقوى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُكْوِرِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦] ويستفاد من الآية أن هناك تلازمًا بين ستر ما أوجب الله ستره، وبين التقوى، كلاهما لباس، هذا يستر عورات القلب ويزينه، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه، وهما متلازمان، فمن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح التكشف والحياء منه.

٦. الحجاب إيمان: فإنه لما دخل نسوة من بني تميم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعليهن ثياب رقاق قالت: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات وإن كنتن غير مؤمنات فتمتنعن به^(٣).

٧. الحجاب حياء: والحياء من أبرز الصفات التي تتأى بالمرء عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق، وحماة الذنوب، وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال: ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير)^(٤)؛ فلذلك وجب على المسلمين أن يعودوا بناتهم على الحياء؛ لأن عدم الحياء علامة لزوال الإيمان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر^(٥).

٨. الحجاب يناسب الغيرة التي جبل عليها الإنسان السوي، والغيرة غريزة تستمد قوتها من الروح، والتحرر غريزة تستمد قوتها من الشهوة، فهذه تغري بالسفور، وتلك تبعث على الاحتجاب. وقد نزلت آية الحجاب بسبب غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نساء النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب^(٦).

(١) رواه أبو داود، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، (١٣٠/٦)، رقم ٤٠١٢، والنسائي في سننه، كتاب الغسل، باب الاستتار عند الاغتسال، (٢٠٠/١)، رقم ٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٦١/١)، رقم ١٧٥٦.

(٢) انظر: الدر المنثور، السيوطي (٧٦/٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٤٤/١٤).

(٤) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، (٢٩/٨)، رقم ٦١١٧، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، (٦٤/١)، رقم ٣٧.

(٥) المستدرک، للحاكم، (٢٢/١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما» ولم يتعقبه الذهبي.

(٦) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم)، (٣٨٧/٨)، رقم ٤٧٩٠.

٩. الحجاب فيه حفظ للمجتمعات من انتشار الجرائم والفواحش: فالله سبحانه ما أمر بالحجاب إلا حفظاً وصيانة للمرأة والرجل كأفراد يتكون منهم المجتمع بأسره، وقطعاً لدابر الفتنة الناتجة عن التبرج والانحلال.

والعكس صحيح، فمن هذه العواقب الوخيمة لترك المرأة لحجابها وسترها:

- تسابق المتبرجات في مجال الزينة المحرمة لأجل لفت الأنظار إليهن، مما يجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكل من شاء أن ينظر إليها.
- الإعراض عن الزواج، وشيوع الفواحش، وسيطرة الشهوات.
- انعدام الغيرة، واضمحلال الحياء، كثرة الجرائم، فساد أخلاق الرجال خاصة الشباب والمراهقين، ودفعهم إلى الفواحش المحرمة بأنواعها، تحطيم الروابط الأسرية، وانعدام الثقة بين أفرادها، وتفتشي الطلاق، المتاجرة بالمرأة، كوسيلة دعائية، أو ترفيه في مجالات التجارة وغيرها.
- الإساءة إلى المرأة نفسها، والإعلان عن سوء نيتها، وخبث طويتها، مما يعرضها للأذى.

وهكذا يتأكد بأن محافظة المرأة على حجابها فيه قطع لدابر كل هذه الجرائم والردائل الأخلاقية؛ فالشريعة ترمي من وراء تشريع الحجاب إلى منع الفتنة، ابتداء من مجرد الاستحسان والتلذذ بالنظر الذي هو زنا العين، وانتهاء بالفاحشة الكبرى وهي الزنا.

وبذلك أختتم المبحث الثالث والذي خيم عليه البُعد الفقهي التشريعي وآثاره التربوية ببعده المجتمعي الواضح تحريم الظهار في الإسلام، بدءً من مطلب تحريم التبني في الإسلام ثم الحديث عن أولي الأرحام من المؤمنين بعضهم أولى بميراث بعض، وبعدها الحديث عن التشريع الإسلامي الحضاري الراقي الذي يتحدث عن حرمت البيوت وأولها بيت النبي وآداب دخولها وزيارتها وتوقير زوجاته أمهات المؤمنين والإمساك بالمعروف وحسن العشرة بين الزوج وزوجته فإن ضاقت الحياة بينها بشكل نهائي فلا بأس بمتنفس ومخرج الطلاق والتسريح ثم يفرد الشارع الحكيم تفاصيل تهم المرأة المسلمة القديرة الثمينة ويهتم بسترها وحجابها وعفتها وما يحل وما يباح وما يحرم في ملبسها وكلامها وبيتها وخروجها ومحارمها، إنها حقاً لوحة فنية رائعة في تكريم الشرع الإسلامي الحنيف للمرأة المسلمة وفي هذه اللوحة لكل منصف يحسن قراءتها الرد الشافي الكافي الوافي على منزلة المرأة في الإسلام العظيم.

المبحث الثالث

التوجيهات التربوية الأخلاقية في ضوء سورة الأحزاب

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم.

المطلب الثاني: ترسيخ مبدأ الشورى في ضوء غزوة الأحزاب.

المطلب الثالث: تخيير زوجات النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة ومقدار ثوابهن وعقابهن.

المطلب الرابع: تزويج الله تعالى زينب للنبي ﷺ.

المطلب الخامس: أمر الله نبيه بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وترك أذاهم، وأن يتوكل على الله.

المطلب السادس: آداب الاستئذان في دخول البيت النبوي وبيوت المؤمنين.

المطلب السابع: تحريم إيذاء الأنبياء.

المطلب الثامن: أمر المؤمنين بتقوى الله والقول السديد وبيان جزاء ذلك.

المطلب التاسع: بيان أمانة التكليف وأثرها في تصنيف المكلفين.

المطلب الأول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]

قاعدة قرآنية جليلة في توقير النبي ﷺ ، وتقديم محبته على كل حُب، وطاعته على كل رأي، هذا الحب يقتضي امتثال أمره واجتناب نهيه، والغيرة على عرضه و الغيرة على سُنته و شريعته.

يقول السَّعدي: يخبر تعالى المؤمنين خبراً يعرفون به حالة ﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة، فالرسول أولى بالمرء من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم من النصح، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وهو أعظم الخلق مَنَّةً عليهم، فإنَّه لم يَصِل إليهم متقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم متقال ذرة من الشرِّ، إلا على يديه وبسببه^(١)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(٢).

وذكر القرطبي^(٣) أن النبي ﷺ كان إذا حضرته جنازة سأل هل على صاحبها دين؟ فإن قالوا: لا، صلى عليها، وإن قالوا نعم قال: صلوا على صاحبكم، قال: فلما فتح الله عليه الفتوح، كما في حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: (ما من مؤمنٍ إلَّا وأنا أولى النَّاسِ به في الدُّنيا والآخرة، اقرُّوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأَيُّما مؤمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصْبَتُهُ، فَمَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دِينًا، أَوْ ضِياعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ)^(٤)، فتبيَّن أنَّ ولاية النبي ﷺ لزيد بن حارثة ولايةً خاصَّةً، ولكل المؤمنين ولاية عامة، بأنه أولى بهم من أنفسهم في أمور دنياهم وأخراهم بحرصه عليهم ورسالته إليهم التي كان بها سبباً في إنقاذهم من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور، فعلاقته بهم أسمى وأعظم من أي علاقة فهو كما وصفه الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

(١) انظر: تفسير السعدي، سورة الأحزاب (٦/ ١٣٧٣).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حديث رقم ٩٢،

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٤/ ١١٤).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر، باب الصلاة على من ترك ديناً، حديث رقم ٢٢٩٨.

ولما رفع الله قدر نبيه ﷺ وشرفه بكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهو بمثابة الأب للمؤمنين، فكَذلك كَرَّمَ الله كُلَّ من له صِلَةٌ به، ووجب له التوقير والتبجيل فجعل أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين عامة، من حيث حرمة الزواج بهن بعد موت النبي ﷺ، ومن حيث احترامهن وتقديرهن، فهن يمثلن الأمومة الروحية لهم حرمةً له وتشريفاً لقدره، وقد غلظ القرآن الكريم العقوبة على من لا يحترمهن، فلم يجعل لمن قذفهن توبة ولعنهم الله تعالى^(١).

الآثار التربوية الأخلاقية في المطلب:

- لا يكتمل إيمان العبد؛ حتى يكون النبي ﷺ أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين.
- حُبُّ النبي ﷺ واتباع سنته، عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى.
- المحبة الصادقة للنبي ﷺ تقتضي التخلق بأخلاقه، وسلوكه في أموره كلها.
- سيرة النبي ﷺ هي الصفحة الجليلة والروضة النديّة التي نتسم فيها ونتعلم منها الأخلاق النبوية الكريمة؛ لذا ينبغي على المسلم دراسة كتاب في السيرة النبوية، يتخلق فيها بأخلاق النبي في كل مراحل حياته، ويتقرب فيها مجلساً من نبيه ﷺ في الآخرة، ففي الحديث: (إِنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)^(٢).
- تربية الأبناء والأجيال على شعار "الرسول قُدوتنا"؛ وذلك بغرس حب النبي ﷺ في قلوبهم، والتخلق بأخلاقه ونصرته والدفاع عنه وفداؤه بكل غالٍ ونفيس.
- حرمة (التبني) في الإسلام، ووجوب دعوة الأبناء ونسبتهم إلى آبائهم.
- جواز قول الإنسان يا (أخي) يا (مولاي) إذا قصد أخوة الدين وولايته.
- توقير زوجات النبي ﷺ وعدم السماح بإيذاءهن أو التعرض لهن بسوء.
- دراسة حادثة الإفك بعمق للدَّبِّ عن عرض أُمنا عائشة الحصان الرزان في افتراءات الرافضة.
- تعريف الناس بأمهات المؤمنين وغرس حبهن في نفوس الأبناء والأجيال وعامة الناس.
- الدعاء لهن وربط الصلاة على أزواج النبي بالصلاة عليه "اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم".
- تحذير الناس من عدم احترامهن أو سبهن أو قذفهن لأن القرآن الكريم غلظ العقوبة عليهن، فلم يجعل لهن توبة، بل لعنهم الله تعالى فهم مطرودون من رحمته.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٩/١٢).

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني، (ص ٧٩١)

المطلب الثاني: ترسيخ مبدأ الشورى في ضوء غزوة الأحزاب.

الشورى لغةً: الشورى هي الاسم من تشاور القوم واشتوروا، والشورى هي التشاور، والأمر الذي يتشاور فيه^(١)، وعرفها أيضاً الراغب الأصفهاني: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض^(٢)، وعرفها ابن العربي المالكي بأنها: «عرض الأمر على الخيرة حتى يعلم المراد منه»^(٣)، أما تعريف **الشورى اصطلاحاً:** طلب الرأي من أهله، وإجالة النظر فيه، وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب^(٤).

لما سمع رسول الله ﷺ بتحزب الأحزاب وزحفها إلى المدينة، من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ، وعزمها على استئصال شأفة المسلمين، سارع ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرارٍ قَدَّمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي رضي الله عنه. قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا- وكانت خطةً حكيمةً لم تكن تعرفها العرب^(٥)، فجعل جبل السلع خلف ظهره وخط لهم مكان الخندق وعمل معه المسلمون فدأب فيه ودأبوا وكان البرد شديداً ولا يجدون من القوت إلا ما يسد الرمق وقد لا يجدونه، ويقول أبو طلحة شكوت إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر، فرفع النبي ﷺ عن بطنه حجرين^(٦)، ويقول أنس رضي الله عنه خرج النبي ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون لهم ذلك فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، فجعل ﷺ يقول: "إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ، أو قال:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ * * فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ" ^(٧)

(١) انظر: مقاييس اللغة ٢٢٦/٣، وانظر: الصحاح، الجوهري (٣٧٢/١). لسان العرب، ابن منظور (٤٣٤/٤). -
القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ٤٣٨).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص ٤٦٩-٤٧٠).

(٣) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي المالكي (٩١/٤).

(٤) الشورى: اصطلاحاً طلب الرأي من أهله، وإجالة النظر فيه، وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب.

(٥) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، غزوة الأحزاب (ص ٢٧٧).

(٦) جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث ٢٤٠٠

(٧) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، حديث ٢٨٥٣.

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد ما بقينا أبداً^(١).

الأثر التربوي الأخلاقي للمطلب:

- ترسيخ مبدأ الشورى كقيمة إسلامية حضارية، تتحقق فيها طاعة الله عز وجل، بفعل الأمر من الله لرسوله ﷺ "وشاورهم في الأمر"، وهي اتباع لهدى النبي ﷺ في مشاورته لأصحابه في غزوة الأحزاب، ففيها مصالح مؤكدة للعباد والبلاد.
- وجوب ممارسة الشورى على الحاكم المسلم وهذا مذهب الجمهور من العلماء في كل مواقع المسؤولية بدءاً من البيت حتى الدولة، فقد رجع الكثير من العلماء المعاصرين وجوب الشورى وجعلوها من أسس نظام الحكم وقواعده^(٢).
- النبي قائدٌ شوريٌّ، فما يلمحه الإنسان في غزوة الأحزاب، وفي غيرها من حوادث السيرة، أن النبي ﷺ أنزل الشورى منزلتها، وأصلها في حياة الأمة؛ إذ المصلحة العليا تقتضي توسيع قاعدة الرأي، فالحاجة إليها إنما تكون خاصة في الشدائد والقرارات المصيرية والملمات على غاية من الأهمية، حيث يكون الخطأ قاتلاً، ورغم أن النبي ﷺ مستغنى عن الشورى بالوحي، فهو المؤيد بالوحي، وهو المسدد به، ولا حاجة به إلى الشورى، لكنه مارسها على أعلى مستوياتها الراقية والحضارية؛ حتى يغرس قيمتها في نفوس أصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.
- دلالة تسمية سورة الشورى، تسمية سورة في كتاب الله باسم "الشورى"، فيها توجيه رباني واضح بالتمسك بها، بل إن اقترانها بالإيمان، والتوكل، واجتتاب كبائر الإثم والفواحش، والعفو والصفح عن الناس، والاستجابة لدعوة النبي ﷺ المبلغ عن ربه تبارك وتعالى، وإقامة الصلاة، والزكاة، والقوة أو العزة التي تجعلهم قادرين على الانتصار ممن ظلمهم وبغى

(١) انظر: الشورى في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية (ص ١٣).

(٢) انظر: المنار، محمد رشيد رضا (٣٧/٤، ١٦١-١٦٢)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (١٤٧٧/٣). السياسة

الشرعية، خلاف ص ٥٨، التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة (٣٧/١-٣٨).

عليهم^(١)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿[الشورى: ٣٨-٣٩].

- الاستبداد والاستعباد بديل الشورى: لا يملك المجتمع المسلم أن يحيد عنها، كما لا يملك الحاكم المسلم المؤمن أن يتجاهلها أو يعتدي عليها، ويقظة المسلم دائمة في العمل لها وعدم التنازل عنها؛ لأن ترك الشورى إلى جانب كل مضاره في الدنيا مدعاة لسخط الله، وخاصة بعد فضح زيف أوهام الديمقراطية^(٢) والليبرالية^(٣) والعلمانية^(٤) في مصادرة رأي الشعوب وكلمة صناديق الاقتراع، وخاصة بعد انقلاب أذنان وأدوات مشاريع الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة على ثورات الربيع العربي، وواقع الأمة العربية المرير خير دليل؛ ما يوجب على الشعوب ألا تستكين حتى تنتزع حريتها وحققها في الشورى في تقرير مصيرها.
- الشورى الملزمة في نظام الحكم، لما فيها من خير كثير، ومصلحة عليا، أما الشورى المعلمة فالأصل أن تقتصر على مسائل ومواقف محدودة تقدر بقدرها، ومع ذلك لا يزال في عالم المسلمين اليوم من يستهويه الاستبداد، ويتصيد الوقائع التاريخية، ويجهد نفسه في تفسير النصوص ليخرج على المسلمين بأن الشورى ليست ملزمة للحاكم، وإنما هي معلمة له فقط، وأن الحاكم بالخيار إن شاء عمل بها وإن شاء تركها، وأعطى الحاكم في الدولة وأعطى المسؤول عن أية جماعة مسلمة من العصمة وكأنه نبي مرسل.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٥٤٤/٢١-٥٤٩)، معالم التنزيل، البغوي (١٩٧/٧-١٩٨)، النكت والعيون، الماوردي (٥٠٢/٥-٥٠٦)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٣٩/٥-٤٠).

(٢) الديمقراطية: مشتق من الإغريقية، وتعني حرفياً حكم الشعب لنفسه، وهي نظام للحكم حيث تكون السلطة العليا بيد الشعب الذي يمارس سلطاته بشكل مباشر، أو عن طريق مجموعة من الأشخاص يتم انتخابهم لتمثيل الشعب بالاعتماد على عملية انتخابية حرة.

(٣) الليبرالية: هي فلسفة سياسية أو رأي سائد تأسست على أفكار الحرية والمساواة. وتشدد الليبرالية الكلاسيكية على الحرية في حين أن المبدأ الثاني وهو المساواة يتجلى بشكل أكثر وضوحاً في الليبرالية الاجتماعية.

(٤) العلمانية: هي المبدأ القائم على فصل الحكومة ومؤسساتها والسلطة السياسية عن السلطة الدينية أو الشخصيات الدينية.

المطلب الثالث: تخيير زوجات النبي بين الدنيا والآخرة ومقدار ثوابهن وعقابهن

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ يَتَذَكَّرُ فِي مَا مَنَعَتْهُنَّ أَنْ يُضِلَّنَّ أَفْجَاجَهُنَّ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٣٠]

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهنّ عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهنّ عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن - رضي الله عنهن وأرضاهن - الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهنّ بعد ذلك بين خيري الدنيا وسعادة الآخرة^(١)).

سبب النزول: روى البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول ﷺ، فقال: (إني ذاكركم أمراً فلا عليكم أن لا تستعجلي حتى تستأمرني أبويك) - وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه - قالت: ثم قال "إن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾، فقلت له: ففي أي هذا أستمّر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة^(٢).

وعن سبب تخيير النبي إياهن ثلاثة أقوال: "أحدها: أنهنّ سألنه زيادة النفقة، والثاني: أنهنّ آذينه بالغيرة، والقولان مشهوران في التفسير، والثالث: أنه لما خير بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختر الآخرة، وأمر بتخيير نسائه ليكنّ على مثل حاله^(٣).

إن الآيتين السابقتين كانتا تعقيباً على حادثة خاصة بزوجات النبي ﷺ، ولكنهما في نفس الوقت تعطيان لنا النماذج والأمثلة والفوائد والعبر، لتتأسى بها نساء المسلمين في كل مكان وزمان، ولتتعرف كل امرأة صالحة على الفوائد والعبر، التي تأخذها من الدروس التربوية وآثارها العظيمة.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٨٠/٣).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا..."، حديث رقم: ٤٥٢٥.

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (٣٧٧/٦).

الأثر التربوي من الآيات:

- قيام الآباء بمسؤولياتهم تجاه بيوتهم، وأزواجهم، وأبنائهم، بإقامة البيت المسلم من أول يوم، ومتابعة التزام الزوجة بدينها، وتوفير البيئة الصالحة للأبناء، عملاً بحديث ابن عمر: (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم والرجلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عنهم والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدهِ وهي مسؤولةٌ عنهم وعبدُ الرجلِ راعٍ على بيتِ سيدهِ وهو مسؤولٌ عنه ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته)^(١).

وللباحث إصدار بعنوان "إن للإيمان بيوتاً"^(٢)، فيه خطوات إقامة البيت المسلم الناجح .

- فافظر بذات الدين: هذا توجيه تربوي نبوي لكل شاب مسلم يريد أن يبدأ حياته بداية صحيحة؛ فيبني بيتاً صالحاً ناجحاً، ويعد ذرية طيبة من المصلحين والمبدعين.

- المرأة هي صِمام الأمان في المجتمع: فإن صلاح أي مجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بصلاح المرأة فيه، وفساده مرتبط بفسادها، وفتنتها البالغة في المجتمع، بتبرجها وزينتها واختلافها، وغير ذلك من صور الافتتان بها؛ لذا كان الاهتمام بتربية البنات منذ صغرهن، وسلوك طريق الخير والصلاح، عاملاً أساسياً في إنشاء مجتمعٍ صالحٍ ، وإذا قصرنا في تربية المرأة فسد المجتمع، وانتشرت الفاحشة، وعمَّ المنكر، كما هو حال أكثر المجتمعات اليوم، وهذا هو سر تحذير ﷺ أشد التحذير من فتنة النساء، كما في الحديث: (ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء)^(٣).

- العواقب الوخيمة للترف والتنعم: بالتلف والتنعيم الإسراف فيهما، حتى يصل الأمر بالمسلمة أن يكون هذا هو شغلها الشاغل في الحياة، وتدور اهتماماتها حول متاع الدنيا وشهواتها وزينتها، فهذا له آثاره السلبية منها: طول الأمل، الغفلة ، قسوة القلب، التقصير في الطاعة.

(١) صحيح البخاري، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث ٨٩٣

(٢) كتاب للباحث بعنوان: "إن للإيمان بيوتاً"، مطبعة منصور، والكتاب يهدف لإقامة البيت المؤمن الناجح، بدءً من أسس اختيار الزوجين لبعضهما، وكيفية تربية الأبناء، وواجبات وحقوق كل منهما ونماذج من بيوت ناجحة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، حديث: ٥٠٩٦

- **تقويم طبيعة المرأة:** أول ما نلاحظه في هذه الحادثة أن طبيعة المرأة تميل أكثر من الرجل إلى حياة الدعة والرفاه، فإن غفلت عن مراقبتها، دفعتها إلى الدنيا دفعاً يكون من شأنه الغفلة عن الله والدار الآخرة، وهذا هو الهلاك بعينه.

ونساء النبي ﷺ - في هذه الحادثة - كُنَّ في طبيعة المسلمات المؤمنات اللواتي تحملن في سبيل الدعوة، وآثرن قسوة الحياة وصعابها مع الإيمان على الرفاه والنعمة والسعة مع الكفر، وضربن في ذلك أحسن الأمثلة. وهذا ينم عن طبيعة المرأة مهما بلغت منزلتها، ومهما رأت من صور الإيمان، ولكن الله تعالى بحكمته، أراد أن يقوم هذه الطبيعة، ويحد لها حدوداً واضحة، تبقى معالم ثابتة ومنهجاً واضحاً على مدى الزمن لنساء المؤمنين عامة.

- **خيركم خيركم لأهله:** النبي ﷺ قدوة حتى في إحسانه وحبه ومعاملته الطيبة لأزواجه، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنه قال: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)^(١).

- **النبي زوجٌ قدوة:** إن موقف النبي ﷺ من هذه الحادثة يضرب لنا مثلاً رائعاً للرجل الداعية الحق، والقوة الحسنة، والمثل الطيب، كي يكون لنا جميعاً نبزاً في طريق الإيمان والدعوة، فهل يؤثر أن يحافظ على البيت من التصدع، ويحقق لنسائه هذا المطلب الدنيوي الهين؟ أم يكون له موقفاً واضحاً وصارماً في نفس الوقت، ليرسم الطريق الصحيح للمسلمين والمسلمات؟ هذا الحادث يحدد لنا التصور الإسلامي الواضح للقيم، ويرسم الطريق الشعوري للإحساس بالدنيا والآخرة، ويحسم في القلب المسلم كل أرجحة، وكل لجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة، بين الاتجاه إلى الأرض، والاتجاه إلى السماء، ويخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة تحول بينه وبين التجرد لله والخلوص له وحده دون سواه^(٢).

(١) صحيح ابن جبان، كتاب النكاح، باب معاشره الزوجين، ٤١٨٦ حديث حسن

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/ ٢٨٥٥).

المطلب الرابع: تزويج الله تعالى زينب للنبي ﷺ.

لَمَّا كَانَ التَّبَنِّي مِنَ الْأُمُورِ الْمَعْتَادَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهَا لَا تَكَادُ تَزُولُ إِلَّا بِحَدِيثٍ كَبِيرٍ، فَأَرَادَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّشْرِيعُ قَوْلًا وَفِعْلًا مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا هَيَّأَ لَهُ سَبَبًا، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَدْ تَبَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَارَ يُدْعَى إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ: "ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ"، فَقِيلَ لَهُ: "زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ" وَكَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ عَمَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِ الرَّسُولِ، لَوْ طَلَقَهَا زَيْدٌ، لِتَزْوِجِهَا، فَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَيْدٍ، مَا اقْتَضَى أَنْ جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِرَاقِهَا^(١)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ تَوْفِيَةً بِحَقِّ النَّصِيحَةِ وَهُوَ أَمْرٌ نُصَحَ وَإِشْرَادٌ، لَا أَمْرٌ تَشْرِيْعٌ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُتَصَرِّفٌ بِحَقِّ الْوَلَاءِ وَالصُّحْبَةِ لَا بِصِفَةِ التَّشْرِيعِ وَالرِّسَالَةِ^(٢). ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

يقول السعدي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا امتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور، وحتماً به وألزماً به أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ أَي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ وإلا فقد ضلّ ضلالاً مُبِينًا أَي: بَيِّنًا، لِأَنَّهُ تَرَكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى كَرَامَةِ اللَّهِ، إِلَى غَيْرِهَا، مِنَ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ لِلْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَذَكَرَ أَوَّلَ السَّبَبِ الْمَوْجِبَ لِعَدَمِ مَعَارَضَتِهِ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ التَّخْوِيفُ بِالضَّلَالِ، الدَّالُّ عَلَى الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ^(٣).

وفي الآيات فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها، من رسوله ﷺ، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفخر بذلك على أزواج رسول الله ﷺ، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(٤).

(١) انظر: تفسير السعدي، سورة الأحزاب، (١٣٨٨/٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/٢٣).

(٣) انظر: تفسير السعدي، سورة الأحزاب، (١٣٨٨/٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء حديث ٧٤٢١

الآثار التربوية للآيات:

القبول والتسليم هما شرطان من شروط التوحيد السبعة، كما قال الشيخ حافظ الحكمي في منظومته سلم الوصول:

العلم واليقين والقبول ***** والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ***** وفقك الله لما أحبه

- ما يوجب على المسلم المبادرة لتنفيذ أمر الله تعالى دون أدنى حرج في نفسه والانتهاز عما نهى عنه دون أدنى سخط أو تلكؤ.
- الصحابي الوحيد الذي خلد الله ذكره في صحف مرفوعة مطهرة إلى يوم الدين هو زيد بن حارثة؛ وهذه رفعة قدر وشأن من الله لزيد رضي الله عنه حب النبي ﷺ.
- الصحابية زينب بنت جحش رضي الله عنها لما استسلمت لأمر ربها ونبيها، بزواجها من زيد رغم مخالفة هواها؛ أصبحت تفاخر نساء النبي الأخريات: زوجني ربي من فوق سبع سماوات.
- الرضا بقضاء الله في كل أمور الحياة التي قدرها لك وخاصة الزواج، فمن رضي له الرضا من الله، فارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وردد دعاء "اللهم رضني بقضائك"
- الأصل في اختيار الزوج لزوجته والعكس، هو "الدين والخلق" وليس الهوى، وإلا تربت الأيادي.
- المستشار مؤتمن، فإذا استنصحك أحد فانصح له بأمانة وإخلاص؛ لأن (الدين النصيحة)^(١)، فيجب عليه -إذا استشير في أمر من الأمور- أن يشير بما يعلمه أصلح للمستشير، ولو كان له حظٌ نفسٍ، فتقدم مصلحة المستشار على هوى نفسه وغرضه، ومنها: أن من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.
- الخشية من الله من أجل أعمال القلوب، وهي أعلى مراتب مراقبة الله، وهي سمة أصيلة من سمات أصحاب الرسالات والدعوات التي يجب مجاهدة النفس في تحقيقها.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة أو الرقم: ٥٥

المطلب الخامس: أمر الله نبيه بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وترك أذاهم،
وَيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

من الملاحظ أن هذه الآية مكررة في معنى الآية التي ذكرها الله تعالى في مطلع سورة الأحزاب، ويوضح الشيخ الشعراوي في تفسيره سبب التكرار والفرق بين الموضعين قائلاً: في أول السورة خاطب الحق سبحانه نبيه ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] وهنا خاطبه ربه بقوله: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨] فالأولى كانت في بداية الدعوة، حين أخذ الكفار يكيّدون للنبي ﷺ، فما بالك وقد قويّت الدعوة، واشتدّ عودها، لا بُدَّ أن يتضاعف كيّد الكافرين له؛ لذلك يكرر له مسألة وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾، ولا يعني ذلك أنني سأسلمك، إنما أنا وكيّلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]، فإن قلت: كيف والوكيل أقل من الأصيل؟ نقول: لا، فالأصيل ما وكلّ غيره، إلا لأنه عجز أن يفعل، فاختر الأقوى ليفعل له^(١).

قال الحافظ ابن كثير: لا تطعمهم وتسمع منهم في الذي يقولونه، ودَعْ أَذُنَهُمْ أي اصفح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى، ولهذا قال جلّ جلاله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢).

وقال السعدي: ولما كان ثمّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، أي: في كل أمر يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعمهم، ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له،

(١) انظر: تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، (١٢٠٨١/١٩).

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، (ص ٢٠٤١).

ولأهله. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، وكفى بالله وكيلاً تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده^(١).

الأثر التربوي للآية:

- يتوجب على صاحب الرسالة الانتباه والحذر من مكر المنافقين وعداوة الكافرين في كل محطات ومراحل دعوته.
- معرفة صفات الكافرين والمنافقين من خلال مداينة وصف القرآن، والسيرة النبوية لهم.
- أصحاب الدعوات يفهمون طبيعة طريق دعوة الله بأنها حفت بالمكاره والابتلاءات وعليهم أن يستعدوا لها ويثبتوا أمامها
- الثقة في الله وفي وعده ونصره دينه، هي عمدة المصلحين في تجاوز عقبات طريق الدعوة إلى الله، والإصرار على الاستمرار والمواصلة؛ حسبة الله الوكيل وكفى به كفيلاً.
- حسن التوكل على الله مع الأخذ بتمام الأسباب، فمن توكل على الله كفاه ووقاه، أليس الله بكاف عبده؟ بلى.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ناصر السعدي / (ص ٦٦٧).

المطلب السادس: آداب الاستئذان في البيت النبوي وبيوت المسلمين.

الإسلام دين الحضارة، والذوق، والأدب مع الآخر، واحترام الخصوصيات في المعاملات المجتمعية، وهذه الآية خير دليل في هذا المضمار، والتي تركز على أدب مجتمعي وأخلاقي أصيل وهو الاستئذان الذي سيكون محور الحديث في هذا المطلب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]

والمعنى: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله.

وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتبت ما نهى الله عنه منه، والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه آداب وأخلاق عامة يجب أن يتحلى بها كل مسلم.

مفهوم الاستئذان لغةً: والاستئذان يعني طلب الحصول على الإذن، يقال: أذن له في الدخول أي: سمح وأباح له الدخول، والأذان هو الإعلام، وبالتالي فالمقصود بالاستئذان هو طلب السماح والرخصة والإباحة والإعلام^(١).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٧٥/١). معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر (٧٧/١-٧٩).

والاستئذان اصطلاحاً: هو فك الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعاً شرعاً^(١)، وجاء الاستئذان في القرآن بمعناه في اللغة وهو: طلب الإذن^(٢)، مما سبق يظهر الترابط الوثيق بين تعريف الاستئذان اللغوي والاصطلاحي، فكلاهما ضمن إطار السعي للحصول على الرخصة، والإباحة، وعدم الممانعة.

وحاصل ما ذكره الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في سبب نزول هذه الآية يرجع إلى سببين: **الأول:** هو الذي رواه البخاري عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، فكان ما كان من حديثهم وتطويلهم المكث في بيت رسول الله ﷺ، وما حصل بسبب ذلك من الحرج له -عليه الصلاة والسلام، حتى خرجوا، فيقول أنس: فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فنزلت الآية^(٣).

الثاني: هو ما جاء عن عمر رضي الله عنه، وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: **قَالَ مَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: **﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ﴾**، فنزلت هذه الآية^(٤).

الآثار التربوية الأخلاقية للمطلب:

- للبيوت حرمت وخصوصيات، وضع لها الإسلام نظاماً راقياً في دخولها وآداباً في دخولها وزيارتها وتناول الطعام فيها وتبادل المناسبات فيها، ويجب على كل مسلم ومسلمة الالتزام به.

- الاستئذان أدب رفيع يدل على حياء صاحبه وشهامته وتربيته وعفته، ونزاهة نفسه وتكريمها عن رؤية ما لا يجب أن يراه عليه الناس، أو سمعاً حديث لا يحل له أن يسترقه دون معرفة المتحدثين، أو الدخول على قوم وإيقاعهم بالمفاجأة والإحراج، وخاصة مع تقدم الحضارة وصناعة البيوت المقلدة، وتوفر وسائل الاتصال والتواصل، مما يسهل أمر الاستئذان قبل الزيارة.

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، (ص ١٦).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص ٧١).

(٣) شرح النووي على مسلم «كتاب النكاح» باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، (٥٦٩/٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، رقم الحديث: ٤٠٢.

- يحرم على الإنسان أن يدخل بيت غيره من الناس إلا باستئذان، لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].
- عدم النظر بداخل البيت: روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ومعه مِدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ" (١).
- صفة الاستئذان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (الِاسْتِذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أَذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ) (٢).
- كيف يقف عند الباب، فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: (كان ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم) (٣).
- يخبر المستأذن عن اسمه إذا قيل له: من أنت؟ يقول: فلان بن فلان، أو فلان المعروف بكذا، أو ما أشبه ذلك بحيث يحصل التعريف التام به، ويكره أن يقتصر على قوله: أنا أو الخادم أو بعض المحبين، فعن جابر رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت أنا، فقال: أنا أنا كأنه كرهها) (٤).
- إلقاء السلام على أهل البيت: قال تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]
- رد التحية بأحسن منها: يجب على أهل البيت أن يردوا التحية بمثلها أو أحسن منها لقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].
- تعليم الصغار الاستئذان: قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].
- المصافحة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا) (٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، حديث (٦٢٤١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، حديث (٢١٥٤).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، حديث ٥١٨٦، صححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا قال: من ذا؟ فقال: أنا، حديث ٦٢٥٠.

(٥) صحيح أبي داود، الألباني، كتاب الأدب، باب في المصافحة، حديث: ٥٢١٢.

- النهي عن الانحناء والتقبيل عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: (يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال لا قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم)^(١).
- لا يقيم أحدا من مكانه عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه)^(٢).
- الجلوس حيث ينتهي المجلس: عن جابر بن سمره رضي الله عنه قال: (كنا إذا انتهينا إلى النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي)^(٣).
- تحريم حب قيام الناس له خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)^(٤).
- التفسح في المجلس: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]
- الجلوس في موضع سيعود إليه صاحبه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به)^(٥).
- لا يجلس بين رجلين: روى جد عمرو بن شعيب أن النبي ﷺ قال: (لا تجلس بين رجلين إلا بإذنهما)^(٦).
- إكرام الضيف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)^(٧).

(١) سنن الترمذي، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، حديث ٢٧٢٨، قال ابن حجر: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، حديث ٦٢٦٩

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب من صفته صلى الله عليه وسلم، وأخباره، حديث ٦٤٣٣، قال ابن حجر: حديث حسن.

(٤) السلسلة الصحيحة، الألباني، الصفحة أو الرقم 357.

(٥) شرح النووي على مسلم «كتاب السلام» باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه، رقم الحديث: ٢١٧٩.

(٦) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما، رقم الحديث: (٢٧٥٢)، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، حديث ٦١٣٨

- مدة الضيافة: عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه، قال: (وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ)^(١).
 - حسن الكلام قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)^(٢).
 - حفظ اللسان قال تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].
 - حسن الاستقبال: قال ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٣).
 - أمانة المجلس قال ﷺ: (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق)^(٤).
 - إذا لم يؤذن للمستأذن فليرجع، فربما كان صاحب البيت لا يستطيع الاستقبال، كما أوصانا ربنا سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].
 - كفارة المجلس: «كان ﷺ يقول بآخره إذا أراد أن يقوم من المجلس سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»^(٥).
- أدب الاستئذان لا يقف عند دخول البيت فحسب إنما يتسع ليشمل سائر الخصوصيات والحقوق الفردية والمجتمعية، صيانة لكرامات الناس وحرمااتهم وحياتهم واحترام مشاعرهم، فلا تفتح حقيبة أحد إلا بإذنه، ولا تستخدم هاتفه إلا بإذنه، ولا تفتح حاسوبه أو تستخدمه إلا بإذنه، ولا تستعمل قلمه إلا بإذنه، ولا تستخدم مسبحته إلا بإذنه، فللناس خصوصياتهم التي ينبغي أن تحترم.
- إنه حقاً دين عظيم، دين قويم، يهدي به الله إلى طريق مستقيم، وصدق القائل _ غير المسلم _ حينما رأى روعة أخلاق الإسلام، وسمو آدابه، وحضارته قائلاً:
- "يا له من دين لو أن له رجال"^(٦) .. نسأل الله أن نكون نحن رجال هذا الدين العظيم.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، حديث ٦١٣٥

(٢) المرجع السابق، حديث ٦١٣٨

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، حديث ٢٦٢٦

(٤) عون المعبود «كتاب الأدب» باب في نقل الحديث، (١٣/١٧٩).

(٥) صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١٥١٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم ٦١١١٥، أخرجه أبو داود (٤٨٥٩) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٥٩)، وأحمد (١٩٧٦٩).

(٦) المستشرق البريطاني توماس أرنولد Thomas Arnold ، الذي نصف الإسلام في كتابه المشهور: "الدعوة إلى الإسلام"، وهو من أفضل ما ألف راصدا انتشار الإسلام في كل بقعة من الأرض.

المطلب السابع: تحريم إيذاء الأنبياء

الأنبياء _ صلى الله عليهم أجمعين _ هم الذين اصطفاهم الله بعلمه وحكمته ليبلغوا الناس رسالات الله، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وهم خير الناس في أقوامهم والله أعلم حيث يجعل رسالته، وما كذبهم الناس لأشخاصهم فهم يعلمون مكانتهم وصدقهم وأمانتهم، وإنما كان التكذيب للرسالة التي جاءوا بها من الله، وكان الإيذاء لما قاموا به من الدعوة، فإذا كانت الحرب من الله مستحقة لمن يؤدي له ولياً، فالحرب أوجب في حق من آذى نبياً، وقصص الأنبياء خير شاهد، وذكر السعدي في تفسيره: حذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته. والحال أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيهاً عند الله، أي: مقرباً لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يجرهم ما له، من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك، والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة حيائه وتستره عنهم: "إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر" أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يوماً، ووضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمر به على مجالس بني إسرائيل، فأروه أحسن خلق الله، فزال عنه ما رموه به^(١)، وهذا تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾

ذكر مقاتل أن في الآية وعظ الله المؤمنين ألا يؤذوا محمداً ﷺ بقولهم زيد بن محمد فإن ذلك أدى له كما آذت بنو إسرائيل موسى فزعموا أنه آدر وذلك أن موسى كان فيه حياء شديد وكان لا يغتسل إلا وعليه إزار وكانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، فقالوا ما يمنع موسى أن يتجرد كما نتجرد إلا أنه آدر فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام واستتر بصخرة فوضع ثيابه عليها، ففرت الصخرة بثيابه فاتبعها موسى متجرداً حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فنظرت إليه بنو إسرائيل فإذا هو من أحسن خلقاً^(٢).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٦٧٣).

(٢) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، (٢٩٩/١٨).

الأثر التربوي الأخلاقي للآية:

- حرمة إيذاء الأنبياء والمرسلين، فهم المُصطفين الأخيار، وهم خير خلق الله.
- إن الله يغار على أوليائه إذا انتهكت محارمهم، فهو المنتقم الجبار
- تكفل الله بالدفاع عن الذين آمنوا، ولا يحب كل خوان كفور، فمن كان الله معه فقد كُفي ووُقي.
- أكد الله إزال من يحادد الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]
- معادة أولياء الله من كبائر الذنوب؛ لأن الله جعل ذلك إيذانًا بالحرب، فكل من يعادي أولياء الله، فلينتظر غضب الله ونقمته، بنص الحديث القدسي: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب..)^(١)
- سوء نهايات الظالمين الذين اعتقلوا العلماء والدعاة والمصلحين وساموهم سوء العذاب ظلمًا وبغياً في كل مكان وزمان خير شاهد على انتقام الله منهم في الدنيا قبل الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُرْصِدٌ﴾ [الفجر: ١٤]
- أكرم الناس وأكثرهم وجاهة عند الله أنقاهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٢).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري «كتاب الرقاق» باب التواضع، (٤٣٩/١١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

المطلب الثامن: أمر المؤمنين بتقوى الله والقول السديد وبيان جزاء ذلك.

ينبغي على المسلم أن يتمسك بالأخلاق الإسلامية جميعها دون تفريد أو انتقاء، وأن يتحرى التخلق بكل الفضائل والخصال الحسنة حتى يتطبع بها وتصبح برمجةً ذاتيةً في أفعاله وانعكاساته السلوكية واللفظية، ويكفي أن هذه الآداب والأخلاق إنما هي أوامر ربانية لنا في القرآن، فقد أمرنا الله تعالى بأمرين اثنين في آية واحدة، ووعد على امتثال هذين الأمرين، صلاح العاجل والآجل، وصلاح الأعمال والحال والمآل، والدنيا والآخرة، ومغفرة الذنوب، والفوز العظيم بكل مرغوب؛ هذه الآية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١] ويوجه القرآن المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه. قبل أن يتابعوا المنافقين والمرجفين فيه؛ وقبل أن يستمعوا في نبيهم ومرشدهم ووليهم إلى قول طائش ضال أو مغرض خبيث. ويوجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح^(١)، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وذلك أنه يجار من نار الجحيم، ويصير إلى النعيم المقيم. قال عكرمة: القول السديد لا إله إلا الله، وقال غيره: السديد الصدق، وقال مجاهد: هو السداد، وقال غيره: هو الصواب، والكل حق^(٢)، وقال السعدي -رحمه الله-: "ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، أي: يكون ذلك سبباً لصلاحها، وطريقاً لقبولها؛ لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْقَبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وهكذا فإن تقوى الله في إذا استقرت في الجنان، لا بد وأن تترجم بالقول السديد على اللسان وسلوكاً عملياً بالأركان^(٣)، فتكون ثمرتها إصلاح الأعمال بالقبول والغفران والفوز بالجنان.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٢٨٨١).

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، (ص ٢٠٦١).

(٣) انظر: تفسير السعدي، سورة الأحزاب، (٦/١٤٠٤).

الأثر التربوي الأخلاقي للمطلب:

- التزام تقوى الله مفتاح الخير كله في الدنيا قبل الآخرة وثمراتها نافعة لصاحبها، فمن يتق الله يجعل له من هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه الجواد الكريم من حيث لا يحتسب.
- كف اللسان، ففي حديث معاذ رضي الله عنه الطويل، وفيه: (فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! قَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)(^١).
- تربية النفس والأبناء، والأجيال على فضيلة الكلمة الطيبة والقول السديد.
- صلاح الأعمال مبني على تقوى الله وسداد الأقوال، فقل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم.
- نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاجعل لسانك رطباً بذكر الله تعالى.
- إثارة الصمت: في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي قال: (مَنْ صَمَتَ نَجَا)(^٢).
- الدعاء بتوفيق الله لك بالسداد في القول، فاللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيء الأقوال والأفعال لا يصرف عنا سيئها إلا أنت سبحانه.

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، حديث ٢٦١٦ وصححه الألباني في الإرواء برقم (٤١٣) (٢/ ١٨٣).

(٢) صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم 2874: خلاصة حكم المحدث: الألباني: صحيح.

المطلب التاسع: بيان أمانة التكاليف وأثرها في تصنيف المكلفين.

بعد أن ذكر الله تعالى أهمية التقوى وثمراتها الحميدة، ثم أمر بطاعته واتباع رسوله، وبين أن بعدها فوزاً عظيماً بالجنة، والجنة سلعة الله وهي غالية ولها ثمن وثمرتها القيام بأمانة التكاليف الشرعية التي تحتاج مجاهدة للنفس لمخالفتها هواها، فالطاعات هي الأمانة التي هي التكلف، وهذه الأمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن، ولكن الإنسان بجهله بتبعتها وظلمه لنفسه حمل هذه الأمانة، كما في الآية الكريمة، **﴿قَالَ تَعَالَى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾** **﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٣﴾** [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

قال الماوردي^(١): هذه الآية فيها خمسة أقاويل: أحدها: أن هذه الأمانة هي ما أمر الله سبحانه من طاعته ونهى عن معصيته، قاله أبو العالية. الثاني: أنها القوانين والأحكام التي أوجبها الله على العباد وهو قريب من الأول، قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وابن جبير. الثالث: هي ائتمان الرجال والنساء على الفروج، قاله أبي. الرابع: أنها الأمانات التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليها، قاله السدي. الخامس: أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السماوات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجدها قاله بعض المتكلمين^(٢)، وقال الإمام الألوسي^(٣): **﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾** يحتمل وجهين: أحدهما: أبين أن يحملنها عجزاً وأشفقن منها خوفاً. الثاني: أبين أن يحملنها حذراً وأشفقن منها تقصيراً. **﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾** فيه قولان: أحدهما: جميع

(١) هو الإمام العلامة، أقضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، قال أبو إسحاق في "الطبقات" ومنهم أقضي القضاة الماوردي، تفقه على أبي القاسم الصيمري بالبصرة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظاً للمذهب. هو متهم بالاعتزال، مات ببغداد (من كتاب سير أعلام النبلاء «الطبقة الرابعة والعشرون» الماوردي).

(٢) كتاب النكت والعيون، المشهور بتفسير الماوردي، (٤/ ٤٣٠).

(٣). هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين أبو التواء، مفسر محدث أديب من المجددين، وُلِدَ في بغداد سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م، وعاش بها، ألف الألوسي كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والأدب واللغة، وخلف رحمه الله تعالى ثروة علمية كبيرة ونافعة، بَيَّدَ أَنَّهُ يَأْتِي على رأس هذه المؤلفات كتابه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، توفي سنة ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٤م. (الأعلام للزركلي)

الناس، قاله ثعلب. الثاني: أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده، قاله الحسن. روي عن معمر عن الحسن أن الأمانة لما عرضت على السماوات والأرض والجبال قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقالت: لا. قال مجاهد: فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال: وما هي؟ قال: "إِنْ أَحْسَنْتَ أَجْرُكَ وَإِنْ أَسَأْتَ عَذْبُكَ" قال تحملتها يا رب. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها إلى أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر. ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ظلوماً لنفسه، جهولاً بربه، قاله الحسن. الثاني: ظلوماً في خطيئته، جهولاً فيما حَمَلَ ولده من بعده، قاله الضحاك. الثالث: ظلوماً لحقها، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره، قاله ابن جريج. قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعذبهم بالشرك والنفاق وهو معنى قول مقاتل. الثاني: بخيانتهم الأمانة. قال الحسن: هما اللذان ظلماها، واللذان خاناها: المنافق، والمشرِك ﴿وَيُثَوِّبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي يتجاوز عنه بأداء الأمانة والوفاء بالميثاق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لمن تاب من شركه ﴿رَحِيمًا﴾ بالهداية إلى طاعته^(١).

الآثار التربوية الأخلاقية للمطلب:

- كرم الله الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وجعله في الأرض خليفة؛ تهيئة له لتحمل مشاق الأمانة التي أشفقت السماوات والأرض من حملها.
- سخر الله لهذا الإنسان الكون بأكمله، لخدمته في خلافة الأرض وعمارتها، بعقيدته وأخلاقه
- أعظم مشروع في الكون هو مشروع بناء الإنسان المسلم الذي تتوفر فيه مقومات وصفات تؤهله للقيام بأمانة رسالته وهي إقامة دين الله في الأرض ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾.
- حامل الأمانة وصاحب الرسالة، ينبغي أن تتوفر فيه صفات ومقومات تؤهله لذلك، وأبرزها: (سليم العقيدة _ صحيح العبادة _ متين الخلق _ مثقف الفكر _ قوي الجسم _ مجاهد لنفسه _ محافظ على وقته _ منظم في شؤونه _ نافع لغيره _ قادر على الكسب)^(٢).
- قمة السعادة أن يعيش الإنسان لهدف وقضية ورسالة، ويكون أميناً في القيام بها، وخاصة إن كان فيها إنقاذ وإسعاد للغير، فإن الذي يعيش لنفسه قد يسعد لكنه يعيش صغيراً ويموت

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، (٩٦/٢٢). الأساس في التفسير، سعيد حوى، (٤٤٩٠/٨).

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام الشهيد/حسن البنا، ركن العمل، مقومات الفرد المسلم.

صغيراً أما الذي يعيش لغيره ولأمانة دعوته قد يتعب لكنه يعيش عظيماً ويموت كبيراً،
فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ ماله والفرش الدافئ، والعيش الهادئ والمتاع المريح؟!

الأمانة بشكل عام وبكل معانيها، خلق اشتهر به النبي ﷺ من قبل بعثته؛ لذا وجب الوقوف
على مفهوم خلق الأمانة، وتعريفها لغة واصطلاحاً، وأثرها الدنيوي والأخروي.
الأمانة لغةً: الأمانة: ضد الخيانة^(١)، والأمانة بمعنى: اطمأن ولم يخف^(٢).

ثانياً: الأمانة اصطلاحاً

عرفت الأمانة بأنها رعاية حقوق الله تعالى بتأدية المرء للفرائض والواجبات، وكذلك
المحافظة على حقوق العباد، فلا يطمع الإنسان في وديعة أو تمن عليها، ولا ينكر مالاً أو متاعاً
أمنه الناس عليه^(٣)، وقد اعتبرت الفرائض الواجبة على العباد بأنها أمانة، كصلاة وزكاة وأداء
دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٤)، وجاء معنى الأمانة بأنها: خلق يعف به
الإنسان عما ليس له به حق، ويؤدي ما عليه من الحقوق^(٥). وهي على هذا الأساس تشتمل
ثلاثة عناصر:

- عفة الأمين عما ليس لديه حق في أخذه من الآخرين.
 - تأدية الأمين ما يجب عليه من حقوق لأصحابها.
 - اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق، وعدم التفريط بها.^(٦)
- بين الوحي الإلهي الآثار المترتبة على أداء الأمانة في الدنيا والآخرة، وسوف نبينها فيما يأتي:

أولاً: الآثار الدنيوية لخلق الأمانة:

١. الثقة بالأمين: من أعظم آثار الأمانة الدنيوية أن الأمين يصبح موضع ثقة الناس واحترامهم،
والخائن محط سخطهم وحقدهم؛ ولهذا نجد أن الإسلام قد شدد في الأمانة والعهد؛ ليقم المجتمع

(١) مختار الصحاح، الرازي (ص ٢٦).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٢١/١٣).

(٣) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، الشرباصي (١٥/٢).

(٤) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، (ص ١٨٧).

(٥) انظر: الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني (٦٤٥/١).

(٦) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد فرعوش وآخرون (ص ١٢٢).

على أسسٍ متينةٍ من الخلق، والثقة والطمأنينة، وجعل رعاية الأمانة والعهد سمة النفس المؤمنة، كما جعل خيانة الأمانة، وإخلاف العهد سمة النفس المنافقة والكافرة.

٢. من آثار الأمانة في الدنيا استقامة أحوال المسلمين ما ثبتوا عليها، وتخلقوا بها، فإن ضيعوها، ولم يؤدوها إلى أهلها، فسدت حياتهم، وساءت معاملاتهم، وعاشوا حياة الغدر والغش والخيانة، وعدم الطمأنينة

٣. سعة الرزق ورغد العيش: لا شك أن الصدق والأمانة في المعاملات سبب لحصول الرزق وبركته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق ٢-٣] فرتب على التقوى التي أساسها الصدق وأداء الأمانة في المعاملة التيسير، والخروج من كل ما ضاق على الناس، وفتح أبواب الرزق، وفي الصحيحين عنه أنه ﷺ قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)^(١).

وإنما كان الصدق والبيان وأداء الأمانة في جميع المعاملات سبباً للبركة وتيسير أبواب الرزق.

ثانياً: الآثار الأخروية للأمانة:

من آثار أداء الأمانة الحصول على رحمة الله ومغفرته للأفراد والجماعات، فالعقبي الحميدة، والنهائية الرشيدة لمن يوفي الأمانة حقها، ويرعى لها مكانتها، فمن أدى الأمانة استحق من الله الرحمة والغفران، والثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائناً لله وللرسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونها اتصفت بأخس الصفات، وأقبح السمات وهي الخيانة، مفوتاً لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة.

وقد رتب الله على أداء الأمانات، والقيام بحقوقها أعظم الثواب، فقال: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۖ﴾ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ﴾ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۖ﴾ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٨-١١]، فالأمين بلا

(١) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، (٧٣٢/٢)، رقم ١٩٧٣، ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم 1532

ريب سيجد أثر هذا الخلق النبيل يوم القيامة، وقد جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً)^(١)، فالأمانة تعدل الدنيا وما فيها، فمن رزقه الله الأمانة هانت عنده الدنيا، ومتاعها الزائل، فلا يبيع أمانته بعرض من أعراضها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طهر)^(٢)، كما أن الأمانة سبيل الفلاح، ويبدو ذلك جلياً في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، فقد كان أمة ومثالاً للأمانة والعفاف، ثم كان له بعد ذلك التمكين والفلاح. قَالَ تَمَالَى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]

وفي نهاية مبحث التوجيهات التربوية الأخلاقية لسورة الأحزاب نستطيع أن نخلص _ بشكل عام _ إلى أن ديننا الإسلامي الذي نعتر به ونفتخر، لهو من أبرز مصادير الأخلاق والفضائل والآداب، وهو دينٌ ثابتٌ وثبتاته تثبتُ كُلَّ القيمِ النابعةِ منه، حيث تتسّم الأخلاقُ الإسلاميةُ بِسماتٍ فريدةٍ تتمثّلُ بالخُلود، والصدق، والأمانة، والشُّمول، والتَّكامل، والنَّوْفُقُ العَقْلِي والفِطْرِي؛ نظراً لتقرُّدِ مَصْدَرِهَا بِالْوَحْيِ وَتَشْرِيفِهَا بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ مَبْنِيَّةٌ بِنَاءٍ قَوِيمٍ يَنْتَاسِبُ مَعَ ظُرُوفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَيَتَلَاءَمُ مَعَ تَكْوِينِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَيَسْتَوْعِبُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، فَنِظَامُ الْأَخْلَاقِ فِي الْإِسْلَامِ مُرْتَبِطٌ بِجَوَانِبِ الْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمُعَامَلَاتِ؛ إِذْ تَرِبُّ الْأَدَلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين^(٣)، وفي الحديث: (أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِي)^(٤).

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٨٦)، رقم ١٩٥

(٢) مسند الإمام أحمد، (١١/٢٣٣). رقم ٦٦٥٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٨٧٣.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، فصل منزلة الخلق (٢/٢٩٥).

(٤) الأدب المفرد، البخاري، باب الرفق ٤٦٤

المبحث الرابع

التوجيهات التربوية الجهادية في ضوء سورة الاحزاب

وفيه ستة مطالب:

المطلب الاول: بين ידי غزوة الأحزاب

المطلب الثاني: موقف كل من المؤمنين والمنافقين من الأحزاب.

المطلب الثالث: موقف كل من المشركين واليهود في غزوة الأحزاب.

المطلب الرابع: مواقف جهادية للمؤمنين في ضوء غزوة الأحزاب وبني قريظة.

المطلب الخامس: الغدر والخيانة سجية متأصلة في اليهود في ضوء غزوة الأحزاب

المطلب السادس: الآثار التربوية المستخلصة من غزوة الأحزاب.

المطلب الأول: بين يدي غزوة الأحزاب

إن دراسة السيرة النبوية من أهم ما يجب على المسلم الاعتناء به، لاسيما سيرة رسول الله (ﷺ) مع أصحابه الكرام في الدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله عز وجل.

ومن خلال مدارسة سورة الأحزاب ومعايشتها في المباحث الثلاثة السابقة، فإن غزوة الأحزاب تُعد من أبرز تلك الغزوات التي علمنا فيها الرسول (ﷺ) معاني العبودية، والتوكل والطاعة والانقياد والتسليم واليقين وحسن الظن بالله تعالى والتضحية بكل غالٍ ونفيس، وبذله في سبيل نصره هذا الدين العظيم، وتسمى أيضاً بغزوة الخندق، وهي الغزوة الوحيدة التي تجمعت فيها عناصر الشر والفساد في كل زمان ومكان، في الماضي والحاضر: اليهود، والمشركون، والمنافقون؛ لمحاربة الإسلام، فهي الغزوة الحية النابضة بمعاني الإيمان والثبات على المبدأ والتي قد كشفت آيات القرآن فيها عن سمات وملامح كل طائفة من تلك الطوائف الثلاث التي نراها رأي العين في عالمنا المعاصر، وقد أحاطت بهذا الدين من كل جانب، وانتهت المعركة بنصر مؤزر للمسلمين، واندحار الكفار والمنافقين.

غزوة الأحزاب: تُعد السنة الخامسة للهجرة سنة فاصلة لها ما بعدها في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث تميزت بعدة أحداث مركزية^(١) منها:

١. غزوة الأحزاب (الخندق): في شهر شوال
٢. غزوة بني قريظة: ذو القعدة
٣. زواج النبي (ﷺ) من زينب بنت جحش وتحريم التبني.

وفي هذا المبحث سيكون التركيز على الجانب الجهادي العسكري في ضوء سورة الأحزاب من خلال غزوتي الأحزاب وبني قريظة ومواقف المؤمنين بقيادة النبي (ﷺ) وموقف كل من اليهود ومشركي العرب والمنافقين من وصف السورة لكل منهم.

اسمها: سبق وأن تحدثنا في الفصل التمهيدي عن سبب تسمية السورة نفسها بسورة الأحزاب، وهو نفس سبب تسمية غزوة الأحزاب بهذا الاسم، حيث تحزب المشركون من قريش وغطفان وبعض العرب واليهود في المدينة وخاصة بني قريظة، واجتمعوا لغزو المسلمين في

(١) انظر: الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، وحيد بالي، السنة الخامسة للهجرة، (ص ٤٢).

المدينة، وسميت أيضًا بغزوة الخندق؛ نسبة لرأي الصحابي الجليل سلمان الفارسي _ رضي الله عنه _ بحفر خندق حول المدينة في الغزوة^(١).

الحكمة من تسميتها:

لقد رد الله كيد الأحزاب، وكفى الله المؤمنين القتال في غزوة الأحزاب، ذكر الله سبحانه وتعالى تفاصيل هذه الغزوة وقصتها في سورة سميت بسورة الأحزاب، ولما كانت غزوة الأحزاب حدًا فاصلاً لمرحلة جديدة، أعلن فيها النبي ﷺ أنه لن يأتي أحد بعد هذه الغزوة ليغزو المسلمين، بل على العكس، هم الذين سيقومون بغزو أعدائهم، حيث روي عن سليمان بن صرد، قال: قال ﷺ يوم الأحزاب: (نغزوهم، ولا يغزوننا)^(٢)، ونصر الله سبحانه المسلمين وأيدهم بجنوده من الملائكة الكرام، والريح، والخندق، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فكانت غزوة الأحزاب معجزة لرسول الله ﷺ؛ لذلك سميت سورة باسمها تأييدًا للنبي ﷺ وتخليدًا لهذه الغزوة، وبيانًا لأحداثها، ولما فيها من دروس وعبر للمؤمنين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن الكريم^(٣).

زمان الغزوة ومكانها: زمانها: ذهب جمهور أهل السير والمغازي على أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة من الهجرة، وذهب إلى هذا القول ابن سعد، وابن إسحاق، والواقدي، والطبري، وابن كثير^(٤)، وغيرهم... وهو القول الراجح، وهو رأي الجمهور، وهذا ما رجحه ابن القيم في كتابه زاد المعاد، وأما مكانها: فحدثت غزوة الأحزاب على مشارف المدينة المنورة، وقد حفر المسلمون الخندق، وتحصنوا في المدينة للدفاع عنها، وكان حفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي على النبي ﷺ، وقد تجمعت جيوش الأحزاب حول المدينة، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع استعدادًا للقاء الأعداء والخندق بينهم^(٥).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٥/٢١).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، رقم ٤١٠٩، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، مجموعة مؤلفين (٦٣/٦ - ٦٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٠/٢)، المغازي، الواقدي (٤٤٠/٢)، تاريخ الأمم والملوك، الطبري

(٥٦٤/٢)، السيرة النبوية، ابن كثير (١٨١/٣).

(٥) انظر: غزوات النبي ﷺ، السيد الجميلي، (٧٦/١)، الرسول القائد، محمود شيت خطاب، (٢٢٨/١).

انطلاق شرارة القتال: تولى قيادة جموع الأحزاب أبو سفيان، وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل، بينما كان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف فقط، وخرجت يهود بني النضير معهم، كما نقضت بنو قريظة العهد، وجاء الأحزاب من حذب وصوب، ففوجئوا بالخذق، وما كان أمامهم إلا أن يربطوا أمامه، وأصبحت المدينة واقعة تحت حصار جموع الأحزاب^(١)، ولقد تحدث القرآن الكريم عن خروج الأحزاب وحصارهم المسلمين، ووصف الحالة التي أصابت المسلمين من فزع وجزع وخوف في تلك المحنة الرهيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١-٩]. تشير الآيات إلى خروج قوات الأحزاب ومحاصرتهم المدينة، فجاءت جنود الأحزاب من قريش وغطفان وبني النضير وغيرهم، ونكر (جنود) لتفيد الكثرة، حيث جاؤوهم إلى المدينة من فوقهم أي: من فوق الوادي من قبل المشرق، ومن أسفل منهم أي: من بطن الوادي من قبل المغرب، فحاصرت الأحزاب المسلمين، حتى أصاب المسلمين الخوف والرعب، وتتنوعت الظنون، وكثرت الهواجس، ووصفت الآيات حالهم بتصوير بديع للهلول الذي أصابهم، بأن زاغت الأبصار أي: عدلت عن مقرها وشخصت، وزالت القلوب عن أماكنها، حتى بلغت الحناجر والحلقوم من شدة الخوف والفرع، فمن المعلوم أن من خاف وجبن تنتفخ رثته فيرفع القلب إلى الحجرة، فزلزلوا واضطربت قلوبهم، وبلغوا غاية الضيق والشدة، وهذا ابتلاء واختبار من الله للمسلمين ولإيمانهم، وتمحيص للقوم؛ ليميز الله المؤمن من المنافق، وراسخ الإيمان من المتزلزل^(٢).

ويصور المشهد صاحب الظلال الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبقت عليها أحزاب الكفر من مشركي العرب ويهود الغدر من بني قريظة من كل جانب، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظننها بالله، وسلوكها في الشدة، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً، والتمحيص والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه^(٣)، وعلل الإمام الرازي

(١) انظر: الطبقات، ابن سعد، (٥١/٢)، السيرة النبوية، ابن هشام، (٢١٥/٢).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢١٤/٢٠)، لباب التأويل، الخازن، (٤١٦/٣)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٩٣/٧)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، (١٤٧/٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٣٧/٥).

هذا الابتلاء بأنه لحكمة أخرى، وهي إقامة الحجة عليهم، فإن الله تعالى عالمٌ بما في قلوبهم؛ لكنه سبحانه أراد إظهار أمرهم للملائكة والأنبياء، كما أن السيدَ ولله المثل الأعلى_ إذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته، فيأمره بأمر عالمًا بأنه يخالفه، فيبين الأمر عند الغير وأشدهم عليه، فتقع المعاقبة على أحسن الوجوه، وأعدلها^(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١٦١/٢٥).

المطلب الثاني: موقف كل من المؤمنين والمنافقين من الأحزاب:

أولاً: موقف المؤمنين وثناء القرآن عليهم في الأحزاب:

لقد كان موقف المؤمنين مشرفاً، وكان ظنهم بالله قوياً، حيث بين الله سبحانه وتعالى موقف المؤمنين حين لقاء الأحزاب: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾﴾** [الأحزاب: ٢٢] أي: وحين رأى المؤمنون وعابنوا جموع الأحزاب والكفار قد قدموا لمواجهة المدينة، ومحاربة الإسلام، لم يهنوا، بل قالوا على سبيل التسليم لأمر الله تعالى، والتصديق بوعده فقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب^(١)، فمن يثبت ويصبر حين الابتلاء ينال نصر الله، هذا وعد الله للمؤمنين في كل زمان ومكان، فإن الإيمان العميق والتربية النبوية جعلت المؤمنين يصمدون أمام الأخطار، فازدادوا إيماناً، وأيقنوا أن نصر الله لا بد أن يكون، فاستحقوا شهادة الله لهم بصدق إيمانهم، قال الطبري: الذي وعدهم بقوله تعالى: **﴿أَمْرٌ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾﴾** [البقرة: ٢١٤]، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيماناً بالله وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء^(٢)، وهذا شأن المؤمن دائماً أن يزداد إيماناً مع كل آية من آيات الله تعالى، وأن يصدق بما وعد الله عباده المؤمنين، ويسلم لأمره وقضائه.

هكذا بين لنا القرآن موقف المؤمنين حين مواجهة عدوهم، ورسم لنا صورتهم الوضيئة في وسط الظلام، مطمئنة في وسط الزلزال، واثقة بالله، فكانوا نموذجاً عملياً فريداً في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير؛ فعلى ألا نياس من أنفسنا ومن ضعف أمتنا؛ لننهض من الكبوة التي تمر بها الأمة اليوم، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر، فنثبت ونستقر؛ حتى نحقق إما النصر والعزة والرفعة^(٣)، وإما الشهادة في سبيل الله تعالى، وهما الحسنيان.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٣٦/٢٠)، التفسير المنير، الزحيلي، (٢٦٠/٢١)، حديث القرآن عن

غزوات الرسول، محمد بن بكر آل عابد، (٤٨٧/٢).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (٢٣٦/٢٠).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٤١/٥ - ٢٨٤٤).

ثناء القرآن على المؤمنين في الغزوة: لقد أتى القرآن الكريم على المؤمنين في غزوة الأحزاب، ووصفهم بالرجولة، ومدحهم مدحاً عظيماً، فهم مؤمنون حقاً، صادقون مع الله، ومع أنفسهم، استحقوا الثناء، فكانوا قدوة للمؤمنين في كل مكان وزمان. قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، يرسم لنا القرآن صورة مشرقة لهؤلاء الرجال المؤمنين الصادقين، الذين أوفوا بالعهود، وصبروا على البأساء والضراء، فمنهم من نذر نفسه لله فاستشهد في سبيله كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، ومنهم من ينتظر إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة، فهؤلاء كاملو الإيمان، لم يغيروا عهدهم مع الله ولم يبدلوه كغيرهم من المنافقين الذين ينقضون العهود، والله سيثيب أهل الصدق بصدقهم ووفائهم لله بما عاهدوا، وسيعذب المنافقين بكفرهم ونفاقهم، إن شاء أو يتوب عليهم فيهديهم للإيمان والتوبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ٣١ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤] ^(١) فدل حرف الجر من على التبعض، أي: بعض المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهم أناس قد كملت رجولتهم، وسلمت لهم إنسانيتهم، فكانوا رجالاً حقاً، لم ينتقص من إنسانيتهم شيء، فالكفر والشرك والنفاق وضعف الإيمان، كلها أمراض خبيثة تغتال إنسانية الإنسان، وتفقده معنى الرجولة فيه، فالرجل الحقيقي هو من تحرر عقله من الضلال، وصفت روحه من الكدر، وسلم قلبه من الزيف، ثم لا عليه بعد هذا ألا يمسك بيده شيئاً من جمال الصورة، أو وفرة المال، أو قوة السلطان، ففي تنكير كلمة (رجال) معنى التفخيم، والتعظيم والتكريم لهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾: إشارة إلى أن إيمانهم بالله، وبقينهم بلفائه لم يزايل مكانه من قلوبهم لحظة، ولم ينحرف عن موضعه أي انحراف، وأما الذين بدلوا، ونافقوا، فهؤلاء إما أن يعذبهم الله، إذا هم مضوا على نفاقهم، ولم تدركهم رحمة الله، فتخرجهم من هذا النفاق، وتعيدهم إلى الإيمان، وإما أن تتألمهم رحمة الله، فيتوبوا من قريب، ويدخلوا مع المؤمنين الصادقين ^(٢)، فهذه الصورة الوضيئة لهذا النموذج من المؤمنين تذكر هنا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٠/٢٤١)، أنوار التنزيل، البضاوي، (٤/٢٢٩)، التفسير الموضوعي لسور

القرآن، مجموعة مؤلفين، (٦/٩٨).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١١/٦٨٠).

تكملة لصورة الإيمان الوضيئة المشرفة، في مقابل صورة النفاق المخزية، والضعف ونقض العهد من ذلك الفريق؛ لتتم المقابلة في معرض التربية بالأحداث وبالقرآن^(١).

الآثار التربوية لموقف المؤمنين في المطلب الثاني:

- 1_ حسن الظن بالله شيمة أصيلة من شيم المؤمنين المجاهدين.
- 2_ التربية الإيمانية والجهادية ليست نظريات فقط؛ إذ أنها تترجم عملياً يوم المحن والابتلاءات.
- 3_ فهم المؤمن لطبيعة طريق الدعوة مهم في استعداده للتمحيص والاختبار، ودفع الضريبة.
- 4_ الثقة في وعد الله بنصر دينه وجنده رأس مال المجاهد في سبيل الله وبدونها يخسر الجولة.
- 5_ الرجولة في القرآن هي ثمرة إيمانية فكل رجل مؤمن وليس العكس، من المؤمنين رجال أي: بعضهم، وهي ليست جنسية من حيث الذكورة والأنوثة! وشتان بين المفهومين.
- 6_ لا دعوة بدون جهاد، و لا جهاد بغير تضحيات، ولا تضحيات إلا بالتربية الصحيحة والفهم القويم لهذا الدين وطبيعته لأن سلعة الله غالية.
- 7_ وصف القرآن للرجال بأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يبين صورة الوفاء للمؤمنين ويفضح صورة المنافقين واليهود الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.
- 8_ استحضار اسم الله الشكور في مدحه وثنائه على المؤمنين المجاهدين في غزوة الأحزاب؛ ليقتيدي بهم المجاهدون وينالوا رضا الله وقبوله أيضاً، فرضي الله عنهم أجمعين.

ثانياً: موقف المنافقين وفضح القرآن لحقيقتهم في الغزوة:

لقد فضح القرآن الكريم موقف المنافقين في غزوة الأحزاب، حيث كشفت الآيات صفاتهم ومواقفهم المخزية، وما تولد عن نفاقهم من جُبْنٍ في القلوب وتخاذل في الميدان، وانعدام ثقة بالله تعالى وبرسوله ﷺ، وفرار من الموت لضعف اعتقادهم، وتشبيط الآخرين لترك مواقعهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُيِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۚ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبَرَ ۚ

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٤٤/٥).

وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ [الأحزاب: ١٢-٢٠].

تفصل الآيات موقف المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر، فهم أصحاب قلوب مريضة وملينة بالشبهات والشهوات، وتبين مقاتلتهم الشنيعة (إلا غروراً) أي: ما وعدنا الله إلا باطلاً من القول وخداعاً، ففي هذه المقولة تشكيك في وعد الله، واتهام للنبي ﷺ بالخداع، وبيان كفرهم بإنكارهم وعد الله الصادق فيما وعدهم من النصر^(١).

فالمنافقون لم يكن لهم دافع للقتال لعدم إيمانهم، فمنهم من بدأ يشبط المؤمنين، ويطلب منهم الرجوع إلى المدينة، وقسم آخر يستأذن من النبي ﷺ للرجوع إلى المدينة، ويسوق أعداءً واهية وكاذبة بادعاء أن بيوتهم عورة أي: مكشوفة على الأعداء، وقد نفى القرآن أن يكون كلامهم صحيحاً فقال: وبين أن هدفهم هو سوق العذر أيًا كان بهدف الفرار من المعركة، وترك المسلمين في أشد الظروف وأحوجها^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]، وتقيد هذه الآية بأن موقف المنافقين كان سلبياً، بل كانوا مرجفين، فهم بدلاً من المساعدة قاموا بأشد مما قام به الأحزاب، حيث انسحبوا في أحلك الأوقات ناشرين الأراجيف في الجيش الإسلامي

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، (١١/١٥٦).

(٢) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (٢١/١٤١).

بأن لا مقام لهم، وأن بيوتهم مكشوفة، ومعروف أن الأراجيف لها أثر كبير في هزيمة الجيوش، وهي أشد من وقع السيوف؛ وذلك لأنها تهبط الحالة المعنوية للجيش فيصيبه الخور والضعف^(١)

وتستمر الآيات في كشف وفضح المنافقين، وبيان صفاتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٤] ففي الآية تأكيد على أن المنافقين لا يحملون عقيدة في قلوبهم ولا مبدأ في نفوسهم، فلو دخل عليهم الأعداء من كل جانب وقطر من أقطار المدينة التي يقيمون فيها، ثم سئلوا الفتنة دون إكراه، وهي الدخول في الكفر، لما ترددوا ولكفروا سريعاً، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، بهذا المعنى فسرها قتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وابن جرير، وهذا ذم لهم في غاية الذم^(٢)، وهذا دليل واضح على ضعف الإيمان في نفوسهم، فلا عجب من تراجعهم وتسلبهم من المعركة، فهذه سمة المترددين الجبناء الذين اعتادوا على الهرب من مواقف الصمود^(٣)، وهكذا المنافقون سريعو الغدر والارتداد عن الدين، وتركهم للمسلمين بدون تردد، فغدرهم ونقضهم للعهد من صفاتهم المتأصلة؛ لذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

فهم كانوا قد عاهدوا الله قبل المعركة ألا يهربوا منها، إلا أنهم خانوا العهد، وسيسألهم الله عن ذلك، وقد ذكر الطبري أن المقصود فعل بني حارثة في الخندق بعد أن هربوا يوم أحد، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا، وقد عادوا^(٤).

ثم يقرر القرآن الكريم أن الأجل معلوم، ولا أحد يستطيع أن يعصم أحداً أو يمنعه من وقوع قضاء الله عليه، حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦، ١٧]، ففي هذه الآيات أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول للمنافقين بأن فرارهم من القتال لن يؤخر آجالهم، ولن يطيل في أعمارهم، ولن ينجيهم من الموت، وإن توهّموا أنهم نجوا مؤقتاً فسيأتيهم أجل الله، ولا أحد

(١) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، محمد بن بكر آل عابد، (٤٦٧/٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٩٠/٦).

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٦٩/٢٩).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٢٨/٢٠).

يستطيع أن يمنع عنهم قدر الله، فقدره لا بد آت، فمن الذي يمنعهم من الله إن أراد لهم سوءاً في أنفسهم -أي: شرّاً وهزيمة- أو عافية وسلامة ونصراً؟ فهذه دعوة لهم ليمتثلوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته، وليّ ولا ناصر^(١).

ويقرر الله سبحانه وتعالى أنه عليم بالمرجفين من المنافقين وبأفعالهم وصفاتهم القبيحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، فالحق تعالى يعلم المثبطين للمؤمنين عن القتال في سبيل الله، والقائلين لإخوانهم اتركوا ساحة القتال والتحقوا بنا في المدينة^(٢)، فهؤلاء قوم من المنافقين كان دورهم تثبيط وتعويق أنصار النبي ﷺ، ويقولون لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحمًا لالتقمهم أبو سفيان وحزبه، من شدة ضعفهم، فخلوهم وتعالوا إلينا^(٣)، وهؤلاء لا يأتون البأس إلا قليلاً أي: لا يشهدون القتال إن شهدوا إلا تعذيراً ودفعاً عن أنفسهم^(٤).

لم يكتفِ المنافقون بخيبتهم وفضيحتهم بالانسحاب والفرار من المعركة، بل قاموا بالتثبيط والإرجاف في الجيش، والدعوة للتمرد والانسحاب عن الجبهة القتالية، وخذلان النبي ﷺ وتركه وحده^(٥).

وتتابع الآيات بيان صفاتهم القبيحة عند الخوف والأمن، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩]، فهذا وصف خالقهم سبحانه وتعالى لهم بأنهم أشحة، والشح: البخل بما في الوسع مما ينفع الغير، ويستعمل مجازاً في منع المقدور من

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٦٦٠).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، (١٩/١١٩٦٨).

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣١٠).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٠/٢٣٠).

(٥) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، محمد بن بكر آل عابد، (٢/٤٨٦).

النصر أو الإعانة، والمعنى: يمنعونكم ما في وسعهم من المال أو المعونة، أي: إذا حضروا البأس منعوا فائدتهم عن المسلمين ما استطاعوا، ومن ذلك شحهم بأنفسهم وكل ما يشح به^(١).

وقد بين القرطبي عدة معانٍ مقصودة من صفة الشح على المؤمنين، ذكرت عند السلف، وهي: البخل في حفر الخندق، وفي النفقة في سبيل الله، وبالقتال معهم، وبالصدقة على فقرائهم ومساكينهم، وبالغنائم إذا أصابوا^(٢)، فقد وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بالجبين والشح، بكل ما تحتمله هذه الصفة الذميمة من معاني، ولم يخص وصفهم بمعنى دون معنى من الشح، فهم: أشحة على المؤمنين بالغنime والخير والنفقة في سبيل الله، وأيضاً على أهل مسكنة المسلمين^(٣).

والصفة الأخرى للمنافقين التي بينتها الآية السابقة وهي الجبن الشديد عند رؤية الأعداء، فهم من خوفهم الشديد من القتال، وجبنهم الذي خلع قلوبهم، إذا أقبل العدو يصيبهم الهلع، فينظرون إلى الرسول ﷺ وتدور أعينهم من الخوف يميناً وشمالاً، كدوران عين الذي يغشى عليه من سكرات الموت حذراً وخوراً ولواذاً، وإذا ما انتهى القتال وذهب عنهم الخوف عادوا من جديد لإيذاء المؤمنين، وخاصموهم بكلام مستكره، وألسنة سليطة، بكلام حديد، ودعاوى باطلة غير صحيحة^(٤).

فهم يتقدمون في المغامر ويتخلفون في المغارم، فيبسطوا ألسنتهم فيكم في وقت الغنime، يقولون: أعطنا، فإننا قد شهدنا معكم القتال وشاركناكم التضحية، ووقت البأس هم أجبن قوم وأخوفهم.

فهم أشحة على الخير أي: هم بخلاء حريصون على مال الغنائم إذا ظفر المؤمنون، فيشاحون المؤمنين على الغنime ويطلبون منها^(٥)، فإذا حسمت المعركة وزال الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة، اجتروا عليكم وضربوكم بألسنتهم الحداد وقالوا: وفروا قسمتنا فنحن شركاؤكم في القتال، ولولانا ما غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه^(٦)، ولأن المنافقين لم يؤمنوا، وأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، أبطل الله أعمالهم وأحبطها، وهذا الأمر سهل هين على الله^(٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٢٩٦/٢١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٥٣/١٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٣١/٢٠).

(٤) انظر: الكشف، الزمخشري، (٥٣٠/٣)، روح المعاني، الألوسي، (١٦٢/١١).

(٥) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٤١٨/٣، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، (١٤٨/٢).

(٦) انظر: الكشف، الزمخشري، (٥٣٠/٣).

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٦٠).

ومما وصف القرآن به المنافقين أنهم من شدة الخوف والجبن يحسبون الأحزاب لم يذهبوا
لقتال المؤمنين، ويتمنوا أنه إذا أتى الأحزاب مرة أخرى وحاصروا المدينة أن يكونوا حينها قد
خرجوا إلى البادية مع الأعراب وليسوا في المدينة خوفاً من المواجهة والقتل، فلا ينالهم
أذى، ويتمنون أن يسمعو خبر هلاككم، ولو كانوا في المعركة ما قاتلوا معكم إلا قليلاً بما لا
وزن له، لأنهم لا يقاتلون حسبة ولا رجاء ثواب قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] هذه هي صفات المنافقين، فالمنافق مريض القلب
والنفس، يظن بالله ورسوله ظن السوء، ولا يقاتل عن عقيدة، فينتهز أي فرصة للهروب من
أي مهمة صعبة، وللتوصل من الواجبات، بل وتثبيط الآخرين، ويتصف بالشح وعدم حب الخير
للآخرين، وخيانة العهد^(١).

ومن روعة القرآن وإعجازه أن هذه الصفات التي ذكرها الله الخالق العليم سبحانه عن
المنافقين في الأحزاب تنطبق على منافقي اليوم، بل منافقي كل زمان ومكان، فهم نموذج مكرر
في الأجيال والجماعات على مدار الزمان^(٢)، فلنتعرف على صفاتهم لنحذر منها ونعرف عدونا،
فالآيات الكريمة كشفت صفاتهم لتحذر منهم في كل زمان ومكان لنأمن مكرهم وخذلانهم.

وفي هذا المقام، يقول صاحب الظلال: «وبهذا الخط ينتهي رسم الصورة، صورة ذلك
النموذج الذي كان عائشاً في الجماعة الإسلامية الناشئة في المدينة، والذي ما يزال يتكرر
في كل جيل وكل قبيل، بنفس الملامح، وذات السمات ينتهي رسم الصورة وقد تركت في
النفوس الاحتقار لهذا النموذج، والسخرية منه، والابتعاد عنه، وهوانه على الله وعلى الناس، ذلك
كان حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في الصفوف، وتلك كانت صورتهم
الردئية^(٣).

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، مجموعة مؤلفين (٩٢/٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٣٨/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٨٤١/٥).

الآثار التربوية المستنبطة^(١) من موقف المنافقين في المطلب الثاني:

١. المنافقون فئة لا يخلوا منها زمان ولا مكان، تتعدد الأسماء والأشكال والمرض واحد.
٢. وصفهم الله الذي خلقهم بأن مرضى قلوب ونفوس "في قلوبهم مرض".
٣. المنافقون هم الطابور الخامس ومشهور عنهم بأنهم جبناء في القتال والمواجهة، تدور أعينهم يمناً ويسرة من هول المواجهة العسكرية.
٤. المنافقون لا يقاتلون عن عقيدة، بل يقدمون حساباتهم ومصالحهم الشخصية؛ وهذا سر انسحابهم وهروبهم من أدنى خطر قد يصيبهم، أو يمس مصالحهم.
٥. يتقدم المنافق في المغنم ويتقهقر في المغارم، ولا اعتبار عند للمصالح العليا إلا في شعاراتهم الكاذبة، وأباطيلهم المخادعة.
٦. من أبرز صفات المنافقين في كل زمان ومكان: سوء الظن بالله، الشح، الخيانة، الغدر، تقديم مصلحته الشخصية، إثارة الفتن والشائعات.
٧. موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين بدليل: تحزبهم مع اليهود في غزوة الأحزاب، والتطبيع والتنسيق الأمني معهم أيضاً في هذه الأيام، وبشكل معلن.
٨. ما أشبه اليوم بالبارحة، وانظر حولك في واقع الأنظمة العربية اليوم وهم يطعنون المسلمين عامة وفلسطين خاصة بما فيها الأقصى والأسرى واللاجئين في ظهورهم بخنجر مسموم اسمه التطبيع.
٩. يتوجب على المصلحين والمجاهدين في سبيل الله في واقعنا:
 - أ. تربية صفوفهم على المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل الشمولي المتوازن المتدرج.
 - ب. توعية الصف المجاهد بمخاطر ومظاهر النفاق والمنافقين، وتنفيرهم من صفات النفاق ومآلها في الدنيا والآخرة.
 - ت. معالجة صفوفهم أولاً ممن تظهر عليهم أعراض مرض النفاق؛ منعاً لانتشاره بينهم.
 - ث. تحصين الصف بالتحري الأمني الدقيق وتطهيره من اختراق المنافقين لصفوفهم.
 - ج. اتخاذ العقوبات اللازمة بحق المثبطين ومثيري الشائعات المغرضة في المواجهات العسكرية؛ حتى يشرد بهم من خلفهم.

(١) الآثار التربوية في الرسالة عموماً هي من استنباط الباحث واستقرائه ومعايشته للسورة وأحداثها، دون اقتباس من أي مصدر

المطلب الثالث: موقف كل من المشركين واليهود في غزوة الأحزاب.

قَالَ تَمَالَى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، لقد نصر الله المؤمنين وأعزهم، ورد الكافرين من قريش وغطفان واليهود بكل قبائلهم في المدينة الذين غدروا وخانوا ونقضوا عهودهم مع الرسول ﷺ، فحق عليهم العذاب في الدنيا؛ فمنهم من هُجِرُوا وأخرجوا من ديارهم، ومنهم من قُتِلُوا وسُبِّيت نساؤهم وذرايرهم. والأحزاب جميعاً، ردهم خائبين خاسرين بكربهم وغمهم وغيظهم، لم يشفوا صدراً ولم يحققوا أمراً، فلم ينالوا ما كانوا يأملونه من الظفر على المؤمنين، أو أي خير من غنيمة أو أسر أو نصر، وكفى الله المؤمنين القتال؛ بأن أرسل على الأحزاب الريح والملائكة، "والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم وشأنهم^(١)، وفيها قال النبي ﷺ: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور^(٢)) فتفرقت جموعهم، وتشتت شملهم، وأوقع الرعب في نفوس الأحزاب، وثبت قلوب المؤمنين على الحق حتى جاءهم النصر من عند الله العزيز الحكيم.

(وكفى الله المؤمنين القتال) أي: لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعز جنده^(٣)، وقد روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان يقول: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده^(٤))،

وهنا يجب أن تعلق صيحات التعظيم والتكبير: الله أكبر ولله الحمد والفضل والمنة، الله أكبر وأعظم به من جهاد فيه نصر واستشهاد، الله أكبر وأعظم بها من غزوة، سلاحها الفتاك هو الريح والملائكة والرب، فمن كان معه الله سخر له ما يشاء من جنوده التي لا يعلمها إلا هو سبحانه، نصر الله المؤمنين بالرغم من إتيان الأعداء من كل الجهات فحاصروا المدينة المنورة حصاراً شديداً، أتى النصر من الله البصير بأعمال المؤمنين الصادقين في نصرته دينه، وذلك بعد أن اشتد الامتحان وعظم، فزاغت الأبصار واضطربت القلوب وبلغت الحناجر من الهول،

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/٢٧٧).

(٢) صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا، حديث رقم ١٠٠١

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٣٩٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو، حديث ٢٩١٨

وظن المؤمنون أنهم ممتحنون فخافوا من الزل، وظن المنافقون أن المسلمين سيستأصلون، ولكن خابت ظنون المنافقين ونصر الله عباده المتقين. واختبر المؤمنون اختباراً عظيماً، واضطربوا اضطراباً شديداً من هول الموقف، وبسبب خيانة المنافقين واليهود وهجوم الكافرين عليهم، إلا أنهم كانوا متيقنين بنصر الله سبحانه وتعالى، فحقق الله لهم وعده، ونصرهم على الأحزاب.

إن القرآن الكريم ومن خلال آيات غزوة الأحزاب، يرسخ في القلوب والنفوس الاعتقاد الصحيح، والتصور السليم، بأن النصر كله بيد الله، وأن الله ينصر عباده المؤمنين المجاهدين المخلصين، فالمسلمون اليوم مطالبون بترسيخ هذه المفاهيم الصحيحة، والارتكاز إلى الإيمان الصادق، وأن يستمدوا العون من الله سبحانه وتعالى، وأن يردوا أمرهم كله لله؛ فهو نعم المولى ونعم النصير.

وإن من أهم نتائج الغزوة والآثار المترتبة على نصر المؤمنين وفشل الأحزاب، بأن كانت الغزوة بمنزلة حد فاصل لمرحلة جديدة، تمثلت في تغير ميزان القوى لصالح المسلمين، وانتقال الموقف من الدفاع إلى الهجوم، كما في حديث سليمان بن صرد: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: (الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ. الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ)^(١)، وهذا يعكس التغير الجذري في سياسة الدولة الإسلامية من اتباع سياسة الدفاع عن المدينة، إلى مرحلة الهجوم والتهديد، وذلك يشير بوضوح إلى أن مناطق الصراع قد انتقلت في أعقاب هذه الغزوة إلى مناطق أخرى مثل مكة وما حولها، وتبوك، وغيرهما بعيدا عن المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية.

الآثار التربوية للمطلب الثالث:

١. مآل كل من يحاد الله ورسوله ودينه والمؤمنين والمجاهدين من اليهود والكافرين وأذنابهم إلى زوال وخذلان، وخسران في الدنيا وفي الآخرة.
٢. الكفر والنفاق أمراض فتاكة، وهي سموم قاتلة للقلوب، وبها يلقي الله الرعب في مواجهة هؤلاء للمجاهدين الذين يحملون صلابة التوحيد في قلوبهم، وبها يرهبون به عدو الله وعدوهم. ٣_ ملة الكفر واحدة وإن اختلف الزمان والمكان والاسم والرسم، فطباعهم وخبث طبيعتهم وفساد عقيدتهم وأمراض قلوبهم وتحزيبهم ضد الإسلام والمسلمين، فغزوة الخندق لم تضع أوزارها حتى اليوم بين المجاهدين والصهاينة وأذنابهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم: ٣٩١٢

المطلب الرابع: مواقف جهادية للمؤمنين في ضوء غزوة الأحزاب وبني قريظة.

أولاً: مفهوم الجهاد: المعنى اللغوي: الطّاقة والمشقة^(١)، قال ابن الأثير: هو بالفتح، المشقة، وبالضم الوسع والطاقة، وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة^(٢)، والجهاد اصطلاحاً: يدور تعريف الجهاد عند أغلب العلماء حول قتال الكفار، فقد عرفه العلماء بقولهم: هو بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى. وهو ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس^(٣).

فالجهاد بمعنى عام، يشمل الدّين كله؛ حيث تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها ونواحيها، قال ابن تيمية: «الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان»^(٤)، وله كذلك معنى خاص ذكره الكفوي حيث قال: «الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق، والقتال مع من لا يقبله»^(٥)، فالجهاد يحول دون فساد الأوضاع ووصول الأشرار والفاستدين إلى السلطة والحكم.

وعليه، فالمعنى الاصطلاحي خص ببذل الجهد في قتال الكفار ودعوتهم؛ لإعلاء كلمة الله، بينما المعنى اللغوي أعم، وفي الاستعمال القرآني: وردت مادة (جهد) في القرآن (٤١) مرة، والمتعلق منها بالجهاد (٣٥) مرة^(٦).

ثانياً: مصطلحات ذات صلة بمصطلح الجهاد: القتال، الغزو، النفير، الحرب

١. القتال: القتال لغة: من قاتل فلان فلاناً، وقاتله مقاتلة وقتالاً، وهو بمعنى المحاربة والمقاتلة، ولا يكون إلا بين اثنين^(٧)، والقتال اصطلاحاً: القتال صيغة مبالغة من القتل، والمقاتلة هي القتال ولا يكون إلا بين اثنين^(٨).

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ٢٧٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٨٦/١)، لسان العرب، ابن منظور (١٣٣/٣).

(٣) انظر: المفردات، الأصفهاني، (ص ١٠١) التوقيف، المناوي، (ص ١٣٣) الجهاد في سبيل الله، القحطاني، (ص ٥).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (١٨٢/٥).

(٥) انظر: الكليات، الكفوي، (ص ٣٥٤).

(٦) انظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، (ص ٤٠٦-٤٠٧).

(٧) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، (٦٢/٩).

(٨) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥٤٩/١١).

الجهاد أوسع من القتال، فالقتال نوع من أنواع الجهاد، والقتال يكون بين اثنين.

٢. **الغزو:** الغزو لغة: القصد، والغزو: السير إلى قتال العدو، يقال: غزا يغزو غزواً فهو غاز، وجمعه غزاة^(١).

والغزو اصطلاحاً: عرفه الأصفهاني: «الغزو: الخروج إلى محاربة العدو»^(٢).

الغزو: إنما يكون في بلاد العدو، والجهاد: مطلق، فكل غاز مجاهد، دون العكس، وقيل: إن الغزو ما كان الغرض الأصلي فيه الغنيمة، وتحصيل المال - وإن استلزم ذلك الحرب والمقاتلة، والجهاد: ما كان الغرض فيه المحاربة لقهـر العدو - وإن استلزم ذلك تحصيل الغنائم والفوائد^(٣).

٣. **النفير:** النفير لغة: ينفر نفرًا ونفورًا، ويوم النفر والنفير والنفور: يوم نفور الناس من منى، يقال: نفر إلى الحرب، إذا خرج لها، ومضى لقتال العدو، ومنه أيضًا (الاستنفار): وهو حث القوم على النفر إلى الحرب، أو أن ينفروا منها، والنفير: القوم النافرون لحرب أو غيرها^(٤).

النفير اصطلاحاً: قال الأصفهاني: «والاستنفار حث القوم على النفر إلى الحرب»^(٥).

النفر نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، وهو الخروج لقتال الأعداء اعلاءً لكلمة الله تعالى.

٤. **الحرب:** الحرب لغة: نقيض السلم، ورجل محرب أي شجاع، وفلان حرب فلان أي يحاربه، وحربته تحريباً أي حرّشته على إنسان فأولع به وبعداوته^(٦)، والحرب اصطلاحاً: قال المناوي: «دفع بشدة عن اتساع المدافع بما يطلب منه الخروج فلا يسمح به ويدافع عنه بأشد مستطاع»^(٧).

ثالثاً: وصف عام للغزوة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، ففي هذه الآية

(١) انظر: المصدر السابق (١٥/١٢٣).

(٢) انظر: المفردات، الأصفهاني، (ص ٣٦٠).

(٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري، (ص ٣٨٥).

(٤) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (٢/٧٨٨).

(٥) انظر: المفردات، الأصفهاني، (ص ٥٠١).

(٦) انظر: العين، الفراهيدي، (٣ / ٢١٣).

(٧) انظر: التوقيف، المناوي، (ص ١٣٧).

الكريمة وصف عام للغزوة، حيث يذكر الله سبحانه وتعالى فيها المؤمنين بنعمته عليهم، ويمتن عليهم، إذ صرف عنهم أعداءهم، حين جاءت جنود الأحزاب وتجمعت لإبادتهم، والقضاء عليهم، واستئصال شوكتهم، فأرسل الله على الأحزاب ريحاً، وملائكة لم يروها، فزلزلتهم، وألقت الرعب في قلوبهم، وقلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وسفت التراب في وجوههم، فكان للملائكة دور كبير في نجدة المسلمين، وكانت الريح أبرز الجنود التي حسمت المعركة^(١)، وما يعلم جنود ربك من الريح والملائكة إلا هو سبحانه، وما هي إلا ذكرى للبشر بأن النصر بيد الله وحده

عن ابن عباس قال: قال ﷺ: (نُصِرْتُ بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور)^(٢)، وفي هذه الآونة الشديدة وقع ثقل المقاومة على المؤمنين الخالص، الذين كانت قلوبهم عامرة بالإيمان، ونفوسهم في سبيل الدفاع عن الحق أشد من الصخرة صلبة وقوة، ولما وقف المؤمنون الموقف المشهود، ودافعوا دفاع الأبطال، وابتلاهم الله، فوقفوا وصبروا وصابروا أراد ربك أن يصرف عنهم السوء، وأن يتم نعمته عليهم ويكفيهم شر القتال على أحسن صورة وأكمل وضع، فألقى في قلوب المشركين الخوف^(٣)، وكان الله مطلعاً على المؤمنين، عليماً بجميع أعمالهم، من حفر الخندق ومقاساة الشدائد، والاستعداد للقتال، والتحرز من العدو، وهو يجازيهم عليها^(٤).

يقول سيد قطب في بيان الآية السابقة: «يجمل في الآية الأولى طبيعة ذلك الحادث، وبدأه ونهايته، قبل تفصيله وعرض مواقفه؛ لتبرز نعمة الله التي يذكرهم بها، ويطلب إليهم أن يتذكروها وليظهر أن الله الذي يأمر المؤمنين باتباع وحيه، والتوكل عليه وحده، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، هو الذي يحمي القائمين على دعوته ومنهجه، من عدوان الكافرين والمنافقين.

وهكذا يرسم في هذه البداية المجملية بدء المعركة وختامها، والعناصر الحاسمة فيها مجيء جنود الأعداء، وإرسال ريح الله وجنوده التي لم يرها المؤمنون، ونصر الله المرتبط بعلم الله بهم، وبصره بعملهم^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٦٦/٢١)، تفسير المراغي، (١٣٩/٢١).

(٢) صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا، حديث رقم: ١٠٠١

(٣) انظر: التفسير الواضح، حجازي، (٨١/٣).

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٦٦/٢١).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٣٦/٥).

رابعاً: مواقف القيادة النبوية في الغزوة وآثارها التربوية

إن الرسول ﷺ هو قائد المسلمين في غزوة الأحزاب، خاضها بنفسه، فكان القائد الرباني، والجندي المثالي، والقدوة الكاملة، فهو محل قدوة للمؤمنين دائماً، في الصبر على الشدائد، والثبات في الحروب، والصدق عند اللقاء، وفي غزوة الأحزاب بذل ﷺ كل غالٍ لنصرة دين الله، حفر الخندق مع اخوانه، وجاع مثلهم، وصبر وجاهد، فكان الصابر المحتسب، والشاكر الراضي، فاستحق أن يقتدى به في جميع أفعاله وأحواله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهذه الآية أصل كبير وعظيم في وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ في كل الأمور، في أقواله وأفعاله وأحواله، واتباع سنته^(١)، فلا بد من التأسي به، في صبره ومصابرته، ومجاهدته، ومرابطته، يقول البغوي: «اقتداء حسن، أن تنصروا دين الله، وتؤازروا الرسول، ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو، إذ كسرت ربايعيته، وجرح وجهه، وقتل عمه، وأوذى بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضاً، واستنوا بسنته^(٢)»، قال بعض المفسرين: إن الخطاب في الآية السابقة عتاب للمنافقين، ودعوة للمتخلفين عن القتال للتأسي برسول الله^(٣)، وسواء كان الخطاب للمؤمنين أو لغيرهم، يبقى النبي ﷺ حجة عليهم جميعاً، والقدوة لهم جميعاً بجهاده وجميع أحواله، والذي يقتدي به ويتخذ هذه الأسوة الحسنة هو المؤمن الذي يرجو ثواب الله ويخافه، ويدم ذكره سبحانه وتعالى.

الآثار التربوية لقيادة النبي العسكرية في الغزوة، ما يأتي:

١. الرسول قدوتنا: ليس شعاراً ولا هذواً ولكن اعتقاداً وتشريعاً وسلوكاً وخلقاً ومنهجاً كاملاً في حياتنا، وقدوة بشرية وحيدة لا تقبل التخيير والتفكير، لأن اتباع النبي من
٢. استشارته لأصحابه وعبيريته ﷺ .

حيث استشار النبي ﷺ أصحابه فيما ينبغي عمله لمواجهة الخطر الداهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق شمال المدينة، فما كان منه ﷺ إلا الأخذ برأيه السديد، والأمر بالتنفيذ، «وقد كان حفر الخندق مباغطة تامة للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه^(٤)»، فكان حفر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/٣١٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣/٦٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٠/٢٣٥).

(٤) انظر: الرسول القائد، محمود شيت خطاب، (١/٢٣٥).

الخندق عاملاً أساسياً من عوامل نصر المسلمين في الغزوة، والقائد العبقري هو الذي يستخدم أسلوباً جديداً في القتال.

٣. اتصافه بالقوة والحزم والرشد والجنديّة: حيث قرر الرسول ﷺ البقاء في المدينة المنورة، وأمر بحفر الخندق، وانتخب منطقة الحفر في السهول الكائنة شمال المدينة، ووزع أعمال الحفر بالتساوي بين أصحابه، وسيطر على العمل، فلا يستطيع أحد ترك واجبه إلا بأمر منه، حتى أنجز أعمال حفر الخندق قبل وصول المشركين الى المدينة المنورة، واشتغل هو بنفسه بالحفر كبقية أصحابه تماماً، بل استأثر دونهم بالأماكن الصلبة في منطقة حفر الخندق التي لم يستطع أصحابه التغلب عليها، كفلق الصخور القاسية!!

كان عليه الصلاة والسلام يراهم وهم ينقلون التراب على أكتافهم وتغير أجسادهم فكان ﷺ يقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة... فاغفر للأنصار والمهاجرة^(١)

فيجيب الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً^(٢)

وكان ﷺ ينقل التراب من الخندق حتى وارى التراب بطنه الشريفة وكان كثير الشعر وهو يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا... وإن أرادوا فتنة أبينا^(٣)

ثم قسم واجبات حراسة الموضع بين أصحابه، بحيث لا يغفل أحد عن شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، على الرغم من برودة الطقس؛ وقد كان هو بنفسه لا يترك مقره إلا ليقوم بتفتيش الحراس والمواقع الدفاعية وليحرض المؤمنين على القتال، ويرفع من معنوياتهم، وأمن حرساً قوياً للزاري الذين تركهم في دور المدينة، وأهم من ذلك كله سيطرته على أصحابه عندما تأزم الموقف حين وصلت الأحزاب الى ضواحي المدينة بقوات متفوقة على المسلمين، وحين نكثت قريظة عهدها، فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة وخارجها^(٤).

(١) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص ٢٧٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث ٣٨٧٣

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب السير، باب في الخلافة والإمامة، ذكر ما يستحب للإمام معونة رعيته، حديث ٤٥٣٥

(٤) انظر: الرسول القائد، محمود شيت خطاب (١/٢٣٧).

٤. **تأييد الله تعالى له بالمعجزات:** فقد حصلت خلال مرحلة حفر الخندق ثلاث معجزات حسية للنبي ﷺ وهي تكثير الطعام الذي أعده الصحابي جابر بن عبد الله للرسول ﷺ بعد أن باركه ﷺ، وأكل منه ألف صحابي حتى شبعوا وتركوا الكثير، ومن معجزاته إخباره لعمار بن ياسر وهو يعمل معهم بأمر غيبي يتعلق بقتله رضي الله عنه، وقيامه ﷺ بتفتيت صخرة عظيمة عجز الصحابة عن كسرها، فقد ضربها ثلاث ضربات وفتتها، ومع كل ضربة كان ﷺ يعلن عن تسلمه لمفاتيح أقاليم كل من الشام، وفارس، واليمن، وهي بشارة تنبئ عن اتساع الفتوحات الإسلامية والإخبار عنها في وقت كان المسلمون فيه محصورين في المدينة، يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد القارص^(١).

٥. **الدعاء واللجوء إلى الله:** في غمرة الشدائد والمخاوف كان النبي صلى الله عليه وسلم يديم الدعاء خلال الحصار، ولا ينفك هو وأصحابه عن التوجه إلى رب السماء. ففي حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن الرسول ﷺ دعا يوم الأحزاب فقال: **(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم)**^(٢)، وفي رواية: **(اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم)**^(٣).

خامساً: مواقف بطولية للصحابة في الغزوة:

١. إشارة سلمان الفارسي على الرسول ﷺ بحفر خندق، قال سلمان: **(يا رسول الله، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟)**^(٤)، فأعجب رأي سلمان المسلمين، وقال المهاجرون يوم الخندق: «سلمان منا»، وقالت الأنصار: «سلمان منا»، فقال الرسول محمد: «سلمان منا أهل البيت»^(٥).

٢. شجاعة علي بن أبي طالب وقتاله لعمر بن عبد ود، فلما عبر عمرو الخندق وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل؛ قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال؛ فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك؛ فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعفره، وضرب

(١) انظر: نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، (٣٢٥/١).

(٢) صحيح البخاري، رقم ٤١١٥، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (١١١/٥).

(٣) صحيح البخاري، رقم ٣٠٢٤، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، (٦٣/٤).

(٤) انظر: مغازي الواقدي، غزوة الخندق (٢/٤٤٤).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک (٥٩٨/٣)، والطبراني (٢٦١/٦).

وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجالوا، فقتله علي رضي الله عنه. وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة^(١).

٣. شجاعة حذيفة بن اليمان وتسلمه إلى مخيم العدو: فبعد أن أرسل الله الريح على الأحزاب وارتبك جيش الكفار، أحب أن يتحرى عما حدث عن قرب فقال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة^(٢)»، فاستعمل أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجد هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: «قم يا حذيفة فائتتنا بخبر القوم، ولا تدعهم علي^(٣)». قال حذيفة بن اليمان العبسي الغطفاني: «فمضيت كأنما أمشي في حمّام، فإذا أبو سفيان يُصلى ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس، وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تدعهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمّام، فأتيت رسول الله ﷺ وأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائمًا حتى الصباح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نومان^(٤)». ويروى أنه لما كان حذيفة عند الأحزاب، قال أبو سفيان: «ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه»، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: «من أنت؟»، قال: «معاوية بن أبي سفيان»، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: «من أنت؟»، قال: «عمرو بن العاص^(٥)»، وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته^(٦).

٤. دور شعراء المسلمين في الحرب الإعلامية: فقد رد كعب بن مالك على ضرار بن الخطاب الفهري القرشي، أحد شعراء الأحزاب، عندما كان يهجو فيها المسلمين ويتوعد بغزوهم كرة أخرى^(٧)، وقد قال الرسول ﷺ لشاعر المسلمين حسان بن ثابت النجاري الخزرجي يوم قريظة: «اهج المشركين، فإن جبريل معك^(٨)».

(١) سيرة ابن هشام، ابن هشام الحميري (٢/٢٢٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (٣/١٤١٤)، رقم: ١٧٨٨

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم: ١٧٨٨

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (٣/١٤١٤)، رقم: ١٧٨٨

(٥) انظر: شرح الزرقاني (٢/١٢٠).

(٦) انظر: من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، (ص ٢٩٣).

(٧) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (ص ٢٥٥).

(٨) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث: ٤١٢٤

المطلب الخامس: الغدر والخيانة سجية متأصلة في اليهود في ضوء غزوة الأحزاب

غدر يهود بني قريظة في الغزوة: إن موقف يهود بني قريظة في غزوة الأحزاب موقف غدر وخيانة ونقض للعهد، فقد نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ، وانضموا إلى الأحزاب من المشركين عوناً لهم على الرسول ﷺ والمؤمنين، وكانوا يسكنون العوالي في جنوب شرق المدينة مما يمكنهم من طعن المسلمين من الخلف، وكان لهذا الموقف أثره على المؤمنين بأن اشتد تأزم الوضع عليهم في ظل محاصرة الأحزاب للمدينة، ولكن الله ردهم هم والأحزاب خائبين مهزومين.

وكان نقض بني قريظة لوثيقة العهد التي أبرموها مع الرسول ﷺ عند حصار قوات الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق، وإصرارهم على خيانة الله ورسوله ﷺ والمسلمين، وتعريضهم أمن وسلامة المسلمين ودولتهم للخطر، سبباً في غزو المسلمين لهم، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقتالهم بعد انسحاب الأحزاب وانتهاء الحصار والخطر وعودته بالمسلمين من الخندق ووضعهم السلاح، فأمر النبي ﷺ أصحابه بالتوجه إلى ديار بني قريظة ومحاصرتهم^(١)، فكان القصاص سريعاً وحاسماً، روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أصيب سعدٌ يوم الخندق، رماه رجلٌ من قريشٍ يقال له ابن العرقه رماه في الأكحل، فضرب عليه الرسول ﷺ خيمَةً في المسجد يعوده من قريبٍ، فلما رجع الرسول ﷺ من الخندق وضع السلاح، فاغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه اخرج إليهم، فقال رسول الله ﷺ: (فأين؟) فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم الرسول ﷺ فنزلوا على حكم الرسول ﷺ، فرد الرسول ﷺ الحكم فيهم إلى سعدٍ، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي الذرية والنساء، وتقسم أموالهم)^(٢)، والله سبحانه وتعالى بين أن بني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب وكانوا عوناً لهم على المسلمين، قد أنزلهم من حصونهم الممتنعين فيها، وقذف في قلوبهم الرعب، وبين عاقبة غدرهم بأن سلط عليهم المؤمنين فأبادوهم، قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26] أنزل الله سبحانه وتعالى بقدرته وأمره يهود بني قريظة - الذين عاونوا الأحزاب، ونقضوا عهدهم مع النبي ﷺ من حصونهم التي كانوا يتحصنون بها،

(١) انظر: نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، (٣٢٦/١)، أيسر التفاسير، الجزائري، (٤/٢٦٠).

(٢) صحيح مسلم، رقم ١٧٦٩، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتل من نقض العهد، (٣/١٣٨٩).

وَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعْبَ الشَّدِيدَ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي حَكَمَ فِيهِمْ قَائِلًا: أَنْ لَسَعْدٌ أَلَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لائِمٌ، إِنِّي أَحْكَمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ الرِّجَالَ، وَتَسْبِيَ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ، وَتَقْسِمَ الْأَمْوَالَ^(١)، يَقُولُ الطَّبْرِيُّ: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: وَهُمْ: بَنُو قَرِيطَةَ، ظَاهَرُوا أَبَا سَفْيَانَ وَرَأْسُلُوهُ، فَكَثَثُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّ اللَّهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ، وَقَدْ غَسَلَتْ شَقَّهُ، إِذْ أَتَاهُ جِبْرَائِيلُ، فَقَالَ: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ؛ مَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةَ سِلَاحَهَا مِنْذُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَانْهَضْ إِلَى بَنِي قَرِيطَةَ، فَإِنِّي قَدْ قَطَعْتُ أَوْتَارَهُمْ، وَفَتَحْتُ أَبْوَابَهُمْ، وَتَرَكْتَهُمْ فِي زَلْزَالٍ وَبَلْبَالٍ؛ قَالَ: فَاسْتَلَّامَ الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ سَلَكَ سَكَّةَ بَنِي غَنَمٍ، فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ وَقَدْ عَصَبَ حَاجِبُهُ بِالتَّرَابِ؛ قَالَ: فَأَتَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ فَحَاصَرُوهُمْ، وَنَادَاهُمْ: (يَا إِخْوَانُ الْقَرْدَةِ)، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا كُنْتَ فَحَاشًا، فَنَزَلُوا عَلَى حَكْمِ ابْنِ مَعَاذٍ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِ حَلْفٌ، فَرجوا أَنْ تَأْخُذَهُ فِيهِمْ هَوَادَةٌ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ أَبُو لُبَابَةَ إِنَّهُ الذَّبْحُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، فَحَكَمَ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ مَقَاتِلَتَهُمْ، وَأَنْ تَسْبِيَ ذَرَارِيَهُمْ، وَأَنْ عَقَارَهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ: أَثَرْتُ الْمُهَاجِرِينَ بِالْعَقَارِ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي عَقَارٍ، وَإِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا لَا عَقَارَ لَهُمْ. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَبَّرَ وَقَالَ: (قَضَى فِيكُمْ بِحَكْمِ اللَّهِ)^(٢).

نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ: وَهَذَا أَسْلَمَ رَجُلٌ مِنْ غُظَفَانَ يُسَمَّى نَعِيمٌ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخُذْ عَلَيْنَا مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، فَذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى بَنِي قَرِيطَةَ - وَكَانَ عَشِيرًا لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَرَفْتُمْ وَدِي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالَ: فَإِنْ قَرِيشًا لَيْسُوا مِثْلَكُمْ، الْبِلَادُ بِلَادُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنْ قَرِيشًا وَغُظَفَانٌ قَدْ جَاؤُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَصَابُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِلَّا لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَتَرَكَوْكُمْ وَمُحَمَّدًا فَانْتَقَمَ مِنْكُمْ، قَالُوا فَمَا الْعَمَلُ يَا نَعِيمُ؟ قَالَ: لَا تَقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَعْطُوكُمْ رَهَائِنَ. قَالُوا: لَقَدْ أَشْرْتَ بِالرَّأْيِ ثُمَّ مَضَى نَعِيمٌ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى قَرِيشَ، وَقَالَ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَدِي لَكُمْ وَنَصَحِي لَكُمْ؟

(١) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، محمد بن بكر آل عابد، (٢/٤٩٥).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/٢٤٣).

قالوا: نعم، قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه على أن يأخذوا منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يوالونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان، فقال لهم مثل ذلك .

وفعلًا جاء اليهود يطلبون رهائن من قريش وغطفان فقالوا: صدق نعيم، والله لا نرسل إليكم أحداً حتى نناجز نحن وأنتم محمداً، فقال اليهود صدق والله نعيم فتخاذل الفريقان ودبت الفرقة بين صفوفهم، وخارت عزائمهم، فقال ﷺ بعد هذه الغزوة مبشراً بعهد جديد: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.

ويختم سبحانه وتعالى الآيات التي تتحدث عن غزوة الأحزاب وبني قريظة ببيان النعم الجليلة التي من بها على المؤمنين بعد أن نصرهم عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 27].

فالله أورث المؤمنين أرض أعدائهم من يهود بني قريظة، كما أورثهم ديارهم ومزارعهم ومساكنهم وأموالهم جزاءً لهم، (وأورثكم أرضهم) اختلف المفسرون في تعيين هذه الأرض على أقوال: فقيل: خيبر، وقيل: حنين، وقيل: مكة، وقيل: فارس والروم، وقيل: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة، والراجح القول الذي يشمل جميع الأقوال، أي: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة، وفي هذا بشرى من الله للمؤمنين^(١).

وتم نصر الله، وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر الكفار ليطمئن على سير الأحداث، وعلى فعل الرياح بهم وعلى أثر الفرقة التي أحدثها نعيم بن مسعود t، فعاد حذيفة بالخبر الجميل وبالنصر العظيم، لقد عزم الجميع على الرحيل، وكل ذلك بدون قتال.

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وهكذا انتهت واحدة من أعظم معارك المسلمين في التاريخ الإسلامي، مع أنه لم يحدث فيها قتال، وكان الله يريد أن يقول لنا، ليس المطلوب هو تحقيق النصر، ولكن المطلوب هو العمل من أجله، المطلوب هو قرار الجهاد، والثبات في أرض المعركة، المطلوب هو صفات الجيش المنصور، أما النصر فينزل بالطريقة التي يريدها رب العالمين، وفي الوقت الذي يريده الله.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٥٠/٢٠).

لقد بلغت أهمية غزوة بني النضير مبلغاً عظيماً، فتحدث القرآن الكريم عنها في سورة كاملة، وهي سورة الحشر، حتى سَمَّى عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . سورة الحشر بسورة بني النضير . فعن سعيد بن جبیر . رضي الله عنه . قال : قلت لابن عباس . رضي الله عنهما :. (سورة الحشر، قال : قل سورة بني النضير) البخاري وفي هذه السورة وصف الله طرد اليهود، وفضح مسلك المنافقين، وبين أحكام الفبيء، وأثنى على المهاجرين والأنصار، وبين جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وأوصي المؤمنين بالتزام التقوى والاستعداد للآخرة، ثم ختمها بالثناء على نفسه وبيان أسمائه وصفاته، وهكذا كان المجتمع المسلم يتربى على التوحيد، وتعظيم منهج الله، والاستعداد ليوم القيامة..

تمر السنون والأعوام، وتظل سيرة وغزوات النبي ﷺ عامة ومع اليهود خاصة ، نبراساً وهادياً، يضيء لنا الطريق، في تعاملنا مع أعداء الأمس واليوم والغد..

الدروس التربوية المستخلصة من هذا المطلب:

- ١ . ١ . كشفت هذه الغزوة مكائد يهود بني قريظة وحقدهم على المسلمين وتربص الدوائر بهم.
- ٢ . الكفر ملة واحدة، واليهود بكل أصنافهم قوم غدر و نقض للعهود، وغدر بني قريظة ليس غريباً على يهود، فقد نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ في وقت الشدة وجيوش الكفر تحيط بهم من كل جانب.
- ٣ . غدر اليهود وخيانتهم، يثبت بما لا يدع مجالاً لك أن هرولة بعض المرتزقة والمنفعيين للتطبيع مع الصهاينة هو الغدر والخيانة بعينها للإسلام وقضايا الأمة،
- ٤ . اللغة الوحيدة التي تنتج مع اليهود المغتصبين للمقدسات والأراضي الفلسطينية هي لغة الصحابي سعد بن معاذ الذي حكم في يهود بني قريظة بحكم الله وهي الحراية والمقاومة.
- ٥ . نقض اليهود للعهود مع النبي محمد وصحابته الكرام خير دليل على أن مسار التفاوض والتنسيق الأمني وحل الدولتين هو مسار فاشل بامتياز ومحصلته صفر بعد 27 عام من الأوهام

الآثار التربوية الجهادية للمبحث الرابع:

لقد أخذ المسلمون بقانون الأسباب في مواجهة الأحزاب الكافرة، وهكذا مضت سنة الله أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وأن المنحة مع المحنة، وكلما قرب النصر اشتد البلاء، وفي ختام هذا المبحث العسكري الجهادي سأجمل أهم الآثار التربوية في ضوء غزوة الأحزاب، مستلهما منها السنن الإلهية الثابتة والقوانين الربانية المطردة فيما يلي:

١. إن النصر الحاسم للمسلمين على المشركين في غزوة الأحزاب، وعلى يهود بني قريظة ناقضي العهد، نعمة عظيمة تستوجب الشكر والحمد لله؛ لأنه نصر بتدبير الله سبحانه وتعالى، بإرسال الريح والملائكة، وقد صدقت فيه عزيمة المؤمنين على خوض المعركة، والدفاع عن مدينتهم عاصمة الإسلام.

٢. إن القائد المثالي هو من يشاور أصحابه وخاصته، فالنبي ﷺ شاورهم في أمر القتال، وقبل مشورتهم في حفر الخندق، حيث أنزل الشورى منزلتها، ورسخها في حياة الأمة، وإنه بقدر قوة وحزم ورشد وعبقريّة القيادة يكون التفوق والنصر.

٣. إن موقف المؤمنين الصادقين دائماً نقيض موقف المنافقين، فهم مصدقون، واثقون بوعده الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ولم تزدهم المحنة والابتلاء والنظر إلى الأحزاب إلا إيماناً وتسليماً.

٤. للمنافقين خصال اجتماعية وشخصية قبيحة ومذمومة، فهم بخلاء على المسلمين فيما يحقق المصلحة العامة، بخلاء بأنفسهم وأموالهم، مثبطين مرجفين، جبّاء يخافون من لقاء الشجعان، سليطوا اللسان يؤذون غيرهم بالكلام والتفاخر بالكذب والزور، فهم فئة لم يؤمنوا بقلوبهم، وإن كان ظاهرهم الإسلام.

٥. إن تلاحق الشهداء وتواليهم على درب الجهاد في سبيل الله، سواء بالاستشهاد أو بانتظار الأجل، هذا أمارّة خير ودليل استدامة الإخلاص جيلاً بعد جيل^(١)

٦. إن الدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالرسول ﷺ كان كثير التضرع والدعاء، وخصوصاً في مغازيه، والأمة اليوم بحاجة للجوء إلى الله والتضرع وحسن التوكل عليه.

٧. إن القتال لا ينقص العمر، وتركه لا يزيد في العمر، فالأجل مكتوب، ولن يمنع حذر من قدر، فترك الجهاد خوفاً من القتل عمل غير صالح، وهو من صفات المنافقين.

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٨٠/٢١).

٨. سوء الظن بالله تعالى وبرسوله كفر ونفاق، وإن على المؤمن أن يكون حسن الظن بالله دائماً.

٩. الاقتداء بالرسول ﷺ يفرض ولا يعرض، فهو واجب على كل مسلم ومسلمة من أهل السنة في كل أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

١٠. إن المؤمنين الصادقين يستحقون ثناء الله عليهم؛ لمواقفهم المشرفة، ووفائهم بالعهود.

١١. التحذير من الغدر والخيانة ونقض العهود وعاقبته، وهي صفات ملاصقة لليهود، وهذا شأنهم على مدى التاريخ، بغدرهم وخيانتهم للأنبياء، ولهذا كان عاقبتهم السوء.

١٢. النصر من عند الله الناصر القادر، والمطلوب من المجاهدين هو استقراغ الجهد في الإعداد لنصرة دين الله، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الإيمان والأخوة والساعد والسلاح، فالأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل، لم تُهزم بالقتال من المسلمين رغم تضحياتهم، ولم تُهزم بعبقرية المواجهة ودقة التخطيط، وإنما هُزمت بالله وحده، وما يسره الله من أسباب وسخره من جنود.

١٣. لله جنود السماوات والأرض، وتجلي ذلك في غزوة الأحزاب: الجندي الأول: نعيم بن مسعود، الجندي الثاني: الريح، الجندي الثالث: الملائكة

١٤. غزوة الأحزاب تعلمنا الثقة في الله مع التفاؤل والأمل، فبالرغم من كل تلك الظروف العصبية الشديدة التي أحاطت بالمسلمين، من حصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود، وبجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ومن جوع وخوف، وشدة برد، ومعاناة شديدة في حفر الخندق، لم ييأس المسلمون، ولم يفقدوا ثقتهم بوعده الله ونصره، بل ازدادوا إيماناً و يقيناً، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

١٥. الكفر كله ملة واحدة، والخيانة والغدر من طبع وخلق اليهود، هذا ما أظهرته بوضوح غزوة الأحزاب، فقد تكالب الكفر على المسلمين، واتفق واتحد كفار قريش والمنافقين واليهود ضد الإسلام، كما يحدث اليوم من هرولة المتصهينين العرب مع أسيادهم من الصهاينة والصليبيين ضد الإسلام.

١٦. خسارة أحزاب الشيطان في حربهم على المسلمين وتفرق شملهم ورجوعهم مدحورين بغيظهم قد خابت أمانيتهم وآمالهم ومسايعهم.

١٧. انتصار المسلمين وتحقيق وعد الله لهم بالنصر، ولم يستشهد في هذه الغزوة التي تكالبت فيها الأحزاب على الإسلام إلا ستة نفر من المسلمين.

١٨. تغير الموقف لصالح المسلمين وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ حيث قال: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)^(١)

١٩. كانت غزوة الأحزاب محكا بين صدق المؤمنين المجاهدين وادعاء المنافقين الجبناء، وخبث يهود بني قريظة.

٢٠. كانت غزوة بني قريظة نتيجة من نتائج غزوة الأحزاب، تم فيها معاقبة يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ في أحلك الظروف وأصعبها، طبقا لدستور المدينة الذي وافقوا على بنوده.

٢١. وبينت هذه الغزوة سنة من سنن الله التي لا تتخلف ولا تتغير وهو جعل العقوبة لعباده المؤمنين، والهزيمة لأعداء الدين.

٢٢. كما بينت أهمية التأسي به ﷺ في الأوقات الحرجة خاصة، بصبره ويقينه في نصر الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وفي نهاية هذا المبحث " التوجيهات التربوية الجهادية لغزوة الأحزاب"، ومعايشة أحداث المعركة من بدايتها إلى نهايتها، فما أشبه اليوم بالبارحة، وكأنني أرى بأُم عيني صورة أحزاب الكفر في عام 5هـ هم ذاتهم أحزاب الكفر حتى هذا العام 1442هـ بنفس المكونات والسياسات والمكر والغدر والحق على الإسلام وتشويهه ومحاولة استئصال شأفته، وإلا فما الفرق بين حيي بن أخطب ومنتياهو، وما الفرق بين بني قريظة وبني صهيون المحتل لفلسطين؟ وما الفرق بين قبائل عطفان وقريش ونظام الإمارات والبحرين في مسارعتهن في اليهود؟

وفي الجانب الثاني المشرق: لا أجد انفصلاً بين سلسلة صحابة رسول الله في يقينهم بنصر الله تعالى حينما تحزب الكفر عليهم وحاصروهم من فوقهم ومن أسفل منهم وبين أهل غزوة حينما زاغت أبصارهم وبلغت قلوب الأهالي حناجرهم وقد ضرب الحصار أطنابه على غزوة بإغلاق المعابر من ذوي القربى من العرب وبحراً بالبوارج الصهيونية وجوا بالطائرات الحربية الأمريكية ووقودها من النفط العربي الخليجي!! ولسان حال شعب غزوة ومقاومتها التي درست سورة الأحزاب وفهمتها جيداً واستحضرتها فقالت: صدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، فساء وجه الأحزاب التابعة للجيش الذي لا يقهر على مدار ثلاثة حروب ضروس ورد

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح ٤١١٠. والحديث عن سيدنا سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ.

الله الصهاينة والمتصهينين بغیظهم لم ینالوا من غزّة ومقاومتها خیراً، وقضى بعض خیرة المجاهدين نحبهم والباقي ما زال بكل ثبات ویقین ینتظر إحدى الحسنین.

وهذا من توفیق الله وهدايته لی بأن تكون رسالتي فی سورة الأحزاب الواقعية المتسلسلة منذ عام 5هـ حتى یومنا هذا لعام 1442هـ، والنتیجة ستكون واحدة _ بعون الله تعالی _ وهي نصر الله المؤزر وكنس الصهاينة، وأذناهم من المنافقین المتصهینین، وهذا النصر سیتحقق بعز عزیز یعز الله به الإسلام وأهله ومجاهديه، وذلاً یذل الله به الصهاينة والأمريكان والمنافقین والمطبعین.

الفصل الثاني
الأساليب البيانية المستنبطة من
التوجيهات التربوية في سورة
الأحزاب

الفصل الثاني

الأساليب البيانية المستنبطة من التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب التوكيد.

المطلب الثاني: أسلوب النداء.

المطلب الثالث: أسلوب الشرط.

المطلب الرابع: أسلوب القصر.

المطلب الخامس: أسلوب الاستثناء.

المطلب السادس: أسلوب القسم.

المطلب السابع: أسلوب الأمر والنهي.

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

المطلب التاسع: أسلوب ضرب الأمثال.

المطلب العاشر: أسلوب علاقة الفاصلة بموضوع الآية.

سيتناول الباحث في هذا المبحث أبرز الأساليب البيانية التي وردت في التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، حيث أن القرآن الكريم جاء بأساليب متنوعة تتوافق مع أحوال المخاطبين، وتراعي مستوياتهم؛ فهو متميز بخصائص عديدة عن بقية العلوم، فحينما تتشابه الأساليب البلاغية مع بعضها، أقدم الآية الأكثر توضيحاً للأسلوب المطلوب.

المطلب الأول: أسلوب التوكيد

أولاً: تعريف التوكيد لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف التوكيد لغةً: وكَدَ وكَدْتُ العهدَ والسرَجَ توكيداً، وأكدته تأكيداً بمعنى، وبالواو أفصح. وكذلك أوكَّده وأكَّده إيكاداً فيهما، أي شَدَّه. وتَوَكَّدَ الأمرُ وتأكَّدَ، بمعنى. وقولهم: وَكَدَ وَكَّدهُ أي قصد قصده.^(١)

٢. تعريف التوكيد اصطلاحاً: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله^(٢)، والتوكيد هو أحد الأساليب اللغوية التي تُستخدم من أجل تأكيد وتثبيت معنى أو أمرٍ مُعين عند القارئ أو السامع، والهدف من ذلك هو إزالة وإبعاد الشكوك التي يشك بها الشخص أحياناً.

ثانياً: أمثلة على أسلوب التوكيد من سورة الأحزاب.

من خلال تتبُّع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لنا الكثير من الجمل التي وُردَ فيها أسلوب التوكيد وسنقتصر في الحديث عن خمس آيات، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

ورد أسلوب التوكيد في هذه الآية في موضع واحد وهو ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فبعد أن خاطب الله نبيه في بداية الآية استخدم المؤكِّد إنَّ لإزالة التردد والشك فالحرف إنَّ في الآية حرف يفيد معنى التوكيد^(٣).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

استخدم الله ﷻ أسلوب التوكيد في معرض الحديث عن النبي ﷺ واستخدم الله ﷻ أكثر من مؤكِّد في الآية رداً على أي منكر لكون النبي ﷺ أسوة حسنة فاللام في كلمة (لقد) هي لام

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٥٣).

(٢) انظر: التعريفات (ص ٥٠).

(٣) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤١).

القسم^(١) التي تفيد معنى التوكيد والحرف (قد) إذا جاء بعده فعل ماض يكون للتحقيق والتوكيد^(٢).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِتِينَ وَالصَّابِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

ورد أسلوب التوكيد في موضع واحد وهو قوله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾

ذكر أبو السعود في تفسيره للآية: أي الدَّاخلِينَ في السِّلَمِ الْمُتَقَادِينَ لحكم الله تعالى من الذُّكُورِ والإِنَاثِ^(٣)، وقد استخدم الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أداة التوكيد إِنَّ في هذا الموضع وعندما يكون المؤكِّد واحد يكون ضرب الخبر طلبياً^(٤).

الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ورد في الآية أسلوب التوكيد في موضع واحد وهو قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إذ استخدم الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) المؤكِّدِ إِنَّ^(٥)، أراد الله - سبحانه - أن تكون للأمة عند النبي (ﷺ) يد خدمة كما له بالشفاعة عليهم يد نعمة، فأمرهم بالصلاة عليه، ثم كافأ سبحانه عنه فقال (ﷺ): من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات. وفي هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني عن الزيادة من الله في وقت من الأوقات إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول، وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة عليه من خلال استخدام أسلوب التوكيد^(٦).

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي (٢١ / ١٤٦).

(٢) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣ / ٤٧).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧ / ١٠٣).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٨ / ١٨).

(٥) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣ / ٥٨).

(٦) انظر لطائف الإشارات تفسير القشيري (٣ / ١٧٠).

الآية الخامسة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]

ورد أسلوب التوكيد في هذه الآية في موضعين وهما:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ استخدم الله ﷻ أسلوب التوكيد في الحديث عن الأمانة ولثقل الأمانة استخدم الله أداة التوكيد (إِنَّ) المشددة النون والشدة تحمل إichاء على الثقل وهذا ما استشغه الباحث من فهمه لمضمون الآية، وذكر الثعلبي في تفسيره أَنَّ العرض كان تخييراً لا إلزاماً واستخدام أداة التوكيد يوحي بأهمية الحفاظ على الأمانة^(١).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

استخدم الله ﷻ أسلوب التوكيد مستخدماً الأداة (إِنَّ) في معرض الحديث عن جهل الإنسان وظلمه لنفسه، ويرى الباحث أن استخدام الله ﷻ لصيغة المبالغة التي على وزن (فعول)^(٢) في قوله ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ تحمل معنى التوكيد والمبالغة في شدة الجهل والظلم، وذكر كثير من معربي القرآن أَنَّ الأداة (إِنَّ) حرف توكيد ونصب يؤكد المعنى وينصب ما بعده على أنه اسم لها^(٣).

(١) انظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨ / ٦٧).

(٢) صيغ المبالغة: هي أوزان صرفية تدل على المبالغة والكثرة منها أوزان فعال، أو فعول، أو مفعال؛ بكثرة، وفعل أو فعل؛ بقلّة، للاطلاع انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣ / ١٨٤).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣ / ٢٢٥).

المطلب الثاني: أسلوب النداء .

أولاً: تعريف النداء لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف النداء لغة: النداء بَابُ تَنْبِيهِ، والنداء الدعاء، والفعل نادى ينادي نداءً، إِذَا قُلْتَ يَا زَيْدُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَعْوَتَهُ لِخَاطِبِهِ بِغَيْرِ النَّدَاءِ فَلَا مَعْنَى لِلْكَلامِ، وإنما نَقُولُ يَا زَيْدُ لِتَنْبِيهِهِ بِالنِّدَاءِ.^(١)
٢. تعريف النداء اصطلاحاً: طلبُ الإقبال بحرفٍ نائبٍ منابٍ أدعو لفظاً أو تقديرًا، أي طلب المتكلم إقبال المخاطب حساً أو معنى^(٢).

ثانياً: أمثلة على أسلوب النداء من سورة الأحزاب.

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لنا الكثير من الجمل التي وُردَ فيها أسلوب النداء وسنقصر الحديث في أربع آيات، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]

ورد أسلوب النداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

وهنا يخاطب الله نبيه ويستخدم أسلوب النداء وقد وصفه الله بالنبي إعلاءً وتكريماً وتعظيماً وتفخيماً لشأنه، فأياها المُشَرَّفُ حالاً، المُفَحَّمُ قدراً مناً، المُعْلَى رتبةً من قبلنا، يا أيها المرقى إلى أعلى الرُّتب، المُبلَّغُ خطابنا إلى أحببنا: ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ إشفافاً عليهم^(٣).

والغرض من هذا النداء التعظيم والتفخيم لشأن النبي ﷺ (يا) حرف نداء و(أي) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب يا (والهاء) للتنبيه والنبي بدل (واتق) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وجملة (اتق) لا محل لها من الإعراب لأنها جملة جواب النداء وكذلك جملة (ولا تطع الكافرين) معطوفة عليها^(٤).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٤ / ١٨٩).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣ / ٩١).

(٣) انظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣ / ١٤٩).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٧ / ٥٩٥).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]
ورد أسلوب النداء في قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾

النداء هنا موجه للمؤمنين ووصف الله لهم بالمؤمنين هو تكريم رباني لهم ويذكرهم الله بنعمهم عليه و (يا) أداة النداء و (أي) هي المنادى و (الذين) بدل من أي وجملة (اذكروا) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وذلك لأنها جملة جواب النداء^(١).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]
ورد أسلوب النداء في قوله: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾

ورد النداء في خطاب أهل يثرب^(٢) والنداء من أنواع الإنشاء الطلبي و (يا) أداة النداء (أهل) منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف «يُثْرِبُ» مضاف إليه وجملة النداء (يقولون إن بيوتنا عورة) لا محل لها من الإعراب^(٣).

الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ مَنِ هَٰذَا مِثْلُ مَرْثَىٰكَ بِفَرِحَةٍ مِّنْ مِّمَّنْ لَّيْسَ لَكَ عَلَىٰ ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الأحزاب: ٣٠]

ورد استخدام أسلوب النداء في خطاب الله لزوجات النبي (ﷺ) في قوله تَعَالَى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، فبعد أن خير الله زوجات النبي (ﷺ) فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة أراد سبحانه أن يُعطينهم المنهج والمبادئ التي سيسرن عليها في حياتهن، ونلاحظ أن آية التخيير كانت من كلام النبي عن ربه، أما هنا فالكلام من الله مباشرة لنساء النبي (يا نساء النبي) فبداية المسألة (يا أيها النبي قل لأزواجك) فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة كأنهن ارتفعن إلى مستوى الخطاب المباشر من خلال استخدام أسلوب النداء^(٤). (يا) أداة نداء (نساء) منادى منصوب لأنه مضاف (النبي) مضاف إليه وجملة الشرط لا محل لها جملة جواب النداء^(٥).

(١) انظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٣/ ٩٦٢).

(٢) يثرب: هي مدينة الرسول ﷺ فإذا قيل المدينة، غير مضافة ولا منسوبة، علم أنها هي وتسميتها يثرب في الجاهلية للمزيد انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٤/ ١٢٠١).

(٣) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤٤).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠٠٨).

(٥) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤٩).

المطلب الثالث: أسلوب الشرط

أولاً: تعريف الشرط لغة واصطلاحاً:

١. تعريف الشرط لغة: الشَّرْطُ مَعْرُوفٌ فِي الْبَيْعِ، وَالْفِعْلُ: شَارَطَهُ فَشَرَطَ لَهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ يَشْرِطُ شَرْطَ يَشْرِطُ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ عَلَامَاتُهَا، قَالَ: وَمِنْهُ الْأَشْرَاطُ الَّذِي يَشْتَرِطُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِنَّمَا هِيَ عَلَامَاتٌ يَجْعَلُونَهَا بَيْنَهُمْ.^(١)
٢. تعريف الشرط اصطلاحاً: تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، أو ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده.^(٢)

ثانياً: أمثلة على أسلوب الشرط من سورة الأحزاب

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي الكثير من الجمل التي وُردَ فيها أسلوب الشرط وسأقصر الحديث في أربع آيات، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]

لقد ورد أسلوب الشرط في هذه الآية في موضعين وهما:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا﴾

ورد أسلوب الشرط في هذا الموضع وقد استخدم الله أداة الشرط (إن) وهي أداة شرط جازمة تجزم فعلين مضارعين الأول منهما يسمى فعل الشرط ويكون دائماً بعد أداة الشرط مباشرة وفعل الشرط في هذا الموضع هو (يأت) والثاني منهما يسمى جواب الشرط وهو مجزوم أيضاً (يودوا)^(٣).

وقد ارتأيت أن أقوم بإعراب هذه الأسلوب؛ تعزيزاً للجانب البياني :

إن: حرف شرط جازم مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

يأت: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١ / ٢١١).

(٢) انظر: التعريفات (ص ١٢٥).

(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٧ / ٦٢١).

يودوا: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾

قد يظن الدارس للوهلة الأولى أن هذا الموضع هو أسلوب شرط؛ لذلك تجدر الإشارة إلى أن حرف "لو" في هذا الموضع هو حرف مصدري يفيد معنى التمني وليس حرف شرط، وهذا ما نقله أهل اللغة^(٢).

إن أسلوب الشرط يفيد الإقناع والتأثير مصحوباً بالحجة والدليل كما يقول أهل اللغة ومن خلال تأملي في هذه الآية، تبين أن كثرة استخدام الشرط إنما كان بغرض التأثير في السامعين وإقناعهم^(٣).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

ذكر الله تعالى أداة الشرط "لو" وقد قلت آنفاً بأنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره^(٤)، كما قال سيبويه^(٥)، وذكر الله فعل الشرط في هذا الموضع وهو الفعل (كانوا)، وذكرت جملة جواب الشرط وهي الجملة المنفية (ما قاتلوا إلا قليلاً)^(٦).

وورد أسلوب الشرط في نفس الآية، حيث ذكر الله تعالى أداة الشرط وهي أداة شرط غير جازمة، كما ذكر أهل اللغة، ويرى كثير من النحاة أن "لو" حرف امتناع لامتناع ولكنني أذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه بأن (لو) حرف شرط لما كان سيقع لوقوع غيره^(٧).

وأدوات الشرط منها أسماء، وهي: أَيْنَ وَمَتَى وَأَيْنِ وَحَيْثَا مِنْ وَمَا وَأَيَّ وَمَهْمَا وَمَنْ،

ومنها حُرُوف، وهي: إِنْ وَإِذَا^(٨).

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢١ / ٤٣).

(٢) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣ / ٤٦).

(٣) انظر: الممتع الكبير في التصريف (ص ١٧١).

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤ / ٤٧).

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَّة بن جُلْد بن مالك بن أدد.

أخذ عن الخليل ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز. للمزيد انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٦٦).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣ / ٢١١).

(٧) انظر: المقتضب (٢ / ٤٦).

(٨) انظر: المرجع السابق (٢ / ٤٦).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩].

ورد أسلوب الشرط في هذه الآية في موضع واحد وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

أداة الشرط (إن) حرف شرط جازم مبني على السكون (كنتن) جملة فعل الشرط في محل جزم وجملة (فإن الله أعد للمحسنات) هي جملة جواب الشرط وقد استخدم الله (الفاء) الواقعة في جواب الشرط للربط بين فعل الشرط وجوابه^(١).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَكْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]

ورد أسلوب الشرط في موضع واحد وهو: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾

يتكون فعل الشرط من عناصر ثلاث وهي:

١. أداة الشرط: وهي (من) وهي أداة شرط جازمة كما ذكر النحاة.
٢. فعل الشرط: وهو (يأت) وهو فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو فعل الشرط.
٣. جواب الشرط: وهو (يضاعف) وهو فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السمون وهو جواب الشرط في الآية^(٢).

والفاحشة هي مخالفة الرسول صلوات الله تعالى وتسليماته عليه، وأي فاحشة أبين وأقبح من مخالفته، أو العمل على غير إرادته {يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} أي يكون ضعفي عذاب غيرهن من النساء؛ لأنهن لسن كسائر النساء؛ وكما أن حد العبد نصف حد الحر: يكون عذاب الخاصة ضعف عذاب العامة^(٣).

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٥٥).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤/ ٥٢).

(٣) انظر: أوضح التفاسير (١/ ٥١٢).

ولما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله تعالى ونواهيه قوي الأمر عليهم ولزمهم بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب^(١).

الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾

ورد أسلوب الشرط في موضع واحد وهو: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يتكون أسلوب الشرط في الآية من أداة الشرط الجازمة (من) ومن فعل الشرط وهو (يقنت) ومن جواب الشرط (نؤتها)^(٢)

أي من يخضع لله تعالى الخضوع التام، ويخشع ويتذلل لله في دعائه، واختار الحق سبحانه القنوت؛ لأنه سبحانه لا يحب من الطائع أن يدل على الناس بطاعته؛ لذلك يقول العارفون: رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً^(٣). فمن تطع الرسول فهي في منازل رسول الله ﷺ، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٣٨٢).

(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٢ / ١٥٧).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٩ / ١٢٠١٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٤٠٨).

المطلب الرابع: أسلوب القصر

أولاً: تعريف القصر لغة واصطلاحاً:

١. تعريف القصر لغة: القصر: الحبس، يقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] . وامرأة قاصرة الطرف: لا تمتد إلى غير بعلمها، كأنها تحبس طرفها حبساً.^(١)

٢. تعريف القصر اصطلاحاً: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصوراً، والثاني: مقصوراً عليه^(٢)

ثانياً: أمثلة على أسلوب القصر من سورة الأحزاب.

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي الكثير من الجمل التي وُردَ فيها أسلوب القصر وسأقصر الحديث في أربع آيات، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

ورد أسلوب القصر من طريقة النفي والاستثناء في قوله ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قصر قول المنافقين عما وعد الله ﷻ على الغرور وهو من باب قصر الموصوف على الصفة، تجدر الإشارة إلى أن طرق القصر أربع: وهي على النحو الآتي

. النفي والاستثناء: نحو قوله تعالى ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾
. القصر بإنما: نحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٣. والعطف بلا، أو لكن، أو بل نحو قولنا ما الفخر بالمال لكن بالعلم

٤. أو تقديم ما حقه التأخير نحو قولنا في الدار زيد^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٩٦ / ٥).

(٢) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ١٧٥).

(٣) انظر: علم المعاني (ص ١٤٩).

وعلماء المعاني يطلقون على التخصيص المستفاد من هذه الوسائل اسم القصر كما يطلقون على الوسائل ذاتها اسم طرق القصر^(١).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَافَةُ مِنْهُمْ بِتَآهَلٍ يَتَرَبَّ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

ورد أسلوب القصر من خلال توظيف طريقة النفي والاستثناء في قوله ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ فقصر الله إرادة المنافقين على الفرار من خلال استخدام طريقة النفي والاستثناء وهذا القصر من باب قصر الموصوف على الصفة.

ينقسم القصر من ناحية الصفة والموصوف إلى قسمين وهما

١. قصر صفة على موصوف فإن كان المقدم صفة فهو قصر صفة على موصوف
٢. موصوف على صفة، وإن كان المقدم موصوفاً فهو قصر موصوف على صفة. فكل مقدم مقصور، وكل مؤخر مقصور عليه، ويعرف نوع القصر من خلال التقديم والتأخير في العبارة^(٢).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ورد أسلوب القصر في الآية من خلال طريقة العطف بلكن في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

قصر الله ﷺ على الرسالة والنبوة وقد استخدم القرآن الكريم طريقة القصر بلكن وهنا نفت الآية أبوة النبي للرجال، وأثبتت له الرسالة والنبوة، وقد كان لرسول الله ﷺ أولاد منهم: إبراهيم والقاسم، والمعنى: ما كان محمد أباً أحد ممن تبناه ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم، وإن نساءه ﷺ عليهم حرام، وجواب آخر يكون هذا على الحقيقة أن النبي ﷺ في وقت نزلت فيه هذه الآية لم يكن أباً أحد من الرجال، ومن ذكرنا من إبراهيم والقاسم والطيب ماتوا صبياناً^(٣).

(١) انظر: علوم البلاغة «البيدع والبيان والمعاني» (ص ٣٤٣).

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص ٣٤٣).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢١٧/٣).

الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ورد أسلوب القصر من خلال توظيف طريقة إنما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

قصر الله ﷻ إرادته على ذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم من الذنوب وهو من باب قصر الموصوف على الصفة كما تقدم ودائماً في أسلوب القصر بإنما يكون المقصور بعدها مباشرة والمقصور عليه يكون متأخراً بخلاف القصر بطريقة النفي والاستثناء التي يتقدم فيها المقصور على أداة الاستثناء ويأتي المقصور عليه بعد أداة الاستثناء^(١).

(١) انظر: علم المعاني (ص ١٥٥).

المطلب الخامس: أسلوب الاستثناء

أولاً: تعريف الاستثناء لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف الاستثناء لغةً: معنى الاستثناء الشئ، وذلك أن ذكره يثنى مرة في الجملة، ومرة في التفصيل؛ لأنك إذا قلت: خرج الناس، ففي الناس زيد وعمر، فإذا قلت: إلا زيداً، فقد ذكرت به زيداً مرة أخرى ذكراً ظاهراً، أي: خرج مما دخل فيه.^(١)
٢. تعريف الاستثناء اصطلاحاً: إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكماً، ويتناول المنفصل حكماً فقط^(٢). من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي الكثير من الجمل التي وردَ فيها أسلوب الاستثناء، وسأقصر الحديث في أربع آيات، وهي:

ثانياً: أمثلة على أسلوب الاستثناء من سورة الأحزاب.

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي الكثير من الجمل التي ورد فيها أسلوب الاستثناء وسأقصر الحديث في ثلاث آيات، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]

ذكر الله ﷻ أسلوب الاستثناء في أثناء الحديث عن المنافقين الذين لا يقاتل منهم إلا القليل، ويكون قتالهم نفاقاً ورياءً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ تحدثت فيما سبق، أن من طرق أسلوب القصر طريقة النفي والاستثناء وهنا نلاحظ النقاء بين الأسلوبين في كون الاستثناء المنفي هو من القصر؛ ولذلك يجوز اعتبار هذا النوع من ضمن أسلوب القصر أو من ضمن أسلوب الاستثناء.

لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة، ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ولو كان هواء المنافقون

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: التعريفات (ص ٢٣).

فيكم لم يقاتل منهم إلا القليل منهم وهذا هو الاستثناء إذ استثنى منهم القليل الذين يقاتلون رياءً لا نصرة للدين^(١).

(ما) نافية (إلا) للحصر والاستثناء المفرغ (قليلاً) مفعول مطلق نائب عن المصدر لأن الاستثناء هنا غير تام^(٢).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

ورد أسلوب الاستثناء المفرغ في معرض حديث الله ﷻ عن زيادة الإيمان عند المؤمنين في قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

هنا أيضاً استخدم الله ﷻ أسلوب الاستثناء حيث استثنى الإيمان فالإيمان يزداد عند المؤمن والتسليم بأمر الله كذلك يزداد كلما زاد الإيمان واليقين في نفس المؤمن.

والاستثناء هنا استثناء مفرغ أي أن المستثنى منه محذوف وهو منفي (فإلا) أداة استثناء ملغاة عن العمل (وإيماناً) مفعول به ثان للفعل (زاد)^(٣)

تجدر الإشارة إلى أن الاستثناء ينقسم إلى عدة أقسام وهي:

١. استثناء تام موجب: في هذه الحالة يذكر المستثنى منه في الجملة ويكون الكلام مثبتاً أي لا يتقدم على الجملة نفي أو استثناء مثل قولنا (حضر المعلمون إلا واحداً) فالاستثناء في العبارة تام موجب ويجب فيه النصب على الاستثناء

٢. استثناء تام غير موجب: يذكر المستثنى منه في هذا النوع ويسبق بنفي أو استفهام وحكمه جواز الاتباع على البدلية أو النصب على الاستثناء نحو قوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦].

٣. استثناء غير تام (مفرغ): لا يذكر المستثنى منه في الاستثناء المفرغ، وتكون الجملة مسبوقه بنفي أو استفهام كقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالمستثنى منه محذوف في هذه الحالة وما بعد إلا يعرب حسب موقعه في الجملة^(٤)

(١) انظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٦١).

(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢١ / ١٤٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢١ / ١٤٧).

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل (٢ / ٢١٢).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حَسِبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ورد أسلوب الاستثناء التام غير الموجب في قوله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

فالاستثناء هنا تام غير موجب تام لأن المستثنى منه مذكور في الآية وغير موجب لتقدم النفي على الآية^(١)، (إلا) حرف استثناء مبني على السكون لا محل له من الإعراب ولفظ الجلالة (الله) مستثنى منصوب وعلامة نصبه الفتحة ويجوز فيه وجهاً آخر وهو كونه بدل منصوب وعلامة نصبه الفتحة وذلك لأن الاستثناء التام غير الموجب يجوز فيه النصب على الاستثناء والإتيان على البدلية^(٢).

(١) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٥٣).

(٢) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٢/ ٢٣١).

المطلب السادس: أسلوب القسم

أولاً: تعريف القسم لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف القسم لغةً:

القسم: مصدر قسمت الشيء فانقسم، والقسم الحظ والنصيب من الخير، وأُقسِمتُ: حلفتُ، وأصله من القسامة، وهي الأيمانُ تُقسَمُ على الأولياء في الدم والقسم بالتحريك: اليمين.^(١)

٢. تعريف القسم اصطلاحاً: هو أسلوب لغوي يستخدم لتأكيد الكلام وكذلك هي أيمان تقسم على المتهمين في الدم.^(٢)

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي الآيات التي وُردَ فيها أسلوب القسم في ثلاث آيات، وهي:

ثانياً: أمثلة على أسلوب القسم من سورة الأحزاب

الآية الأولى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾﴾ [الأحزاب: ١٥].

ورد أسلوب القسم في هذه الآية في بدايتها فقد ذكر أهل اللغة أن (اللام) التي تدخل على كلمة (قد) تكون موطئة للقسم وقد جاء بعد اللام بقدر لتوكيد القسم فأسلوب القسم دائماً يكون الغرض منه التوكيد فالإنسان يقسم ليؤكد المعنى وليؤكد وقوع الشيء^(٣).

(اللام) لام القسم لقسم مقدر (قد) حرف تحقيق وجملة: (كانوا عاهدوا) لا محل لها جواب القسم المقدر وجملة القسم المقدرة لا محل لها معطوفة على جملة لو دخلت.

وذكر أبو البقاء العكبري في تبيانه أن جملة (لا يولون) هي جواب القسم؛ لأن عاهدوا في معنى أقسموا^(٤).

الآية الثانية: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، ورد أسلوب القسم المؤكد بقدر في بداية الآية

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠١١).

(٢) انظر: التعريفات (ص ١٧٥).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢١٠).

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٥٣).

حيث إنّ (اللام) لام القسم لقسم مقدّر و(قد) حرف تحقيق وتوكيد والغرض من هذا القسم التوكيد جملة: (كان لكم ... أسوة) لا محلّ لها جواب القسم المقدّر^(١).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]

ورد أسلوب القسم في الآية في موضعين:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾

يقول ابن عرفة اللام في قوله تعالى: (لئن) هي المؤذنة بمجيء القسم، واللام في (لنغرينك) هي لام القسم، وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في هذه الآية، وقرن توعد بقرينة متابعتهم وتركهم^(٢).

لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم؛ بإضمارهم الكفر وإظهارهم الإسلام، والذين في قلوبهم فجور بتعلقهم بشهواتهم، والذين يأتون بالأخبار الكاذبة في المدينة ليفرقوا بين المؤمنين لأنأمرك أيها الرسول -بمعاقبتهم، ولنسلطنك عليهم^(٣).

الموضع الثاني: : قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾

واللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم ونغرينك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة^(٤).

تدخل لام القسم على الفعل المضارع المنتهي بنون مشددة ويكون فعل القسم محذوف تقديره قسمي كما ذكر المبرد^(٥) في كتابه المقتضب (اللام) في كلمة (لنغرينك) هي لام القسم وقد حذف فعل القسم وتقديره قسمي^(٦).

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢١ / ١٤٦).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٣٩٩).

(٣) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم (١ / ٤٢٦).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٨ / ٤٨).

(٥) مُحَمَّد بن يزيد بن عبد الأَكْبَر الأَزْدِي البَصْرِي أَبُو العَبَّاس المَبْرَد إِمَام العَرَبِيَّة ببغداد في زَمَانه أَخَذَ عَن

الْمَازِنِي وَأَبِي حَاتِم السَّجِسْتَانِي وَغَيْرَهُمَا لِلْمَزِيد انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (٥ / ١٤١).

(٦) انظر: المقتضب (٣ / ٢٣٣).

المطلب السابع: أسلوب الأمر والنهي

أولاً: تعريف الأمر والنهي لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف الأمر لغةً واصطلاحاً:

أ. تعريف الأمر لغةً: الأَمْرُ: ضِدُّ النَّهْيِ، وَأَمَرَهُ فَأَتَمَّرَ، والجمع أُمُورٌ، وأَمَرَ علينا، إذا وَلِيَّ، وله عَلَيَّ أَمْرٌ مُطَاعَةٌ، بالفتح، لِلْمَرَّةِ مِنْهُ، أَي: لَهُ عَلَيَّ أَمْرٌ أَطِيعُهُ فِيهَا. والأَمِيرُ: الْمَلِكُ، وَأَوَّلُو الْأَمْرِ: الرُّؤَسَاءُ، والعلماء. (١)

ب. تعريف الأمر اصطلاحاً: هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام (٢).

٢. تعريف النهي لغةً واصطلاحاً:

ت. تعريف النهي لغةً: النَّهْيُ: خِلَافُ الْأَمْرِ نَهَاهُ يَنْهَاهُ نَهْياً فَانْتَهَى وَتَنَاهَى: كَفَّ؛ وَنَفْسٌ نَهَاءٌ: مُنْتَهِيَةٌ عَنِ الشَّيْءِ. وَتَنَاهَوْا عَنِ الْأَمْرِ وَعَنِ الْمُنْكَرِ: نَهَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً. (٣)

ث. تعريف النهي اصطلاحاً: هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام (٤).

ثانياً أمثلة على أسلوب الأمر والنهي في سورة الأحزاب

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي كثرة الآيات التي وُردَ فيها أسلوب الأمر والنهي ولكثرة هذه الآيات اقتصرنا على الآيات التي ورد فيها الأسلوبان معاً وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]

(١) انظر: القاموس المحيط (ص ٣٤٤).

(٢) انظر: التعريفات (ص ٣٤).

(٣) انظر: لسان العرب (٥/ ٢٤٦).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٥٣).

وظف الله ﷺ أسلوب الأمر والنهي في معرض خطاب النبي ﷺ الموجه للأمة الإسلامية جمعاء.

١. أسلوب الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾

استخدم الله ﷺ فعل الأمر (اتق) في خطاب نبيه ﷺ والأمر هنا أمر حقيقي^(١). الخطاب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ والمراد به أمته: إذ ليس في البشر جميعاً أنقى منه لمولاه عليه صلوات الله^(٢).

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ أي دم على تقواه، وليتق الله المؤمنون، بأسلوب يقصد به تنبيه بالأعلى وهو النبي على الأدنى وهم المؤمنون، فإنه تعالى إذا أمر رسوله بالتقوى، كان المؤمنون مأمورين بها بطريق الأولى أو أنه أمر قصد به الثبات والاستدامة على التقوى^(٣).

٢. أسلوب النهي: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

بعد استخدام أسلوب الأمر ورد أسلوب النهي في الآية في معرض خطاب الله للنبي ﷺ الموجه لأمته وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فيما يخالف شريعتك وأوامر ربك^(٤).

(لا) ناهية جازمة، (تطع) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون ، وحرك آخره بالكسر لالتقاء الساكنين^(٥).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسُنَّ كَاٰدِرٍ مِّنَ السَّاءِۙ اِنْ اٰتَقَيْتُنَّۙ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِيۙ فِيۤ قَلْبِهٖۙ مَّرَضٌۭ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۙ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

ورد أسلوب الأمر والنهي في الآية في معرض الحديث عن زوجات النبي ﷺ

١. أسلوب النهي: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾

(١) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤١).

(٢) انظر: أوضح التفاسير (١/ ٥٠٧).

(٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٢٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢٢٧).

(٥) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢١/ ١٢٥).

النهي من أنواع الإنشاء الطلبي والنهي، وهو: طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام وأسلوب النهي له صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية^(١).

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب أثناء الحديث عن زوجات النبي (فَلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية (تَخْضَعْنَ) مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط^(٢).

(فَلا تَخْضَعْنَ) جملة النهي وقعت جواب لشرط سابق وعلى هذا: فجملة (فَلا تَخْضَعْنَ) مستأنفة؛ أي: فلا تخضعن ولا تُلَّ (الْقَوْل) عند مخاطبة الناس^(٣).

٢. أسلوب الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

(وَقُلْنَ) أمر مبني على السكون ونون النسوة فاعل والجملة معطوفة (قَوْلًا) مفعول مطلق (مَّعْرُوفًا)^(٤)

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) عند الناس بعيداً من التهمة والريبة والإطماع بجد وخشونة، لا بتكسر وتغنج، كما يفعله المخنث على سنن الشرع، لا ينكر منه سامعه شيئاً، ولا يطمع فيهن أهل الفسق والفجور بسببه، فالزنا من أسباب الهلاك المعنوي، كالموت من أسباب الهلاك الحسي، وسببه الملاينة في الكلام والمطاوعة^(٥).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ورد أسلوب الأمر في هذه الآية في أكثر من موضع والنهي في موضع واحد وهي على النحو الآتي:

(١) انظر: علم المعاني (ص ٨٣).

(٢) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٥٠).

(٣) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٣/ ١١).

(٤) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٥٠).

(٥) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٣/ ١٢).

١. أسلوب الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

أمر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وأعلمهن أنه فعل الجاهلية الأولى^(١).

وَقَرْنَ فعل أمر مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل على الألف للتعذر (وَأَقِمْنَ) (وَأَتِينَ) (وَأَطِعْنَ) إعرابها كسابقها فنلاحظ أن الله ﷻ استخدم فعل الأمر في أكثر من موضع والأمر في هذه المواضع أمر حقيقي على سبيل الاستعلاء والإلزام^(٢).

٢. أسلوب النهي: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

فنهى هنا يحمل معنى النهي عن مطلق التبرج المعلن بكون جنسه أو نوعه من صفة فعل الجاهلية، فتبرج الجاهلية علة للنهي لا تأكيد له^(٣)، (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تَبَرَّجْنَ) فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم ونون النسوة فاعله^(٤).

الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ١]

١. أسلوب النهي: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

وظف الله أسلوب النهي في حديثه عن ترك طاعة الكفار والمنافقين و(لا) ناهية جازمة (تطع) فعل مضارع مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين^(٥)

ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فلعل ذلك يكون أدعى لأن يؤمنوا بما جئتهم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلاً يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة^(٦).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٣).

(٢) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٥٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة (٣/ ٢٩٥).

(٤) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٥٠).

(٥) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٢/ ١٧٢).

(٦) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم (١/ ٤٢٤).

٢. أسلوب الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

معناه دع أذى المنافقين، وتأويل (وَدَعِ أَذَاهُمْ) دَعَهُمْ لَا تَجَازِهِمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَوَمَّرَ فِيهِمْ بِأَمْرٍ^(١)، دع الأذى الذي يؤذونك به أي لإنجازهم عليه حتى تَوَمَّرَ فِيهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا تَوَذَّهِمْ^(٢)، (وَدَعِ أَذَاهُمْ) أَمَرَ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ (تَوَكَّلْ) أَمَرَ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ أَيْضاً وَاسْتِخْدَامَ اللَّهِ لَصِغَةِ فِعْلِ الْأَمْرِ هُنَا جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْزَامِ^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣١ / ٤).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢١٩ / ٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥٤ / ٣).

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام

أولاً: تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً:

١. تعريف الاستفهام لغة: ف هـ م: فَهَمَ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ فَهَمًا وَفَهَامَةً أَيْ عَلِمَهُ. وَفُلَانٌ فَهَمٌ. وَاسْتَفْهَمَهُ الشَّيْءُ فَأَفْهَمَهُ وَفَهَمَهُ تَفْهِيمًا وَ (تَفَهَّم) الْكَلَامَ فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ^(١).
٢. تعريف الاستفهام اصطلاحاً: استعمال ما في ضمير المخاطب وطلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور^(٢).

ثانياً: أمثلة على أسلوب الاستفهام في سورة الأحزاب:

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي ورود أسلوب الاستفهام في آية واحدة، وهي:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]

ورد أسلوب الاستفهام في هذه الآية في موضع واحد وهو قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، فما في هذا الموضع اسم استفهام يحمل معنى العموم والشمول ويفيد معنى الإنكار فالغرض البلاغي للاستفهام كما ذكر معربو القرآن الكريم الإنكار^(٣).

(ما) اسم استفهام للإنكار مبني على السكون في محل رفع مبتدأ وجملة يدريك خبره ولعل واسمها وجملة تكون خبرها والجملة معلقة بالاستفهام فهي في محل نصب مفعول ثانٍ^(٤). (ما) اسم استفهام مبتدأ خبره جملة يدريك (قريباً) خبر تكون وهو عوض من موصوف أي شيئاً قريباً^(٥).

(١) انظر: مختار الصحاح (ص ٢٤٤).

(٢) انظر: التعريفات (ص ١٨).

(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٨ / ٥٠).

(٤) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٢ / ١٩٢).

(٥) انظر: إعراب القرآن للدعاس (٣ / ٥٩).

المطلب التاسع: أسلوب ضرب الأمثال

أولاً: تعريف الأمثال لغة واصطلاحاً:

١. تعريف الأمثال لغة: مثل: مِثْلُ كَلِمَةٍ تَسْوِيَةٌ نَقُولُ هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ كَمَا يُقَالُ: شِبْهُهُ وَ الْمِثْلُ مَا يُضْرَبُ بِهِ مِنَ الْأَمْثَالِ^(١). وَمِثْلُ الشَّيْءِ أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ صِفَتُهُ، وَتَمَثَّلَ هَذَا الْبَيْتُ بِمَعْنَى. وَ (امْتَثَلَ) أَمَرَهُ اخْتَدَاهُ^(٢).

٢. تعريف الأمثال اصطلاحاً:

الأمثال تحكى وتضرب على نحو ما جاءت بها العرب ولا تغير صيغتها^(٣). لقد أبدع العرب في ضرب الحكم والأمثال في العصر الجاهلي وفي العصور المختلفة، في مختلف المواقف والأحداث، والتي لا يزال بعضها حياً إلى يومنا هذا، فلا يكاد يخلو موقف من حياتهم إلا ضربوا فيه الأمثال، وقلما نجد خطبة أو قصيدة تخلو من الحكمة ومن الأمثال ولعلنا لو نظرنا إلى العصر العباسي لوجدنا الكثير من المؤلفات التي تحدثت عن الأمثال منها كتاب مجمع الأمثال وكتاب جمهرة الأمثال.

ومن أشهر الأمثال عند العرب القديمة والتي ما تزال حية حتى يومنا

١. عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ: يضرب لمن يأتي بخبر فاصل يقطع كل لسان عن الحديث^(٤).

٢. رَجَعَ بِخُفْيِ خُنَيْنٍ: يضرب في الإنسان الذي يعود خائباً^(٥).

٣. أخلف من عرقوب: يضرب لمن يخلف بالوعد^(٦).

٤. الصَّيْفُ ضِيَعَتِ اللَّبَنُ: يضرب لمن يضيع أمراً على نفسه ثم يطلبه بعد فوات الأوان^(٧).

(١) انظر: القاموس المحيط (ص ١٠٥٦).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص ٢٩٠).

(٣) انظر: جمهرة الأمثال (١ / ٧).

(٤) انظر: مجمع الأمثال (٢ / ٣).

(٥) انظر: مجمع الأمثال (١ / ٢٩٦).

(٦) انظر: جمهرة الأمثال (١ / ٤٣٣).

(٧) انظر: جمهرة الأمثال (١ / ٧).

ثانياً: أمثلة على أسلوب ضرب الأمثال في سورة الأحزاب

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكرت في سياق التوجيهات التربوية في سورة الأحزاب، تبين لي ورود أسلوب ضرب الأمثال في العديد من الآيات منها:

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفرع والحنجرة جوف الحلقوم، وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، وقيل معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رنته وإذا انتفخت رنته رفعت القلب إلى الحنجرة فلهذا يقال: للجبان انتفخ سحره^(١).

الآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَنِ حِدَادٍ أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩]

ورد أسلوب ضرب المثل في قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾

وكثيراً ما تستخدم الآية في التمثيل على الخوف الشديد، فإذا جاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ في أحداقهم. كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ كَنَظَرِ الْمَغْشَى عَلَيْهِ أو كدوران عينيه، أو مشبهين به أو مشبهة بعينه. مِنَ الْمَوْتِ من معالجة سكرات الموت خوفاً^(٢). فهم عاجزون عن القتال كالنساء لما يدركهم من الهلع والخور والخوف، وهو الظاهر أي من شأنهم أنهم لا يأتون البأس ولا يستطيعونه ولا يقدرّون عليه^(٣).

(١) انظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة (٣/ ٢٩٠).

الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

نجد الكثير من الناس يستخدم قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بمثابة المثل في غزوة الأحزاب بعث الله على الكفار الريح وسلط عليهم الملائكة؛ حتى هزمهم حتى كفوا القتال والحرب معهم وما لفت انتباهي في هذه الأيام أنني أجد الكثير من الناس يستخدم الآية مثلاً في الكثير من المواقف التي تتدخل فيها العناية الإلهية^(١).

لم يشمت بالمسلمين عدوا، ولم يوصل إليهم من كيدهم سوءاً، ووضع كيدهم في نحورهم، واجتثهم من أصولهم، وبين بذلك جواهر صدقهم وغير صدقهم، وشكر من استوجب شكره من جملتهم، وفضح من استحق الذم من المدلسين منهم وكثيراً ما نجد الآية ما تستخدم في مواقف مشابهة^(٢).

(١) انظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٧٠).

(٢) انظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ١٥٨).

المطلب العاشر: أسلوب علاقة الفاصلة بموضوع الآية

كما أن القرآن الكريم مُعْجَز في مضمونه، فهو معجز أيضاً في أسلوبه وبيانه، وتعد الكلمات التي تُختم بها آياته من أساليب القرآن المعجزة، وتراكيبه المبدعة، وتسمى فواصل القرآن، وهذا ما قاله الإمام ابن الجوزي: "ويسمون أواخر الآي: الفواصل"^(١)، وقال ابن عاشور: "الفواصل كلها منتهى آيات، ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام، ولم تقع عند انتهائه فاصلة، لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادراً"^(٢).

أولاً: تعريف الفاصلة لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف الفاصلة لغة:

فصل: الْفُصْلُ وَاحِدُ الْفُضُولِ، وَفَصَلَ الشَّيْءَ فَانْفَصَلَ أَيَّ قَطَعَهُ فَانْقَطَعَ وَبَابُهُ ضَرَبَ، وَالنَّقْصِيلُ أَيْضاً: النَّبِيُّنَ، وَالْفَيْصِلُ: الْحَاكِمُ، وَقِيلَ: الْقَضَاءُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(٣).

٢. تعريف الفاصلة اصطلاحاً:

هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْفَصِلُ مِمَّا بَعْدَهُ وَالْكَالِمُ الْمُنْفَصِلُ قَدْ يَكُونُ رَأْسَ آيَةٍ وَغَيْرَ رَأْسٍ وَكَذَلِكَ الْفُوَاصِلُ يَكُنْ رُءُوسَ آيٍ وَغَيْرَهَا وَكُلُّ رَأْسِ آيَةٍ فَاصِلَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ فَاصِلَةٍ رَأْسَ آيَةٍ فَالْفَاصِلَةُ تَعُمُّ النُّوعَيْنِ^(٤).

وعرّف ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" الفاصلة القرآنية بأنها: "الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكرراً يُؤْذَنُ بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة"، من جملة المقصود من الإعجاز؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل؛ لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر، وبالأسجاع في الكلام المسجوع"^(٥)، فكلام ابن عاشور وغيره يفيد

(١) زاد المسير، ابن الجوزي (٢٦٧/١).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المقدمات (٧٥/١).

(٣) انظر: مختار الصحاح (ص ٢٤٠).

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٤).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٥/١)، المقدمات المقدمة الثامنة في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها آيات القرآن.

أن الفواصل القرآنية إنما هي الكلمات التي تختتم بها الآيات، وتكون على وزن واحد، وتتناسق متشابه في الأغلب.

وعرفت بأنها هي كلمة آخر الآية؛ "كقافية الشعر قرينة السجع"^(١)، وذكر السيوطي كلاماً بهذا الصدد حاصله، أنه لا يجوز تسمية الفواصل القرآنية قوافي إجماعاً؛ لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً؛ لأنها منه وخاصة به، فكما يمتنع استعمال القافية في القرآن، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى، فلا تتعداه^(٢).

ومن أوضح التعاريف وأشملها للفواصل: "الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ولا يشترط أن يكون رأس آية، وأن الفاصلة قد تقع عند نهاية المقطع الخطابي، وسبب تسميتها بالفاصلة أن الكلام يفصل عندها"^(٣).

والخلاصة: الفاصلة هي ما خُتِمَتْ به الآيات القرآنية من حروف أو كلمات، أو جُمْل تُلَخِّص معاني النصوص، ويتضح أن الفاصلة القرآنية تجمع بين جوهر المعنى يليه حُسن الشكل، ولا تُعَدُّ بألفاظ جميلة، أو تبحث عن مشكلة فنية تُجور على المعنى لتحقيق زُخرف البديع.

ثانياً: أمثلة على أسلوب الفاصلة في سورة الأحزاب:

١. الآيات الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ١ - ٣]

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

تبدأ السورة بتوجيه النبي ﷺ إلى تقوى الله وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين، واتباع ما يوحى إليه ربه، والتوكل عليه وحده، وهذا البدء الذي يربط سائر ما ورد في السورة من تنظيمات وأحداث، بالأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع هذا الدين وتوجيهاته، ونظمه وأوضاعه، وآدابه

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١ / ٥٣).

(٢) الإتيان في علوم القرآن - السيوطي - (٢٦٢/٢).

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص ٥٣).

وأخلاقه.. أصلُ استشعار القلب لجلالِ الله، والاستسلام المطلق لإرادته؛ واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته^(١)

وختُمت الآية بجملة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) تعليلًا للأمر بالاتباع وتأنيسًا به؛ لأنَّ الله خبيرٌ بما في عوائدكم ونفوسكم، فإذا أبطل شيئاً من ذلك فإنَّ إبطاله من تعلق العلم بلزوم تغييره، فلا تترثوا في امتثال أمره في ذلك^(٢).

٢. الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

استئناف اعتراض بين التمهيد والمقصود من التشريع، من نفي وجود قلبين لرجلٍ، ومن كون الزوجة المظاهر منها أمًّا لمن ظاهر منها، ومن كون الأدعياء أبناء مُتبنيهم، وإذ قد كانت تلك المنفيات الثلاثة ناشئة عن أقوالٍ قالوها، فإن نفيها ناشئ عن قول العليم الخبير، قوله الحق وهو الذي يهدي إلى الطريق السليم، وفي الإخبار عن اسم الجلالة وضميره بالمسندين الفعلين إفادة قصر القلب، أي هو يقول الحق لا الذين وضعوا لا لكم تلك المزاعم، وهو يهدي السبيل لا الذين أضلوا الناس بالأوهام^(٣).

٣. الآية (١٥): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥]

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

هكذا يكشفهم القرآن؛ ويقف نفوسهم عارية من كل ستار، ثم يصمم بعد هذا بنقض العهد وخلف الوعد. ومع من؟ مع الله الذي عاهدوه من قبل على غير هذا؛ ثم لم يراعوا مع الله عهداً: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً.

وعند هذا المقطع - وهم أمام العهد المنقوض ابتغاء النجاة من الخطر والأمان من الفزع - يقرر القرآن إحدى القيم الباقية التي يقررها في أوانها؛ ويصحح التصور الذي يدعوه إلى نقض

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، سورة الأحزاب (٢٨١٧/٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٥٣/٢٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٦٠/٢٢).

العهد والفرار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١). [الأحزاب: ١٥]

٤. الآية (٢٠): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

بعد أن ذكر الله تعالى صفات المنافقين، وكشف خداعهم وتهربهم من القتال والمواجهة، وأبان جنبتهم وخوفهم، واختلاقهم الأكاذيب والمعاذير حتى يهربوا من القتال، قال تعالى زيادة في تزيينهم وتوبيخهم، وطمأنة للمؤمنين وتسلية لهم: أنه حتى لو كان هؤلاء الناس في صفكم، وبقوا معكم، لم يكن وجودهم وبقاؤهم ذا قيمة ولا ذا وزن يذكر في المعركة؛ فهم لو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً، "فتباً لهم، وبعداً، فليسوا ممن يغالى بحضورهم فلا تبالوهم، ولا تأسوا عليهم" (٢).

٥. الآية (٤٦): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاعِيَ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

قوله: {وسراجاً منيراً} تشبيه بليغ بطريق الحالية وهو طريق جميل، أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس، فيها والتي لا تترك للباطل شبهة إلا فضحتها وأوقفت الناس على دخالها، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان، وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي ﷺ من البيان وإيضاح الاستدلال وانقشاع ما كان قبله في الأديان من مسالك للتبديل والتحريف فشمّل ما في الشريعة من أصول الاستنباط والتفقه في الدين والعلم، فإن العلم يشبهه بالنور فناسبه السراج المنير (٣).

٦. الآية (٧٣): قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ

وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٢٨٣٧).

(٢) تفسير السعدي، سورة الأحزاب، (٦/١٣٧٦).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٥٢).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

ختمت السورة الكريمة بالحديث عن الأمانة العظيمة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم، القليل القوة، الضعيف الحول، المحدود العمر؛ الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع، وقد حملها بإرادته وبجهله أيضاً!

ذلك كان "ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً"

فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة؛ وأخذه على عاتقه أن يعرف بنفسه، ويهتدي بنفسه، ويعمل بنفسه، ويصل بنفسه.. هذا كان ليحتمل عاقبة اختياره، وليكون جزاؤه من عمله، وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وليرى الله يد العون للمؤمنين والمؤمنات، فيتوب عليهم مما يقعون فيه تحت ضغط ما ركب فيهم من نقص وضعف، وما يقف في طريقهم من حواجز وموانع، وما يشدهم من جواذب وأثقال.. فذلك فضل الله وعونه. وهو أقرب إلى المغفرة والرحمة بعباده: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**^(١).

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٨٨٥/٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد (ﷺ) وعلى أصحابه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

وبعد تمام منة الله تعالى وعونه لي بإتمام هذه الدراسة التي بين فيها الباحث التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في سورة الأحزاب دراسة قرآنية موضوعية، فقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

نذكرها في خمسة عشر بنداً، كما يلي:

١. أحزاب الأُمس الذين فضحهم الله في سورة الأحزاب، والذين تكالبوا على النبي (ﷺ) وصحبه الكرام، هم نفس أحزاب اليوم المتكالبين على المسلمين والمصلحين والغيورين وإن اختلف الزمان والمكان والأسماء فقط
٢. شمولية سورة الأحزاب لقضايا متعددة منها العقدي والاجتماعي والتعدي والأخلاقي والجهادي العسكري في ثلاث وسبعين آية، وفيه إعجاز بياني لكلام الله تعالى
٣. قدمت السورة _ لمن تدبرها _ تصوراً واضحاً دقيقاً عن حقيقة اليهود والمنافقين والمشركين في عهد النبي وصحبه ما يوفر على الأمة العربية والإسلامية اليوم الكثير من الوقت والجهد في التعامل مع هذه الفئات الثلاث
٤. أسماء الله الحسنى التي ذكرت في فواصل آيات السورة فيها من الدقة البلاغية الرائعة والحكمة البالغة في مدى التناسب في اختيار الاسم المناسب في سياقه النص القرآني
٥. تناولت السورة جانب الآداب بشكل حضاري راقٍ وخاصة جانب الزيارات ودخول البيوت وحرمتها وستر المرأة وحجابها
٦. الفهم الصحيح للنص القرآني يتحقق من خلال معايشة السورة وعمق دراستها؛ وبعد ذلك يمكن استنباط التوجيهات التربوية منها والأساليب المستنبطة فيها.
٧. إن شمولية التوجيهات التربوية وأساليبها البيانية المتنوعة تساهم بشكل قوي في بناء الفرد المسلم بناءً شمولياً وسطيّاً معتدلاً متكاملًا متوازنًا يصلح لقيادة الدنيا وخلافتها وعمارتها على مراد الله تعالى

٨. إعادة ترتيب الأفكار من خلال إلقاء الضوء على بعض المصطلحات والمفاهيم في السورة، والتمييز بين العقدي منها والتشريعي والأخلاقي والعسكري، وتوضيح معانيها لغةً واصطلاحاً وآثارها التربوية بالأسلوب البياني المعجز المناسب لها.
٩. صلاحية القرآن المتجددة والمرنة لإصلاح كل زمان ومكان لمن يحسن فهمه
١٠. كل ما تعاني منه الأمة العربية والإسلامية اليوم من هوان وتطبيع مع الأعداء سببه وعلاجه والخلاص منه في سورة الأحزاب خاصة والقرآن بشكل عام
١١. صحت السورة مفاهيم وشرعت أحكاماً تحقق السعادة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، منها قضية: التبني، التبرج، وحجاب المرأة، حرمة البيوت، أدب الزيارة
١٢. رسمت السورة للمؤمنين في كل زمان ومكان طريق النصر، وعززت ثقتهم بأن العاقبة للحق وأهله مهما تحزب الباطل وتكالب عليه، وأن لله سنن ونواميس من حققها وركبها وصل لموعود الله الذي لا يحابي ولا يجامل تعالى الله عن ذلك
١٣. أكدت سورة الأحزاب أن مآل الباطل وأذنبه إلى زوال، والمطلوب من المسلمين ألا يفكروا في كيفية زوال أحزاب الباطل المنتقش؛ لأن سورة الأحزاب بينت أن جنود ربك لا يعلمها إلا هو، ومنها الريح والملائكة والجند التي لا ترونها، فلا تتشغلوا بالنصر واسألوا أنفسكم ماذا قدمتم لهذا النصر؟ وأين موقعكم منه؟
١٤. ختم الله السورة بالحديث عن عظم أمانة هذا الدين وهذه الدعوة التي قدم فيها نبينا وصحبه من خير القرون دماءهم وأرواحهم وأموالهم حتى وصل إلينا صافياً نقياً، فهذه الأمانة أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال، وحملها الإنسان، فعليه أن يقوم بهذه الأمانة بهمة عالية ووفاء ثابت وعزيمة صادقة ويقدم في سبيلها التضحيات العظيمة دون شح أو بخل.
١٥. الطريق واضح وهو محفوف بالابتلاءات، والنصر مضمون ومكفول من عند الله، لمن أخلص علمه لله تعالى وحده، وكان أمله أن يرضى الله عنه، واتخذ القرآن منهاجاً في جميع شؤون حياته، واقتدى برسول الله (ﷺ) في أقواله وأفعاله، وسلك سبيل المصلحين المجاهدين، وجعل الشهادة في سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى هي أسنى الأمانى.

ثانياً: أهم التوصيات

بناءً على النتائج التي خلص إليها الباحث، فإنه يوصي بما يلي:

١. تقوى الله عز وجل أولاً، وبذل الجهد في تحصيل العلم النافع في عمارة الدنيا بدين الله، وأشرف العلوم العلم الشرعي، وفي القلب منها القرآن الكريم وعلومه.
٢. حث النخب_ مهما كان تخصصه وموقعه _ على تحصيل ما تيسر من دراسة قرآنية تتير بصيرته بنور القرآن وعلومه؛ لضمان ضبط المسار واستقامته.
٣. رفع نسبة القبول في التخصصات الشرعية وخاصة تفسير القرآن وعلومه، على غرار كليات الطب والهندسة ونحوها؛ مع تقليد خريجها المناصب المتقدمة في الدولة، ليبقى الدين وأهله عنوان القوة والأمانة في حفظ الدين وحراسة الدنيا.
٤. رفع توصيات لولاة الأمور بدعم وتعزيز دور القرآن الكريم في المساجد والمراكز والجامعات والدراسات، والإعلام المرئي والمسموع والمقروء، ومواقع التواصل الاجتماعي، مع انتقاء أئمة مساجد من القراء الموهوبين، فيتحقق عملياً معنى "القرآن دستورنا".
٥. يوصي الباحث طلبة العلم اللاحقين إلى أن يبدأوا من حيث انتهى من سبقهم في رسائلهم؛ توفيراً للجهد والوقت؛ وتقديم ما فيه تجديد وإبداع يخدم الدعوة الإسلامية بما يواكب متطلبات العصر وتقنياته الحديثة.
٦. نوصي بتدريس غزوة الأحزاب في الأكاديميات العسكرية، وغرس معانيها وتفصيلها في نفوس أبناء فصائل المقاومة الفلسطينية
٧. تضمين مادة أساسية للقرآن الكريم وعلومه في المناهج الدراسية بداية من رياض الأطفال حتى التخرج من الجامعات بكل تخصصاتها؛ إعداداً لجيل معركة وعد الآخرة لتحرير أسرارنا ومسرانا وكل بلادنا من بحرنا إلى نهرها وعودة لاجئنا.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

١. الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: عدد الأجزاء: ٤، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، عدد الأجزاء: ١٨، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ١٤٠٥ هـ.
٤. الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، التصنيف: علوم إجتماعية.. عدد المجلدات ٢، ٢٠٠٨م.
٥. الأخلاق في الإسلام، كايد فرعوش، عمان: دار المناهج للنشر، نوع المادة: كتاب. ١٩٩٨م.
٦. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستقيداً من تخرجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط١، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٧. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي ط٤، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
٨. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي. ط٤. عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩. الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة ط٦، عدد الأجزاء: ١١، ١٤٢٤ هـ.

١٠. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع. عدد الأجزاء: ١.
١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٢. إعراب القرآن الكريم ، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي - دمشق ط١، ١٤٢٥ هـ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مذيل بالحواشي وضمن خدمة مقارنة التفاسير]
١٣. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١ هـ.
١٤. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط١ - ١٤١٨ هـ.
١٦. آيات آل البيت في القرآن الكريم الدلالات والهدايات، منصور بن حمد بن صالح العيدي، ط١، عدد الأجزاء ١، ١٤٢٨ هـ.
١٧. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط٥، عدد الأجزاء: ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
١٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت: ١٤٢٠ هـ.

١٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) ، دار الحديث - القاهرة، عدد الأجزاء: ٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين، المحقق: محمد علي النجار - عبد العليم الطحاوي، حالة الفهرسة: غير مفهرس، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عدد المجلدات: ٦ ، ط٣، ١٤١٦ - ١٩٩٦.

٢١. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) ، دار التراث - بيروت. ط٢ - عدد الأجزاء: ١١، ١٣٨٧ هـ

٢٢. تبصير الرحمن وتيسير المنان، علي بن أحمد بن إبراهيم المهاييمي، أبو بكر السجستاني، مطبعة بولاق - مصر، موضوعات الكتاب تفسير القرآن الكريم، حالة الفهرسة: غير مفهرس، عدد المجلدات: ٢، ١٢٩٥هـ.

٢٣. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشَّليبي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشَّليبي (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة. ط١، ١٣١٣ هـ.

٢٤. التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ عدد الأجزاء: ٣٠.

٢٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٦. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط١، عدد الأجزاء: ٤، ٢٠٠٨م

٢٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٨. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٩. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١، عدد الأجزاء: ٢٥، ١٤٣٠ هـ.
٣٠. تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم عدد الأجزاء: ٢٠، ١٩٩٧م.
٣١. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١ - ١٤١٩ هـ.
٣٢. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط١، عدد الأجزاء: ١٠، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، عدد الأجزاء: ٣٠، ١٤١٨ هـ.
٣٤. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، موسوعة مكونة من عشر مجلدات؛ أعتها مجموعة من المتخصصين في القرآن وعلومه، اشتملت على تفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً؛ حيث يبدأ المفسر بحثه باتباع المنهج التالي: فيبدأ أولاً بين يدي السورة، ثم التفسير الإجمالي للمقطع، ثم الهدايات المستنبطة من المقطع، ويتراوح حجم التفسير الإجمالي للمقطع مع الهدايات من (٥-٧) صفحات لكل صفحة من المصحف.
٣٥. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط١٠ - ١٤١٣ هـ.

٣٦. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائيس الأستاذ بالأزهر الشريف المحقق: ناجي سويدان ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، عدد الأجزاء: ١، ٢٠٠٢م.

٣٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان. ط١، عدد الأجزاء: ٣٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٣٨. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان. ط١، عدد الأجزاء: ٣٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

٣٩. تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مكتبة الإسكندرية، قسم كتب الثقافة الإسلامية، المجلدات: ١.

٤٠. تهذيب مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، وهذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، قسم العلوم الشرعية، مكتبة الإسكندرية - مصر.

٤١. التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة. ط١، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٤٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ط١، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

٤٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٧، عدد الأجزاء: ٢، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

٤٤. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، عدد الأجزاء: ٢٠. ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٤٥. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت ط٤، ١٤١٨هـ عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠) ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة تفاسير]
٤٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ، دار العروبة - الكويت. ط٢، عدد الأجزاء: ١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٤٧. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: ٢ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]
٤٨. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ط١، عدد الأجزاء: ١٩، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
٤٩. الحاوي في تفسير القرآن الكريم، جمعه وأعدّه: عبد الرحمن بن محمد القماش يعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة في تفسير القرآن الكريم وعلومه، تضم أكثر ما حوته أمهات الكتب من تفاسير، وقراءات، وإعراب، وبلاغة، ولطائف، وفوائد، وإعجاز علمي... إلخ. فضلاً عما احتوى عليه الكتاب من الأبحاث العلمية المتنوعة: تاريخية، وعقدية، وفقهية، ولغوية.
٥٠. الحاوي من فتاوى الشيخ الألباني، محمد إبراهيم، العلمية للنشر والتوزيع - القاهرة ٢٠٠٣م.
٥١. الحجاب، أبو الأعلى المودودي، عدد المجلدات: ١، ٢٠٠٩م.
٥٢. حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ، أبو بدر محمد بن بكر آل عابد، الناشر دار الغرب الإسلامي، عدد الأجزاء ١، ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥م.
٥٣. الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، جمع وترتيب: وحيد بن عبد السلام بالي، دار الفوائد - دار ابن رجب. ط٢، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٣م
٥٤. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، دار الفكر - بيروت. عدد الأجزاء: ٨.

٥٥. ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم، مها محمد عرفة سكيك، تحقيق عبد الرحمن يوسف الجمل، الجامعة الإسلامية بغزة، عدد الأجزاء: ١، ٢٠١٠م ١٤٣١هـ
٥٦. الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) ، دار الهلال - بيروت، ط ١ عدد الأجزاء: ١.
٥٧. رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) ، دار الفكر-بيروت. ط ٢، ١٤١٢هـ - عدد الأجزاء: ٦. ١٩٩٢م.
٥٨. الرسول القائد، محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار الفكر - بيروت ط ٦ - ١٤٢٢ هـ عدد الأجزاء: ١.
٥٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، عدد الأجزاء: ١٦، ١٤١٥ هـ
٦٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان ط ٣، عدد الأجزاء: ١٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٦١. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت. ط ١ - ١٤٢٢ هـ.
٦٢. الزهد والرقائق (ط. المعراج)، عبد الله بن المبارك المروزي، المحقق: أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، عدد المجلدات: ٢، ط ١، ١٤١٥ - ١٩٩٥.
٦٣. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي عدد الأجزاء: ١٠.
٦٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط ١، (المكتبة المعارف) عدد الأجزاء: ٦.

٦٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م

٦٦. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت. ط١، عدد الأجزاء: (١٠)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٦٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٨، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٦٨. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢، عدد الأجزاء: ٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٦٩. شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية - بيروت. ط١ - عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٥ هـ

٧٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: ٨٧٣هـ) ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٧١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت. ط٤ . عدد الأجزاء: ٦ . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٧٢. صحيح أبي داود، صحيح أبي داود - الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٧٣. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، عدد الأجزاء: ٩، ١٤٢٢ هـ

٧٤. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. عدد الأجزاء: ٥.

٧٥. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٧٦. صفحة، محمد أحمد قاسم شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، عدد الأجزاء: ٤، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ٤.

٧٧. صفحة، [الجوهري، أبو نصر الأتراري] المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، وهو صاحب كتاب "تاج اللغة"، والمحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. - بيروت عدد الأجزاء: ٤.

٧٨. صفحة، محمد بن يزيد المبرد الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت ط٣ عدد الأجزاء: ٣ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي] علم المعاني، عبد العزيز عتيق

- (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان
ط١، عدد الأجزاء: ١. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٧٩. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة،
ط١، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٨٠. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر
الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤ هـ)
المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، مؤسسة الرسالة - لبنان
ط١، عدد الأجزاء: ٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٨١. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد
شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار
العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط١، عدد الأجزاء: ٤، ١٤٠٨ هـ.
٨٢. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي
المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠ هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية
- بيروت. ط١، عدد الأجزاء: ٨، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٨٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) ، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، عدد الأجزاء: ١،
١٣٩٤ هـ.
٨٤. عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، حالة الفهرسة: غير مفهرس، مكتبة الكليات
الأزهرية، ط٢، عدد المجلدات: ١، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.
٨٥. العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، سليمان بن سالم رجاء السحيمي، نوع المادة
كتاب، ، الرياض، السعودية : دار الفضيلة، ط١. ٢٠١٧.
٨٦. علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني» ، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين
ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان. ط١، عدد الأجزاء: ١، ٢٠٠٣ م.
٨٧. عودة الحجاب ، محمد أحمد إسماعيل المقدم. ج ١: دار طيبة (توزيع دار الصفوة)، ط١٠،
ج ٢، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ج
٣: دار القمة، دار الإيمان (الإسكندرية) - ط٢، ٢٠٠٤ م.

٨٨. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٨٩. غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال - بيروت، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٦ هـ

٩٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. عدد الأجزاء: ١٣. ١٣٧٩ هـ.

٩١. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ عدد الأجزاء: ٢٤ .

٩٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط ١ - ١٤١٤ هـ.

٩٣. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر عدد الأجزاء: ١.

٩٤. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط ١٧ _ ١٤١٢ هـ.

٩٥. قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر عدد الأجزاء: ١.

٩٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٩٧. قصيده السعادة، د. يوسف القرضاوي حفظه الله، منشورة على الشبكة وعلى موقع الشيخ الرسمي <https://www.al-qaradawi.net/node/2582>، وهو أديب وشاعر إسلامي كبير، وله ثلاثة دواوين من الشعر، وهي: نفحات ولفحات، وفيه ملحمة الابتلاء المشهورة، والمسلمون قادمون، وشموع ودموع .

٩٨. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط٢، عدد الأجزاء: ٢، ١٤٢٤هـ

٩٩. كشف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) ، دار الكتب العلمية عدد الأجزاء: ٦.

١٠٠. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ط٣ عدد الأجزاء: ٤، - ١٤٠٧هـ

١٠١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. ط١. عدد الأجزاء: ١٠، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

١٠٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت. عدد الأجزاء: ١ .

١٠٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت. ط٣ - ١٤١٤هـ.

١٠٥. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ط٣.

١٠٦. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط٣، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٧. متن القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ط٢، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٧هـ..
١٠٨. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عدد الأجزاء: ٤، ١٤٢٦ هـ.
١٠٩. المجتمع والأسرة في الإسلام ، محمد طاهر الجوابي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. ط٣. عدد الأجزاء: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
١١٠. مجلة الوعي - الكويت، انظر: العدد ١٥ - السنة الثانية - العدد الثالث - ذو الحجة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١١١. مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ط٣، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
١١٢. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر عدد الأجزاء: ٣٠.
١١٣. مجموعة رسائل، الإمام حسن أحمد عبد الرحمن البناء، دار الدعوة، ويعد هذا الكتاب هو الميراث الفكري لجماعة الإخوان المسلمين.
١١٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت. ط١ - ١٤٢٢ هـ.
١١٥. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

١١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت. ط ٣، عدد الأجزاء: ٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١١٧. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، عدد الأجزاء: ٤. ١٤١١ - ١٩٩٠.

١١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط ١، عدد الأجزاء: ٨، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

١١٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، عدد الأجزاء: ٨، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٢٠. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت. ط ١. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٥ أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]

١٢١. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط ١، عدد الأجزاء: ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩ م.

١٢٢. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي عدد الأجزاء: ١.

١٢٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

١٢٤. معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيبي ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٢٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر. ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
١٢٦. المغني لابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ، مكتبة القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠ تاريخ النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
١٢٧. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.
١٢٨. المفتاح لباب النكاح، محمد بن سالم بن حفيظ، قسم كتب: أصول الفقه، عدد الأجزاء: ١، لجنة البيان العربي، ١٩٦٠ م.
١٢٩. المفردات في غريب القرآن المؤلف، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ.
١٣٠. المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ط١، مؤسسة الرسالة، عدد المجلدات: ١١، ١٤١٣ - ١٩٩٣.
١٣١. مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته وخصائص سوره وفوائدها، عبد الله التليدي، مؤلفين/ ناشرين إضافيين: الصابوني، محمد علي، الناشر الرباط: دار الأمان، ٢٠١٥.
١٣٢. مقدمة في التربية الإسلامية، محمود خليل ابو دف، ط٢، غزة (فلسطين). ٢٠٠٤ م،
١٣٣. الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ م.
١٣٤. من معين السيرة، صالح احمد الشامي، ط٤. ٢٠٠٨ م.
١٣٥. مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، عدد الأجزاء: ٢.
١٣٦. منهج التربية الإسلامية، الأستاذ محمد قطب، دار الشروق، الجزء ١.

١٣٧. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، دار الفكر ط٣، عدد الأجزاء: ٦، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٣٨. موسوعة أخلاق القرآن، الدكتور أحمد الشرباصي. الموضوع: القرآن وعلومه، دار الرائد العربي، ط٣، الصفحات: ٢٣٥.
١٣٩. الموسوعة العقدية، اعداد مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net عدد الأجزاء: ١١ تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.
١٤٠. الموسوعة الفقهية الكويتية. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢.
١٤١. الموسوعة القرآنية المتخصصة المؤلف، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
١٤٢. موضوعات سور القرآن الكريم، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم .دمشق.
١٤٣. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، ٢٠٠٨م
١٤٤. نحو عقيدة إسلامية فاعلة، عدنان محد زرزور، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، مجلدات: ١، ١٩٩٤م.
١٤٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٢٢.
١٤٦. نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر. ط١، عدد الأجزاء: ٨، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
١٤٧. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. ط١، عدد الأجزاء: ١، ١٤٢٢هـ

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة			
١.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦-٥	٤٠
سورة البقرة			
٢.	﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۖ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كِتَابِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ وَرُسُلِهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾	٢٨٥	٣٧
٣.	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝﴾	٢١٩	٧٨
٤.	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۝﴾	١٩٧	٤٠
٥.	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ۚ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝﴾	٢٣٦	٨٩
٦.	﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فِأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحٍ بِإِحْسَنِ ۖ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا ۚ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾	٢٢٩	٩٠

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧.	﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ حَوْلَٰنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتَزِعَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٣٣	٩٣
٨.	﴿وَآخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾	١٢٥	١٢٥
٩.	﴿أَمَرْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾	٢١٤	١٤٣
سورة آل عمران			
١٠.	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	٤٥
١١.	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٥٨
١٢.	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾	٦١	٨٥
١٣.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١١٨	٤٨
سورة النساء			

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤.	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾	١٣١	٣٤
١٥.	﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٢١-٢٠	٩١
١٦.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^ب وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	١٩	٩٥
١٧.	﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾	٨٦	١٢٦
سورة المائدة			
١٨.	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾	٥٦، ٥٥	٤٨
١٩.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	٥١	٤٩
٢٠.	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١٣١
سورة الأعراف			

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١.	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾	١٨٠	٦٧
٢٢.	﴿ فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾	٢٠	١٠٤
٢٣.	﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	٢٦	١٠٩
سورة الأنفال			
٢٤.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾	٢٧	١٦٢
سورة التوبة			
٢٥.	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾	١٠٣	٥٣
٢٦.	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	٧٨
٢٧.	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٢٨	١١٢
سورة يونس			
٢٨.	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٠٣	٤٥
٢٩.	﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٠	٥٧
سورة هود			

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠.	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَلَنَارُ مَوْعَدُهُ ۚ ﴾	١٧	١٩
سورة يوسف			
٣١.	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ ۚ ﴾	٢١	٧٥
٣٢.	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ۚ ﴾	٥٥	١٣٧
سورة الرعد			
٣٣.	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۚ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۚ ﴾	٢٨	٤٠
سورة النحل			
٣٤.	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ ﴾	٩٩	٤٥
سورة الكهف			
٣٥.	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَلَّمَّ أُمِّي الْحَزِينِ ۖ أَحْصِيَ لِمَا لَيْشُوا أَمَدًا ۚ ﴾	١٢	١٨
سورة مريم			
٣٦.	﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ ۚ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۚ ﴾	٦٥	٣٨
سورة الأنبياء			
٣٧.	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۚ ﴾	١٠٧	٨٢
٣٨.	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۚ ﴾	٢٥	٤٠
سورة الحج			

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٩.	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾	٣٨	٤٦
سورة المؤمنون			
٤٠.	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٥٣	٢٤
٤١.	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْـُـوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾	٥	٥٤
٤٢.	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	١١	١٣٦
سورة النور			
٤٣.	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْصُمْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	٩٨
٤٤.	﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٦٠	١٠٧

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾	٢٧	١٢٦
٤٦.	﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾	٦١	١٢٦
٤٧.	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٥٩	١٢٦
٤٨.	﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾	٢٨	١٢٨
سورة الروم			
٤٩.	﴿ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٣٢	١٨
سورة السجدة			
٥٠.	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٢٨	٣٢
سورة سبأ			
٥١.	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَنِيفُ ﴾	١	٣٣
٥٢.	﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾	٢	٣٣
سورة يس			
٥٣.	﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾	٥٨	٥٧
سورة الزمر			
٥٤.	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾	٩	٥٣
سورة غافر			
٥٥.	﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾	٧	٥٨
٥٦.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ	٣٠	١٩

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	الْأَحْزَابِ ﴿		
سورة الشورى			
٥٧.	﴿أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٣٩
٥٨.	﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٣٦	٤٦
٥٩.	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾	٣٨-٣٩	١١٦
٦٠.	﴿أَن أَقِيمُوا الدِّينَ﴾	١٣	١٣٤
سورة الحجرات			
٦١.	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا، قُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	١٤	٥٢
سورة ق			
٦٢.	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	١٢٨
سورة المجادلة			
٦٣.	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾	١	٧٠
٦٤.	﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾	٢	٧١
٦٥.	﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	١٩	١٩
٦٦.	﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ	٣، ٤	٧١

#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ.. ﴿١٠٧﴾		
٦٧.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾	١١	١٢٧
٦٨.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾	٢٠	١٣٠
سورة الطلاق			
٦٩.	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	٤٥
٧٠.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾	١	٩٢
٧١.	﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلْيَضْحَكُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْضَعْنَ لَهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتِمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى..﴾	٦-٧	٩٤
٧٢.	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾	٢-٣	١٣٦
سورة التحريم			
٧٣.	﴿عَسَى رَبُّهُ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾	٥	١٢٥
سورة الفجر			
٧٤.	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	١٤	١٣٠

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
١.	الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة	١٦
٢.	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر	٢١
٣.	فمن أحب منكم أن ينال بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة	٢٢
٤.	ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً شعلونا عن الصلاة	٢٣
٥.	من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه	٢٣
٦.	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	٢٤
٧.	أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر	٣٧
٨.	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٤٠
٩.	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٤١
١٠.	والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله	٤٣
١١.	اتقوا النار ولو بشق تمره	٤٤
١٢.	لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير	٤٥
١٣.	دخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب	٤٦
١٤.	ما أرى كل شيء إلا للرجال	٥٢
١٥.	فإذا هو يقول عند المنبر: يا أيها الناس..	٥٢
١٦.	لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن	٥٣
١٧.	إن الصديق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة	٥٣
١٨.	إنما الصبر عند الصدمة الأولى	٥٣
١٩.	أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك	٥٣
٢٠.	من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر	٥٤
٢١.	ثنتان تدخلان الجنة: من حفظ ما بين لحيته ورجليه دخل الجنة	٥٤
٢٢.	إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل، فصليا ركعتين	٥٤
٢٣.	سبق المقرءون	٥٤
٢٤.	من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حُطت خطاياہ ولو كانت مثل زبد البحر	٥٧

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
٢٥.	أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ	٥٨
٢٦.	انْطَلِقَا فَبَشِّرَا وَلَا تُنْقِرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا	٦٠
٢٧.	قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ	٦١
٢٨.	مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا	٦١
٢٩.	أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ	٦١
٣٠.	يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ	٦٢
٣١.	فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ	٦٤
٣٢.	أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ	٦٦
٣٣.	وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سَنِي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ..	٧٠
٣٤.	قَالَ ﷺ: فَأَعْتِقْ رَقَبَةً. قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ إِلَّا رَقَبَتِي هَذِهِ! قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ	٧٢
٣٥.	لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ دُعِيَ لَغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ بِاللَّهِ	٧٦
٣٦.	لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ	٧٦
٣٧.	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٧٨
٣٨.	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا	٧٩
٣٩.	يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ	٧٩
٤٠.	إِنَّ اللَّهَ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ، كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبَ غَضَبِي	٨٣
٤١.	الرَّجْمُ شَجْنَةٌ - بِالْكَسْرِ وَسَكُونِ الْجِيمِ - مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ	٨٣
٤٢.	إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ	٨٤
٤٣.	فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ	٨٥
٤٤.	دَعَا الرَّسُولُ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي	٨٥

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
٤٥.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي	٨٦
٤٦.	أَذْكُرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي	٨٦
٤٧.	اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ	٨٦
٤٨.	فسئل ﷺ: أتحلّ للأول؟ قال: (لا حتى يذوق عسيلتها، كما ذاق الأول	٩١
٤٩.	اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ	٩٢
٥٠.	عن معقل بن يسار: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا..	٩٥
٥١.	فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ	٩٧
٥٢.	قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حُجْرَتِكَ	١٠٣
٥٣.	وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها	١٠٤
٥٤.	أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرْتَ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ	١٠٥
٥٥.	مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ	١٠٧
٥٦.	مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	١٠٧
٥٧.	من لبس ثوب شهرة في الدنيا	١٠٧
٥٨.	إن الله تعالى حيي ستير، يحب الحياء والستر	١٠٩
٥٩.	الحياء لا يأتي إلا بخير	١٠٩
٦٠.	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	١١٢
٦١.	فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَا لَا فَلَائِرَ لَهُ عَصَبَتُهُ، فَمَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا، أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ	١١٢
٦٢.	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا	١١٣
٦٣.	شكوتُ إلى رسولِ الله ﷺ الجوعَ ورفعنا عن بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ حَجَرَيْنِ	١١٤
٦٤.	"إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ	١١٤
٦٥.	إِنِّي ذَاكِرٌ لِكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ	١١٧
٦٦.	كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته	١١٨

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
٦٧.	ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجالِ من النساءِ	١١٨
٦٨.	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي	١١٩
٦٩.	كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله ﷺ، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله	١٢٠
٧٠.	الدين النصيحة	١٢١
٧١.	لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، فكان ما كان من حديثهم وتطويلهم	١٢٥
٧٢.	يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ	١٢٥
٧٣.	لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ	١٢٦
٧٤.	الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ	١٢٦
٧٥.	كَانَ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبَلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ	١٢٦
٧٦.	فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ أَنَا، فَقَالَ: أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا	١٢٦
٧٧.	مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غُفِرَ لِهَمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا	١٢٦
٧٨.	يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ مَنْ يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيْنَحْنِي لَهُ؟	١٢٧
٧٩.	لَا يَقِيْمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ	١٢٧
٨٠.	كُنَّا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي	١٢٧
٨١.	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	١٢٧
٨٢.	إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ	١٢٧
٨٣.	لَا يَجْلِسُ بَيْنَ رُجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا	١٢٧
٨٤.	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ	١٢٧
٨٥.	وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ	١٢٨
٨٦.	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ	١٢٨
٨٧.	لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا	١٢٨
٨٨.	الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَجَالِسُ	١٢٨
٨٩.	كَانَ ﷺ يَقُولُ بِآخِرِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ	١٢٨

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
٩٠.	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..	١٣٠
٩١.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ	١٣٠
٩٢.	تَكَلِّتَكَ أُمِّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ	١٣٢
٩٣.	مَنْ صَمَتَ نَجَا	١٣٢
٩٤.	الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا	١٣٦
٩٥.	وُتِّرَ السُّلُوكُ الْأَمَانَةُ وَالرَّجْمُ، فَتَقْوَمَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا	١٣٧
٩٦.	أَرَبُّ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا	١٣٧
٩٧.	أَنْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ	١٣٧
٩٨.	نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَنَا	١٤٠
٩٩.	نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ	١٥٢
١٠٠.	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ	١٥٢
١٠١.	فَيُجِيبُ الصَّاحِبَةُ عَلَى النَّبِيِّ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا.. عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا	١٥٨
١٠٢.	اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا	١٥٨
١٠٣.	اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ	١٥٩
١٠٤.	اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ	١٥٩
١٠٥.	فَهَلْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تُخْنِدَ؟	١٥٩
١٠٦.	سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ	١٥٩
١٠٧.	أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٦٠
١٠٨.	قُمْ يَا حَذِيفَةَ فَانْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ	١٦٠
١٠٩.	اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ	١٦٠
١١٠.	فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: فَأَيْنَ؟ فَأُشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ ﷺ فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ، فَردَّ الرَّسُولُ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدِ	١٦١

ثالثاً: فهرس الأعلام

#	اسم العلم	الصفحة
١.	المهايمي	١٢
٢.	الصابوني	١٥
٣.	الزرقاني	١٦
٤.	القرطبي	١٩
٥.	الطبري	١٩
٦.	السيوطي	٣٣
٧.	القشيري	٣٧
٨.	حسن البنا	٤٢
٩.	سيد قطب	٤٢
١٠.	ابن المنذر	٧١
١١.	الماوردي	١٣٣
١٢.	الألوسي	١٣٣
١٣.	سيبويه	١٧٧
١٤.	المبرد	١٨٧